جماليات التصوير الفني عند الشعراء اللصوص في صدر الإسلام والعصر الأموي

د . سمر الديوب *

تعــدُّ الــصورة تــشكيلاً نفسياً قبل أن تكون تشكيلاً فنياً جمالياً ، ترتبط بفكر الشاعر، وبالعوامل التي أسهمت في تكوين نتاجه الشعري.

ولعــل الــبحث فــي الصورة لدى الشعراء اللصوص تحديداً عمل شائقٌ؛ لما يحــتويه هــذا الشعر من فلسفة، وفكر، وتأمل، وتحليل مشكلات الواقع على وَفْقِ رؤية خاصة، وطرافة في تقديم الفكرة.

ولا تقتــصر الــصورة علــى الأنواع البلاغية المعروفة من تشبيه واستعارة وكناية.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

إنهــا تتعداها إلى عناصر الإيحاء المختلفة. وسيحاول هذا البحث أن يستقصي جوانب الصورة لدى هؤلاء الشعراء من خلال استقراء أشعارهم معتمداً على الربط بين الشعر والواقع الاجتماعي الذي أفرزه من جهة، والربط بين الشعر والمؤثرات النفسية التي شكلته من جهة أخرى. ولن يغفل النواحي الجمالية الناتجة من تشكيل الــصورة، كما لن يغفل دور الإيقاع النغمي في إعطاء الصورة جرساً خاصاً لدى هؤلاء الشعراء.

---

* د.ســمر الديوب : مدرسة في كلية الآداب والعلوم الإنسانية – جامعة البعث – حمص – سورية.

لــيس الــبحث في الصورة أمراً جديداً على النقد العربي. إن له أصولاً تراثية قديمة تعود إلى الجاحظ الذي عرّف الشعر بأنه " صناعة وضرب من النسج وجنس مــن التــصوير " [١] ففــي هذا التعريف حكم على دور الصورة في عملية البناء الــشعري، وعلى أهمية أن يُصَبَّ المعنى ضمن نسيج شعريّ ما لكي يكتسب صفة الشعرية.

ولعلّ الناقد العربي الذي شكّل خرقاً في إنتاجه النقدي لمن سبقه، ومن أتى بعده عــبد القاهر الجرجاني. فقد تكلم على النظم والصياغة، وقصد الصورة. ورأى أن أجزاء الكلام يجب أن تتحد، ويشتد ارتباط الثاني منها بالأول قائلاً: " واعلم أن ليس الــنظم إلاّ أن تــضع كلامك الوضع الذي يقتضيه علم النحو، وتعمل على قوانينه وأصوله، وتعرف مناهجه التي نُهِجَتْ فلا تزيغ عنها، وتحفظ الرسوم التي رسمت لك فلا تخل بشيءٍ منها ... " [٢].

لقد غاص الجرجاني في أعماق الصورة وحلّلها تحليلاً رائعاً حين وجد أن الصورة قادرة على تطويع أعناق المتنافرات، وجمع المتباعدات" فإنك تجد الصورة المعمولة فــيها كلما كانت أجزاؤها أشدّ اختلافاً في الشكل والهيئة، ثم كان التلاؤم بينها مع ذلك أتمّ، والائتلاف أبين، كان شأنها أعجب، والحذق لمصورها أوجب . " [٣]

– وربما كرّر نقادنا المحدثون ما سبق وأتى به الجرجاني بصياغات مختلفة.[٤]

لقــد اختلفت نظرة النقاد إلى الصورة. فمنهم من رآها متمثلة في التشبيه [٥] ، ومنهم من رآها متمثلة في الاستعارة [٦]، ومنهم من رآها تشبيهاً ومجازاً [٧]، ومن الــنقاد مــن طبّق عليها منهجاً معيناً كالمنهج الأسطوري، فلوى أعناق النصوص الأدبية حين حمّلها ما ليس فيها [٨]. ومنهم من وجد الصورة في الرمز والأسطورة إضافة إلى الأنماط البلاغية المعروفة [٩] .

وفي الحقيقة : يجب ألا تنطلق دراسة الصورة من منظور واحد، وإنما يجب أن ينظر إليها على أنها كلٌّ متكامل. فهي التشبيه والاستعارة، وهي التمثيل والإيحاء. لقد أتعب النقاد أنفسهم في التقسيم والتفريع في الصور والخيال، وكأنهما من عالمين مختلفين. والحقيقة أنهما من منجم واحد. فالخيال عملية ذهنية، والصورة ثمرة لتلك العملية .

علـــى وَفْــقِ هذا الكلام تصلح الصورة لتكون مدخلاً لدراسة الشعر. فالصورة اندماج للذاتي بالموضوعي. فإذا ماأردنا دراسة الإيحاء مثلاً في الشعر فإننا ندرسه مـــن خـــلال تفاعلـــه مـــع السياق الشعري، ومن خلال ارتباطه بالنص الشعري بعناصـــره كلها مع مراعاة أثر كلّ عنصر في الآخر. فالنص الشعري بناء لغوي متماسك لايمكن فصل عناصره، أو دراسة عنصر بمعزل عن الآخر .

وربَّ سائل يتساءل: لماذا دراسة الصورة في نتاج شعر اللصوص تحديداً ؟

إن تسمية اللصوص أتت من وجهة نظر إسلامية بحتة في هذا العصر .

قـــال تعالـــى: ﴿ والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما ... ﴾ [١٠] ولصوص الإسلام على علاقة وثيقة بصعاليك الجاهلية مع فارق أن الصعلوك كان يوزع مغانمه على الفقـــراء. أمّـــا اللص فقد احتفظ بما ملكت يداه. واللص كان يسرق بمفرده، وربما اتجه الصعلوك إلى مشاركة غيره في الإغارة والسلب والنهب .

وقـــد اهـــتم أدبنا العربي باللصوص اهتماماً كبيراً. ربما للطرافة الموجودة في أشعارهم، وربما لتلك التأملات الفلسفية العميقة في الحياة، والتي لايمكن أن تصدر إلا عـــن إنـــسان مجـــرّب فهم الحياة فهماً عميقاً، وكشف كنهها، وربما لجرأتهم، وتمردهم على السلطة التي استأثرت بالأموال لنفسها، وأبقت الرعية جائعة، وربما؛ لأنهـــم لـــم يكونـــوا لصوصاً عاديين فحسب إنما ظهرت فئة منهم انتهجت منهجاً سياســـياً معيـــناً. فكان بعضهم ثائراً على الحكم. ويقال : إن أدبنا العربي قد تفرد بشعر اللصوص[١١]. وليس هذا الأمر بالغريب على أدبنا العربي. فقد عُرِف الشعر بأنـــه ديوان العرب، وسجل حياتهم. فكان الخليفة شاعراً، والأمير شاعراً، واللص

شـــاعراً فـــإذا سجل الشعر دقائق حياة العرب فكيف لا يصور حياة هذه الفئة التي حملـــت دمهـــا على كفها، واتجهت إلى اللصوصية لكسب لقمة العيش، أو لإعلان التمـــرد علـــى نظـــام ما. وربما مثّل شعر اللصوص حياة تلك الفئة المسحوقة من المجـــتمع العربـــي في تلك الفترة. ولولاه لقلنا: إن أدبنا العربي لم يهتم إلا بطبقة الحكـــام. ولعـــل أشدّ ما يسترعي الاهتمام في أشعارهم تلك الصفات النفسية التي اتـــصفوا بهـــا من عزّة نفس، وكرم، ورفض للضيم ... وروح المرح، والتأملات الفلسفية التي بدت واضحة في صورهم. وأهم من هذا وذاك التصوير الفني الرائع الذي اتسمت به أشعارهم. فأبرز ما يميز شعرهم بروز عنصر الإيحاء. ربما لأنهم عانوا القمع والاضطهاد، فاتجهوا إلى هذه الطريقة الفنية في التعبير .

الصورة البيانية في شعر اللصوص :

نقـــصد بالـــصورة البيانـــية التـــشبيه، والاستعارة، والكناية. وتقوم الصورة التشبيهية على ثنائية قوامها طرفان حسيان أو غير حسيين. والمهم في هذه الصورة إدراك العلاقة المعنوية التي تختفي وراء العلاقة التشبيهية الظاهرة. فالصورة تحمل مضموناً فكرياً، وإن قدمت بطريقة حسية.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

يرى الشاعر اللص جحدر المُحرزي العُكْلي أن الخارج من السجن – والسجن أشد ما يرعب اللص – كمن يخرج من النار . (١٢)

كأنَّ ساكنَها من قعرِها أبداً لدى الخروجِ كمُنْتَاشٍ من النَّارِ

لقد حُبس هذا الشاعر ببيضاء البصرة، ودُسَّ إلى جانب السجناء الآخرين الذين يـــرى أن وجوده معهم كوجود الكريم مع الذليل. وإذا نظرنا إلى هذه الصورة على أن الـــشاعر يـــشبه السجن بالنار مع وجود قاسم مشترك، أو وجه شبه هو العذاب الـــذي يلاقيه السجين في السجن لما توصلنا إلى الخصيصة الجمالية في الصورة. فأقسى تجربة عاناها اللص هي تجربة السجن؛ لأنه وسيلة لمعاقبة اللص. ولا يرى اللـــص – حـــسب فلسفته الخاصة – مسوّغاً لسجنه ؛ لأن له موقفاً خاصاً، وسلوكاً

خاصـــاً فـــي الحياة. والسجن الذي حبس فيه هذا اللص حافل بأنواع التعذيب. فإذا بـــاللص يعاني عذابين: عذاباً ناتجاً من الحرية، وعذاباً ناجماً عن الظلم الذي يظن أنه لحق به، وهو عذاب نفسي عظيم لشخص عاش الحرية بأبعادها. من هنا ندرك معنـــى المقابلـــة بين السجن والنار. ولنا أن نتخيل ما تفعله النار فيمن يتلظى بها، وكـــيف يكون شعوره وقد خرج منها، وابتعد عن لهبها. فهل هناك أشد إيلاماً من الدخـــول في لهيب النار؟ وما مصير من يدخل فيها ؟ ولعلّ الجمالية الأخرى لهذه الـــصورة اســـتخدام جحدر أداة التشبيه كأنَّ بما تحمله من معاني الظن. فكأنه هيأ المتلقـــي للدخول في عالم من التخيلات. إن العذاب الذي لاقاه في السجن، وشعوره بالظلم دمج الأمور في ذهنه، فلم يعد قادراً على الحكم اليقيني على الأشياء .

ويعبّر عُطارد بن قُرَّان عن شعوره في السجن قائلاً : (١٣)

كأني جوادٌ ضمَّه القيدُ بعدما جرى سابقاً في حلبةٍ ورهان

إن للـــصّ موقفاً مختلفاً عن الناس العاديين. فهو – حسب قناعاته – لم يفعل ما يستوجب عليه الحبس. فالمال لله، ولاعيب إن أخذه، ولتكن الطريق السرقة. وقديماً قالوا: " اللصّ أحسن حالاً من الحاكم المرتشي، أو القاضي الذي يأكل أموال اليتامى . " (١٤)

ويعبر عُبَيْد بن أيّوب العنبريّ عن الخوف الذي ينتاب الشاعر اللص قائلاً (١٥) :

كـــأنَّ بـــلادَ الله وهـــي عريـــضةٌ علـــى الخائـــف المطرود كِفَّةُ حابلِ

يُؤَتَّـــى إلـــيه أن كـــلَّ ثنـــيَّةٍ تَـــيمَّمها ترمـــي إلـــيه بقاتِـــلِ

لقد حمل روحه على كفه، وتشرّد في الفيافي، وعاشر حيوان الصحراء. فكانت حـــياته حافلـــة بأنواع العذاب، وقد تعايش مع هذا الخوف لكنه لم يستطع السيطرة عليه. فإذا ببلاد الله الواسعة تبدو للخائف كفة حابل. ولعل هذه الصورة قادرة على التعبير عن تأمل نفسي عميق، صالح لكل زمان ومكان .

وتبـــرز جمالية هذا التشبيه في التفصيل في صورة المشبه به. فإذا به يستشعر الموت في كل ثنية تواجهه. فلا أقسى من الحياة مع الخوف. إنه ينشد الأمان فيجده بعـــيداً. إن الاشتراك في الصفة بين اتساع البلاد على الخائف وكفة الحابل وقع في حكـــم لها ومقتضىً – كما يقرر الجرجاني [١٦] – فبلاد الله على اتساعها ضيقة في عين الخائف. والعلاقة المعنوية بين الطرفين هو الأثر الذي يتركه الخوف في نفس الشاعر اللص .

ولنتأمل هذه الصورة التشبيهية في قول الشاعر السَّمهري بن بِشْر العُكْليّ : [١٧]

وبيضاءَ ، مِكْسالٍ ، لعوبٍ ، خريدةٍ لذيـــذٍ ، لـــدى ليلِ التّمَامِ ، شِمامُها

كـــأنَّ ومـــيضَ البرق ، بيني وبينها إذا حانَ،من خلفِ الحجابِ، ابتسامها

إن بـــسمة حبيبـــته مـــن خلف الحجاب وميض برقٍ. يبدو وجه الشبه في هذه الـــصورة خفياً. فما العلاقة بين الابتسامة ووميض البرق؟ لقد جمع الشاعر طرفين بعيدين، والتشبيهات – كما يقرر الجرجاني [١٨] – بقدر ما تتباعد بين الشيئين تكون إلى النفوس أعجب، والنفوس لها أطرب. لقد استحالت ابتسامة الحبيبة ومضة برقٍ، والبرق في فكر الشاعر البدوي متعلق بالخصوبة والخير والعطاء .

ويـــرتبط التـــشبيه فـــي هذه الصورة بالمطر الذي يحتل مكانة كبيرة في حياة الإنسان البدوي؛ لحاجته الماسة إليه. فإذا كانت ابتسامة الحبيبة كومضة برقٍ فلهذه الابتسامة قيمة كبيرة في نفسه تعادل قيمة الماء في حياته. إن لهذه المحبوبة مكانة كبيرة في نفس الشاعر، لذلك ساوى بين ابتسامتها وومضة البرق الذي يجلب الخير والعطاء. وفي النهاية لا فرق لدى شاعرنا الولهان بين المرأة والبرق فكلاهما وجه لعملـــة واحدة. إنه في أمسّ الحاجة إلى وجود المرأة في حياته؛ لأنه لص متشرد، بعيد عن حياة البشر العاديين .

والعلاقـــة بـــين الابتسامة ووميض البرق ربما كانت دليلاً على أن المرأة هي المعادل الموضوعي لحياة السمهريّ بما فيها. إنها روحه. وكيف يحيا بلا روح ؟!

يقــول عبــيد الله بن الحرّ الجَعْفي الثائر السياسي الذي ألحق بالصعاليك؛ لأنه رغب في أن ينشئ دولة الصعاليك (١٩) :

ألــم تعلمــي يــاأمَّ تــوبةَ أننــي أنــا الفــارسُ الحامي حقائقَ مَذْحج

وأنــي صــبحتُ الــسجنَ في رونقِ بكــل فتــىً حامــي الذِّمارِ مُدَجَّج

فمــا إن بَــرَحْنا السجنَ حتى بدا لنا جبــينٌ كقــرنِ الشَّمسِ غيرُ مُشَنَّج

ليست العلاقة الوحيدة المقصودة في هذا التشبيه هي الربط بين سطوع الجبين، وإشــراق الــشمس. إن بين المرأة والشمس علاقة أسطورية موغلة في القدم. وإذا استقرينا الصور الجاهلية نجد أن المرأة قد ربطت بالشمس، والرجل بالقمر، وربما كــان النابغة هو الاستثناء الوحيد حين شبه النعمان بالشمس. فالشمس من مقدسات الأقدمين، وهي مؤنثة. وربط المرأة بها إعلاء كبير لشأنها لدى الشاعر العاشق.

ولعل أجمل ما في التشبيه أنه يفيد الغيرية، فينصرف الذهن إلى المشبه به، لأن فيه ما يثير الاهتمام .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

لقــد عرَّفتنا الصورة التشبيهية بفكر الشاعر اللص، وسلوكه فيْ الحياة، وموقفه من السلطة. فعبيد الله بن الحرّ الجعفي حين خرج من الكوفة، ولحق به الناس عقد العزم على الغارة، وكتب إلى مصعب بن الزبير هذه الأبيات : (٢٠)

فــلا كــوفةٌ أمــي ولابــصرةٌ أبي ولا أنــا يثنينــي عن الرحلةِ الكسلْ

فــلا تحــسبَنِّي ابن الزبير كناعسٍ إذا حَــلَّ أغفــى أو يُقال له ارتحل

فــإن لم أزرْكَ الخيلَ تردي عوابساً بفرســانها حولــي فمــا أنا بالبطلْ

أراد الجعفـــي أن يـــرهب خصمه السياسي، فأتى بصورة تشبيهية تركت أثراً خلّفته العلاقة المعنوية بين طرفي التشبيه. ففي هذا التشبيه إرهاب للخصم، وإيحاء بمعانٍ مختلفة. فقد تحول هذان الطرفان إلى ندّين متكافئين .

وبما أن التشبيه يفيد الغيرية، ويوهمنا أن المختلفات متآلفة انصرف الذهن إلى المشبه به. فإذا بالجعفي إنسان متيقظ، متأهب للقتال .

ولعـــل الصورة التشبيهية قادرة على الاختصار. فقد اختصرت معاناة الشاعر اللـــص. إن الصورة لديه طريقة تفكير، وليست حلية لفظية. فقد تكرر على ألسنة الـــشعراء اللصوص وصف معاناتهم في الصحراء. وهاهو عبيد بن أيوب العنبريّ يرى يومه في الصحراء كتنور الإماء : (٢١)

ويـــومٍ كَتَـــنّور الإمـــاءِ سَـــجَرْتُهُ وألقـــينَ فـــيه الجَزْلَ حتى تضرَّما

رمـــيتُ بنفـــسي فـــي أجيج سَمومه وبالعَـــنْس حتـــى صَبَّ منسِمُها دما

تختـــصر هذه الصورة ما يلاقي الشاعر من أهوال الحرب، وندرة الماء. ومع ذلـــك يلقـــي بنفسه في هذه الصحراء. إنها ثنائية الحياة / الموت التي حكمت شعر اللـــصوص ، وتحكم حياة البشر جميعاً. فهو يرى الحياة في الموت، ويستشعر في الحياة الموت. ولكي يحافظ على حياته لايجد سبيلاً إلا أن يزج بنفسه في الصحراء الخالية من موارد الخير (الموت) .

وربمـــا كانـــت هذه المبالغة مقبولة؛ لأن حياة اللصوص حافلة بأنواع شتى من المغامـــرة. فثمة أهوال الصحراء، والوحوش، والجوع، والعطش، وافتقاد الشعور بالأمان. إنها حياة تذكرنا بالحياة التي وصفها الشنفرى في لاميته حيث اضطر إلى محالفة الوحش، ومصاحبة السيف والرمح.

ولعل في لجوء الشاعر اللص إلى التشبيه الضمني ربطاً بين المعنوي والحسي في إطار العلاقة التشبيهية ملتقطين ظاهرتين متباعدتين شكلاً، متفقتين أثراً.

دفــع أحد اللصوص، وكان قفافاً، دراهم إلى بعض الصيارف، فقفّ منه الصيرفي شيئاً، فقال : (٢٢)

عجــبتُ عجيــبةً مــن ذئــبِ سُوءٍ أصــابَ فريــسةً مــن لــيثِ غابِ

وإن أُخْــدَع فقــد يُخــدعْ ويُــؤخذْ عــتاقُ الطيــر مــن جــوِّ السحابِ

فَقَــفَّ بكفِّــه ســبعين مــنها مــن البــيضِ المنَقَّــشَةِ الــصِّلاب

يــرى الشاعر أن سارقاً صغيراً يسرق سارقاً كبيراً، كالذئب يصيب فريسة من فــرائس الأسد. لقد خدع هذا الصيرفي السارق، ولاعجب فقد تصطاد الطيور في الــسماء. إن في هذا التشبيه الضمني ما فيه من تحفيز لفكر المتلقي، وتأكيد للفكرة بدليل حسي. فقد أتــى بصورتين متقابلتين بين السارق والمسروق، والذئب والأسد فجمع بين طرفين متباعدين معتمداً على الربط المنطقي بين صورة خداع الصيرفي للسارق، وصورة اصطياد الطيور في السماء.

وقد يلجأ الشاعر اللص إلى الاستدارة التشبيهية منوّعاً في صوره. يقول القتال الكلابي : (٢٣)

ومــا روضــةٌ بالحَزْنِ قَفَرٌ مجودةٌ يمــجُّ الندى ريحانُها وصبيبُها (٢٤)

بأطــيبَ بعــدَ الــنوم من أمِّ طارقٍ ولاطعــمُ عُــنقودٍ عقــارٍ زبيــبُها

لقد أجبرنا الشاعر على أن نتخيل لريق الحبيبة طعماً يشبه طعم عنقود العنب. فتــتداخل الــصورة الذوقية مع البصرية. فإذا بالحبيبة قد أصبحت معادلاً لروضة خــصبة. تهــدف هــذه الاستدارة التشبيهية إلى إجراء مقارنة بين أمرين مع عدم تفــضيل أحــدهما علــى الآخر. فالروضة، وريق الحبيبة متساويا القيمة في نظر الشاعر.

والروضـــة التي يصفها الشاعر خصبة ما يشير إلى معنى الخصوبة الموجود لدى المرأة. وهذه الروضة، على مغرياتها كلها، ليست بأطيب مذاقاً من ريق الحبيبة بعد النوم. وقد خصّ هذه الفترة الزمنية؛ لأن الريق يكون في أسوأ حالاته. لقد أراد أن يقـــول: إنه طيب حتى في هذا الوقت. وبهذا يكون الطرفان متباعدين شكلاً متفقين أثـــراً. فلـــمَ لا تـــستحيل الحبيبة روضة غنّاء؟ ولم لا يبادل بين الحواس طالما أن الحبيبة متماهية مع الطبيعة؟

وربما يحذف الشاعر اللص أداة التشبيه؛ رغبة منه في الوصول إلى المشبه به بسرعة، فيحقق سرعة فنية في الجمع بين طرفي التشبيه.

يقول القتال الكلابي يهجو قومه لما تخلوا عنه في حادثة رداد : (٢٥)

ولكنما قومي قماشةُ حاطبٍ يُجمِّعها بالكفِّ ، والليلُ مظلمُ (٢٦)

إن قومه من أرذال الناس مثل فتات الأشياء. سرع الشاعر الوصول إلى المشبه بـــه بحـــذف أداة التـــشبيه ليصل بسرعة إلى المشبه به، وليوصل فكرة نقمته على قومه.

لقـــد حملت الصورة التشبيهية فكر الشاعر اللص وفلسفته. فكيف تجلى المجاز في شعره؟

- الصورة المجازية :

لقد برع الشاعر اللص في اللجوء إلى العلاقات المجازية، وأبدع صوراً حافلة بالإبداع والخيال الخصب؛ لارتباطها الشديد بالتجربة الشعورية لديه.

وقـــد تلتقـــي الاستعارة المجاز، لكنها فرع منه. فكل صورة استعارية مجاز، ولـــيس العكس صحيحا. يقول عبيد الله بن الحرّ الجعفي – وهو من الشعراء الذين كان لمذهبهم السياسي صلة بكونهم لصوصاً – : (٢٧)

فأقـــسمتُ لا تـــنفكُّ عينـــي حزينةً وعينـــي تبكـــي لايجـــفُّ سجومُها

يبـــيتُ النَّـــشاوى مـــن أمـــيَّةَ نُوَّماً وبالطـــفِّ قتلـــى لايـــنامُ حمـــيمُها

لقــد تغلغل الحزن في أعماق هذا الشاعر حين قارن بين حال الأمويين، وحال قتلـــى الطـــفّ، فاعتـــصر الألم قلبه. فإذا بعينه حزينة. لقد أسند الحزن إلى العين، والحـــزن في القلب. ولو فسرنا هذه الصورة على سبيل الاستعارة، وقلنا: إنه يشبه العـــين بإنسان حزين لما وصلنا إلى الخصيصة الجمالية في الصورة. فقد أعطاها المجـــاز بعـــداً عمـــيقاً، فإذا بالعين تقطر حزناً، لا دمعاً فقط. وفي هذا اتساع في المعنى.

لقـــد بـــدت العين ذات مشاعر إنسانية. فلا يستهدف الحزن مشاعره فقط. إنما يـــستهدف كلّ جزء فيه حتى عينه. ومن أين لهذه الصورة هذا التأثير لولا المجاز الذي هدف إلى الاتساع في المعنى – كما يرى ابن جنّي– (٢٨)

يقول عبيد الله في موقع آخر : (٢٩)

ألـــم ترنـــي حالفـــتُ صفراء نبعةً لهـــا رَبـــذِيٌّ لـــم تُـــثَلَّمْ معابِلُهْ (٣٠)

أخـــو فلـــواتٍ حالـــفَ الجنَّ وانتفى مـــن الإنسِ حتى قد تَقَضَّت وسائِلُهْ

إن فكـــرة الحلف مهمة جداً في فكر الشاعر اللص. فقد عاش في صحراء قاحلة موحشة، فاضطر إلى محالفة القوس. وقد أجبرنا أن نتخيل فكرة الحلف بـــين القبائل حفاظاً على الأمن والاستقرار من خلال محالفته القوس. أما هو فحلفه من نوع آخر، ومن حالفهم ليسوا من بني جنسه. وفي هذا التصوير ما فـــيه مـــن عمق الدلالة على القمع والاضطهاد اللذين عاناهما. ولا يخفى ما للمجاز هنا من قيمة فنية عالية في مخالفة المألوف وتحريك مشاعر المتلقي. ولـــولا إســـناد الحلف إلى القوس والجن لما شعرنا بتلك المعاناة العميقة التي عاناهـــا الشاعر اللص. وهاهو جحدر يعبر عن جزء من معاناته في السجن قائلاً : (٣١)

إذا تحرك بابُ السجنِ قامَ له قومٌ يمدون أعناقاً وأبصارا

أســـند الشاعر الفعل إلى غير الفاعل الحقيقي من خلال مجاز الإسناد. فمدّ الأعناق أمر طبيعي، أمّا مدّ الأبصار فله أثر إيحائي وجمالي، فأبصار السجناء تستطيل كلما تحرك باب السجن توقاً إلى الحرية.

وفـــي مجال **الاستعارة** أبدع الشعراء اللصوص صوراً خالدة. فقد رأى أرسطو قديماً أن الاستعارة أعظم الأساليب [٣٢]. ففي الصورة الاستعارية ينتفي التمايز بين طرفي التشبيه، فيصبحان كلاً واحداً.

وهـــذا حُـــرَيْث بن عنّاب الطائي يحرك التراب النائم واليقظان خلال سيره في طريق اللصوصية قائلاً : [٣٣]

إذا نحن سِرنا بين شرقٍ ومغربٍ تحرَّك يقظانُ الترابِ ونائمُه

يعبر حريث عن شدة اعتداده بنفسه ورفاقه فإذا به يثير التراب حين يسير عليه، فيحرك يقظانه ونائمه. لقد شخص التراب، وأعطاه خصيصة حية. والتشخيص أفق إبداعـــي متميز يحطم العلاقات العادية بين الأشياء، ويبعث الحياة في الجوامد. فإذا بالـــشاعر يخـــرج من الصدفة الواحدة عدة من الدرر، ويجني من الغصن الواحد أنواعاً من الثمر .[٣٤]

وللتـــشخيص فائدة معنوية فأي بأس يتمتع به ذلك الشاعر اللص لكي يستطيع تحريك التراب اليقظان والنائم. فليس التراب اليقظان والنائم هو المؤثر. إن المؤثر حركة الشاعر فوق التراب، تلك الحركة التي توقظ الغافي في الأرض لشدتها.

وعلى هذا يكون التراب اليقظان والنائم رسولاً يوصل رسالة من الشاعر، تعبر عن صلابته، وقوته، وتمسكه بمبدئه.

ويرى مالك بن الريب في الموت منهلاً يشرب منه ويعلّ، يقول: [٣٥]

ألا أيُّهـــا الباغـــي البـــرازَ تقـــرَّبَنْ أســـاقيكَ بالطعنِ الغدافَ المقَشَّبا[٣٦]

فـــأيُّ فتىً في الحرب،والموتُ سيبه علـــى شاربيه، فاسقني منه واشربا

ودونكَهـــا نجـــلاءَ ينـــضحُ فرعُها نجيعاً دماً من داخل الجوفِ مثغَبا(٣٧)

حـــباكَ بهـــا مـــن لايُـــصَرَّدُ كأسُه إذا ماســـقاها مَـــنْ إلى الموتِ ثوَّبا

أخـــو غمـــراتٍ لا يُـــروَّعُ جأشُـــه إذا المـــوت بالموتِ ارتدى وتعصبا

يدعو الشاعر خصمه إلى البراز بنبرة تحدّ لكي يسقيه الموت الأسود. لقد جعل الموت شراباً يُسقى، واللافت استعماله الفعل أساقيك الذي يحمل معنى المشاركة في الحـــدث بدلاً من الفعل أسقيك. فالسقيا ستكون من الجانبين. وفي هذا الأمر إظهار لقوة الخصم، وبهذا يكون لتفوق الشاعر على خصمه لذة أكبر. وهذا الدم المتساقى ليس دماً عادياً. إنه دم مسموم، وهذا كله في مجال التخيل، دم يحمل الحقد والعداء والغضب الذي شكل الدافع لتساقي الدماء.

جعـــل الـــشاعر المتلقي يشاركه في استمتاعه بشرب دماء عدوه كالساقي الذي يتـــرع الكؤوس خمراً، ويديرها على الشاربين مع أنه لم يصرّح بذلك تماماً. لكن الأثر الذي تتركه هذه الكأس في شاربيها يشبه الأثر الذي يتركه سقيا دم الأعداء في نفس الشاعر. وهيهات أن يرتوي من تساقي هذا الشراب!

وربمـــا عبـــر هؤلاء الشعراء عن لمحاتهم التأملية في الحياة من خلال صور استعارية جميلة. يقول يزيد بن الصّقيل العُقَيْلي : (٣٨)

إذا ما المنايا أخطأتكَ وصادفَتْ حَمِيْمَك فاعلَمْ أنّها ستعودُ

يرى الشاعر أنه إذا نجا من الموت، وأصاب مقتلاً من صاحبه فإن الموت عائد إليه لامحالة. إن هذه التأملات الفلسفية – على نزعة التقليد الواضحة فيها – وليدة تجربة في الحياة، وعمق فهم لها. فقد رأى الشاعر أن الموت هو نهاية الحياة وإن طالت. فكان شعره أقرب إلى القلق الوجودي؛ لذلك نراه في حال حرب مع المنايا.

فقد تصيبه، وقد تصيب غيره. ولعل الشاعر قد استوحى الآية القرآنية ﴿ ولكل أمة أجــلٌ فإذا جاء أجلهم لايستأخرون ساعة، ولايستقدمون ﴾ [٣٩] فلن يستطيع تحدي المنية؛ لأنها مقدرة عليه.

ولعــل أروع الصور التشخيصية تلك التي برزت في مجال الحنين إلى الوطن الذي أصبح بعيداً عن الشاعر. يقول الأحيمر السّعدي : [٤٠]

أيا نخلاتِ الكَرْمِ لازالَ رائحاً عليكنَّ منهلٌ الغَمامِ مَطِيْرُ

إنــه يدعو بالسقيا لوطنه، فأنزل نخلات الكرم منزلة الإنسان، مشخصاً إياها، ومجبراً المتلقي على أن يتخيل أن لها عقلاً يعي طلبه، وأذناً تسمع سؤاله. ومن أين للصورة هذا التأثير في الوجدان لولا تلك المخاطبة الرقيقة الحزينة لنخلات الكرم.

تمثل هذه الاستعارة رغبة من الشاعر في عودة أيام الهناء في وطنه ومع أهله. ولعل **الكــناية** تعبر عن موقف الشاعر اللصّ تعبيراً جميلاً؛ لأن فيها معنيين: قريباً وبعــيدا. ومما لا شك فيه أن الشاعر يريد المعنى البعيد. وها هو الأحيمر السعدي يعلــن تمرده على واقع الفقر، ففي إعلانه لصوصيته تمرد على السلطة وقوانينها. يقول :[٤١]

وإنــي لأســتحيي مــن الله أن أُرَى أجــرِّرُ حــبلاً لــيس فــيه بعيــرُ

وأن أســألَ المــرءَ اللئــيمَ بعيــرَه وبعــرانُ ربــي فــي الــبلادِ كثيرُ

إنــه يــستحي مــن الفقر لا من السرقة. ويعود هذا الأمر إلى أن للص موقفاً وســلوكاً مختلفــين عــن الإنــسان العادي. كما أن له فهماً خاصاً لمسألتي الحق والصواب.

فالبعــران كثيرة، وهو يبيح لنفسه أن يأخذ منها ما يشاء، وفي هذا الكلام إيحاء بحالة البؤس الاقتصادي الموجودة، ووضع حلّ لها هو اللصوصية.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وقد جمع أحد الشعراء اللصوص الاستعارة مع الكناية في صورة رائعة تصور إقدام اللص وإحجامه قائلاً: (٤٢)

تحجّى مكانَ الخوفِ والأمنِ خاطرٌ يشيرُ إلى الإحجامِ والموتُ فاغرُ

لـــم يشر الشاعر إلى القلب صراحة إنما كنّى عنه مشيراً إلى أن خاطراً قد قام في نفسه. فقد تردد كثيراً بين أن يقدم، أو يحجم. والموت فاتح فاه .

وليس أروع من هذا الدمج بين الاستعارة والكناية لإيصال هذه الحالة الشعورية التي انتابته.

أما القتال الكلابي فيعلن أنه لن يصالح عدوه حتى يصالح راعي الغنم الذئب. وفـــي هذه الكناية اختصار لمعان كثيرة في جملة مكثفة. والتكثيف سمة شعرية. يقول(٤٣):

وإني لعمرُ أبيهمْ لأصالِحُهم حتى يصالحَ راعي الثَّلّة الذيبُ

فالـــصفة " إذا لم تأتك مصرّحاً بذكرها، مكشوفاً عن وجهها، ولكن مدلولاً عليها بغيرها، كان ذلك أفخم لشأنها، وألطف لمكانها، كذلك إثباتك الصفة للشيء، وتثبيتها له إذا لم تلقه إلى السامع صريحاً، وجئت إليه من جانب التعريض والكناية، والرمز والإشـــارة، كـــان لـــه من الفضل والمزية، ومن الحسن والرونق، مالا يقلّ قليله، ولايجهل موضع الفضيلة فيه." (٤٤)

لقد كنى الشاعر عن طول مدة عدائه لأعدائه. فلن يصالح حتى يصالح الراعي الذئب. وهذه معجزة. ومعنى هذه الكناية أن على أعدائه أن ينتظروا منه ألوناً شتى من الانتقام .

- **الصورة السردية :**

لقـــد عبر الشاعر اللص من خلال صورة يغلب عليها السرد عن فلسفته الخاصة فـــي الحـــياة. ظهـــرت فـــيها ثنائية الجد/الهزل فأتت في كثير من الأحيان صوراً مضحكة، لكنه الضحك الذي ينبعث من الألم.

قال أعرابي وكان لصاً: (٤٥)

ثــلاثُ خــلالٍ لــستُ عــنهنَّ تائباً وإن لامنـــي فـــيهنَّ كُـــلُّ خلـــيلِ

فمـــنهنَّ أنـــي لاأزالُ معانقـــاً حمائـــلَ ماضـــي الـــشَّفرتين صَقيلِ

ومـــنهنَّ سوقُ النَّهْبِ في ليلة الدُّجى يحارُبهـــا فـــي اللـــيلِ كـــلُّ دلـــيلِ

ومـــنهن تجـــريدُ الكعـــابِ ثـــيابَها وقـــد مـــالَ جـــنحُ اللـــيل كلَّ مَميلِ

لا تعتمد هذه الصورة على استقلالية البيت الشعري. فلا يكتمل المعنى من دون ذكـــر أركان الصورة كاملة. إنه لن يتوب عن ثلاث صفات، وإن وقع في الملامة، إنه سيعانق سيفه، وسيسوق ما نهبه من الإبل في الليل المظلم، وسيغامر مع النسوة. ولعل هذه الفلسفة قريبة – في بعض جوانبها – من فلسفة طرفة بن العبد في الحياة.

قـــدم الشاعر هذه الصورة من خلال السرد، والاستعارة. وكان صوته الصوت الوحيد الذي ظهر في النص. وقد برز تحديد للزمان، وهو الليل حالك الظلمة. ففي الليل ستار يحمي اللص. ولعل حركة الشخصية ضمن هذه الصورة تقتضي تكثيفاً لغـــوياً كبيراً. فقد أوجز ما أراد من خلال أبيات شعرية ثلاثة، أكد في البيت الثاني استمراره في استعمال سيفه في مجال الدفاع عن نفسه، وتحصيل رزقه عن طريق اللـــصوصية. وأكـــد في البيت الثالث استمراره في طريق اللصوصية، وفي البيت الرابع تكلم على المرأة، فهي تشكل عالم اللذة بالنسبة إليه. لقد تكلم الشاعر على ما يمتعه في الحياة، لكنها المتعة الظاهرة التي تخفي وراءها الألم.

لقد حُبس الشاعر أبو الطيلسان، وحبس معه حماره، فقال : (٤٦)

أيـــا أهـــلَ المديـــنةِ خبّرونـــي بـــأيِّ جريـــرةٍ حُـــبسَ الحمـــارُ

فمـــا بالعَيْـــر مـــن ظلـــمٍ إلـــيكم ومـــا بالعيـــر إن ظُلِـــمَ انتـــصارُ

تــؤدي هذه الصورة الساخرة مهمتين: مهمة إمتاعية مضحكة، ومهمة انتقادية لأصــحاب السلطة الذين يفرحون بظلم الحمار. وهذا الحوار من جانب واحد يعبر عــن شخــصية المــبدع التي تميل إلى التهكم والسخرية. وكانت هذه حال أغلب الــشعراء اللصوص. فقد مالوا إلى الظرف والإضحاك. فإن حبس الشاعر لجريرة ارتكبها فما ذنب الحمار؟!

وقد ترد في أشعارهم قصة متكاملة الأركان كتلك التي أوردها مالك بن الريب فــي قصة قتله العبد أفلح، وكان قد دهمه في الليل فانتفض مدافعاً عن نفسه فأرداه قتيلاً بسيفه. يقول : (٤٧)

أَدلجــتُ في مَهْمَهٍ ما إنْ أرى أحداً حتــى إذا حــانَ تعريسٌ لمن نزلا

وضــعتُ جنبيْ وقلتُ : الله يكلؤني مهمــا تــنمْ عنك من عينٍ فما غفلا

مانمــتُ إلا قلــيلاً نمــتُهُ شَــئِزاً حتــى وجــدتُ على جثماني الثقلا

لمــا ثنــى الله عــن شــر عدوته وأنمرت لامُسئياً ذعراً ولابعلا (٤٨)

أدفعــتُ ثــاري ومــا أدري إذا لبد يغشي المهجهج عض السيف أورجلا

من يشهد الحرب يصلاها ويسعرها تــراه ممــا كــسته شــاحباً وجلا

خــذها فــإن لــضراب إذا اختلفت أيدي الرجال بضرب يختلي البصلا

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

يتصاعد الحدث في هذه القصة شيئاً فشيئاً معتمداً على عنصر التشويق إلى أن يصل إلى الانفراج بخلاص الشاعر من العبد أفلح.

وفي هذه القصة شخصيتان. فثمة شخصية الشاعر، وشخصية العبد أفلح ويظهر فــيها صوت الشاعر الذي أسهم في تصعيد الحدث، ورسم الشخصية. وفيها تحديد

للـــزمان والمكـــان. إن أسلوب القص هذا يبتعد بالقصة عن الخطابية إلى السردية التقريرية. وتنتهي القصة بانتصار الشاعر، وحصوله على ما أراد.

- الصورة الإيحائية :

يعـــدّ الإيحـــاء ســـمة شعرية مهمة يتجلى في الشعر في أشكال عدة. ولايظهر الإيحاء في المفردة الشعرية إلا من خلال ارتباطها بما سبقها، وما تلاها. ويذكرنا هذا الكلام بنظرية النظم لدى الجرجاني. (٤٩)

قـــال مسعود بن خَرَشَة المازني التميميّ، وكان قد طلبه والي اليمامة، فلجأ إلى موضع فيه ماء وقصب. (٥٠)

ألا لـــيتَ شـــعري هـــل أبيتَنَّ ليلةً بوعـــثاءَ فـــيها للظـــباءِ مكـــانس

وهـــل أنجُوَنْ من ذي لبيد بن جابر كـــأن جـــناتِ المـــاءِ فيه المُجالِسُ

وهل أسمَعَنْ صوتَ القطا تندبُ القطا إلـــى المـــاءِ مـــنه رابعٌ وخوامس

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

يـــسأل الـــشاعر نفسه هل يعود إلى دياره في أرض وعرة تأوي إليها الظباء؟ وهـــل يـــنجو من هذه البلاد ذات المستنقعات التي لايجد فيها أنيساً، ولاجليساً غير الضفادع والأسماك؟ وهل يسمع أصوات القطا تندب القطا؛ لكي ترد إلى الماء بعد أربع أو خمس ليال؟

إن ورود القطـــا إلـــى الماء يحمل دلالة إيحائية مرتبطة بسياق النص، وبهدف الشاعر. فعطش القطا إلى الماء هو عطش الشاعر إلى أهله؛ لذلك تمتلئ نفسه حزناً لبعده عنهم. ونلاحظ استخدام الشاعر لفظ تندب بدلاً من تنادي مع ملاحظة الحزن الذي يرتبط بالفعل ندب. فالندب صورة مرتبطة بالفقد. من هنا غدت القطا معادلاً موضوعياً للشاعر. فقد أثقلته هموم الدنيا ، وتمنى العودة إلى بلاده.

ونلاحظ أن للظباء دلالة سلمية . ربما كان السلام الذي يفقده الشاعر في حياته. وعلى هذا توحي الظباء بالسلام الذي يتمناه، وتوحي القطا وهي تندب القطا بالحزن الذي يملأ نفسه.

وللألوان دلالات إيحائية متعددة. وقد يكتسب اللون الواحد عدة دلالات تختلف حسب السياق الشعري. فها هو جحدر المحرزي يرى أن سجن البيضاء قد جعل نهاره أسود.(٥١)

أقــولُ للصَّحْب في البيضاء دونَكم محلــةً ســوَّدَتْ بيــضاءَ أقطــاري

مــأوى الفــتوةِ للأنــذالِ مُذ خُلقتْ عــندَ الكــرامِ محــلُّ الــذلِّ والعارِ

تضاد الألوان هذا يعطي قيمة إيحائية للصورة الشعرية. وقد استغل اسم السجن فنياً، فسجن البيضاء جعل يومه أسود. وتتداخل هنا دلالات الألوان. فسجن البيضاء لايحمــل مــن معاني البياض إلا اسمه، وما يحتويه مناقض لمعنى اللون الأبيض؛ لــذلك جعل نهاره أسود. والسواد هنا يعطي دلالات إيحائية متعددة. ففيه العذاب، وفــيه الحــزن، وفــيه الألم النفسي والجسدي. وفي هذا الطباق عن طريق اللون محاكمة عقلية، واستنتاج للمعنى على وَفْقِ قياس عقلي. ولولا وجود اللون الأبيض لما شعرنا بالبعد القوي للون الأسود.

قال المرار بن سعيد الفقعسي، وقد سارت نوقه في الصباح بعد أن قطعت الليل، وطوته، وهي تخضب الحجارة بدمائها، وتكسر الحصا: (٥٢)

تــساورُ حــدَّ الــضحى بعــدما طــوت لــيلَها مــثل طــيِّ الرداء

تعــادي نواحــيَ مــن قبــصها عــن المــروِ تخــضبُه بالدماء(٥٣)

كــأنَّ الحــصا حــينَ يتــركنهُ رضيخُ ندى القسبِ بين الصّلاء (٥٤)

تتخـــضب مناســـم هـــذه النوق بالدماء، والدم ذو لون أحمر. وربما كان للون الأحمـــر دلالة ثورية على من يحرمه العيش بسلام، ويضطره إلى امتهان السرقة وسيلة للعيش. وربما أوحى سير النوق في هذه الطريق الصعبة بسير اللص الشاعر فـــي طـــريق اللـــصوصية والثورة. فالتمرد يوحي بالثورة والنضال للوصول إلى الهـــدف. كمـــا أن الحـــصا الـــذي يتكسر تحت مناسمها لايوحي بالقوة والصلابة الموجـــودين فـــي هـــذه الناقة بقدر مايوحي باضطرابها النفسي الذي جعلها تكسر الحـــصا فـــي أثـــناء سيرها فوقه. وما هذا الاضطراب في السير إلا صورة عن اضطراب صاحبها، وانفعاله.

أما الحمام فقد أكثر الشاعر اللص من الحديث عنه، وقارن بين حاله في القيد، وحال الحمام الحرّ. يقول جحدر المحرزي: (٥٥)

وممّـــا هاجنـــي فـــازددتُ شـــوقاً بكـــاءُ حمامتـــين تجاوبـــان

تجاوبـــتا بلحـــنٍ أعجمـــيٍّ علـــى غُـــصنين مـــن غَرَبٍ وبانِ

فأســـبلتُ الدمـــوعَ بـــلا احتـــشام ولـــم أكُ باللئـــيمِ ولا الجـــبانِ

وقلـــت لـــصاحبيَّ : دعـــا مَلامي وكفَّـــا اللـــومَ عنـــي واعذرانـــي

فكـــان البـــانُ أن بانـــتْ سُـــلَيمى وفـــي الغَـــربِ اغترابٌ غيرُ داني

تـــرتبط الصورة الإيحائية بالتجربة الشعورية. فصورة الحمام مرتبطة بصورة الفقد. لقد أتعبت تجربة السجن شاعرنا، وشغلته. فإذا به يجد في نوح الحمام معادلاً للحـــزن الـــذي سكنه. كما أنه استخدم الأسلوب العقلي، فاشتق من البان الذي تقف عليه الحمامة بيناً، ومن غصن الغرب اغتراباً. فتشاءم من هذين الغصنين، وأوحت الحمامتان بحزن عميق.

ولعل جحدر قد عبر من خلال الصورة الإيحائية عن رأيه في التملك قائلاً: (٥٦)

وإن امـــرأً يغـــدو وحَجْـــرٌ وراءه وجَـــوٌّ ، ولايغـــزوهما لَـــضعيفُ

إذا حُلَّـــةٌ أبليـــتُها ابـــتعتُ حُلَّـــةً كـــساني بهـــا طـــوع القيادِ عليفُ

ســـعى العـــبدُ إثـــري ثـــم ردَّهُ تذكُّـــر تـــنورٍ لـــه ورغـــيف

لا يرتبط اللص بملكية خاصة؛ لأنها تقيده. فهو يفخر بلصوصيته، ويسخر من سكان القرى؛ لأنه يحصل منهم على مايريد. إنهم يخافون على أنفسهم وممتلكاتهم. أمـــا هـــو فلايملك مايخاف عليه. والعبد الذي يسعى وراءه يتذكر التنور والرغيف فيرتد. أما هو فلا تقيده ملكية خاصة، وفرسه مثله فرس عليف يأكل مما تؤمنه له غارة صاحبه.

لا تـــتولد هذه الدلالات الإيحائية إلا من خلال تفاعل هذه المفردات مع السياق الشعري. أما تصوير الشاعر اللص محالفته وحوش الصحراء، وعزلته فيها فيوحي بمـــا فـــي حـــياته الاجتماعية من سوء دفعه إلى الفقر والتشرد ومصاحبة الحيوان الوحشي.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

قال الأحيمر السعدي: (٥٧)

أُرانـــي وذئـــبَ القفـــرِ إلفين بعدما تدانـــى كلانـــا يَـــشْمئزُّ ويُذْعَـــرُ

تألفنـــي لمـــا دنـــا وألفْـــتُه وأمكننـــي للرمـــي لـــو كنتُ أغدِرُ

ولكننـــي لـــم يأتمنِّـــي صـــاحبٌ فيـــرتابَ بـــي ، مـــادامَ لا يتغيـــرُ

لـــم يستطع محالفة بني جنسه من البشر، فلجأ إلى محالفة الوحوش. توحي هذه الصورة بالحزن العميق الذي تملَّكه لعدم قدرته على محالفة بني جنسه، كما توحي بحـــال التشرد التي عاناها، وتظهر عكس ماتبطن. إنها تظهر جرأته، وقدرته على محالفة الوحوش، وتوحي بحزنه العميق، وانكساره الداخلي، وتضعنا في جو إيحائي

آخـــر هـــو جـــوّ المقابلة بين الشاعر والذئب. فقد تألفه لما دنا، وألفه. وهنا يصل الشاعر إلى قمة الحزن. فكيف استطاع أن يألف الذئب، ولايألف بني جنسه؟!!

ولجأ الشاعر اللص إلى مايشبه **المَثَل** مكثفاً الحالة الشعورية، ومختصراً كلاماً كثيـــراً فـــي جملة صغيرة. فالتعبير بهذه الطريقة تعبير شديد الإيحاء؛ لأنه يعطي معانـــي كثيـــرة في ألفاظ قليلة ضمن سياق شعري ما. فالأمثال هي " الطرق إلى المعاني المحتجبة في الأشعار حتى تبرزها، وتكشف عنها، وتصورها للأفهام." (٥٨) فحين هجا فضالة بن شريك الأسدي آل الزبير قال:(٥٩)

لقد أسمعت لو ناديت حياً ولكن لاحياةَ لمن تنادي

وهـــذه العـــبارة يمكن أن تجري مجرى المثل، وفيها إيلام للمهجو، وتقليل من شأنه. فلو عُدَّ من الأحياء لفهم طلب الشاعر. وربما أبعد المثلُ الشاعر عن الخوض في التفاصيل، والفحش في القول. فاستعماله عبارة " لاحياة لمن تنادي " في مجال الهجاء أفاده في إيصال معانٍ كثيرة في جملة قصيرة .

وللرمـــز نـــصيب فـــي شعر اللصوص. والرمز تعبير فني شديد الإيحاء؛ لأن المفـــردة التـــي توضـــع ضمن سياق لغوي تنفتح على دلالات متعددة لاتدرك إلا بالتأويل. فقد ورد المشهد الطللي بشكل ضئيل لدى هؤلاء الشعراء؛ لأنهم لم يحيوا حياة عادية لينتجوا شعراً كغيرهم من الشعراء. فغلبت المقطوعات على أشعارهم. إن صـــورة الطلل رمز الحنين إلى الوطن حيث كانت المرأة التي يحب، والأهل. يقول جحدر:(٦٠)

يـــادارُ بـــين بُـــزاخَةٍ فكثيـــبها فلـــوى غُبيـــر سَـــهْلِها أو لـــوبِها

سَـــقَتِ الـــصبَّا أطلالَ رَبْعِكَ مُغْدِقاً يَـــنْهَلُّ عارضُـــها بلَبْسِ جُيوبِها(٦١)

أيـــامَ أرعـــى العِينَ في زَهَرِ الصبَّا وثمـــارَ جـــنات النـــساء وطيـــبِها

يخاطـــب الشاعر ديار الحبيبة، ويعدد الأماكن التي أصبحت مسارح للذكرى حيث كـــان يـــنعم بالأمـــان بين أهله، فيدعو لدياره بالسقيا، ويرغب في عودة تلك الأيام من جديد. ولعل الصورة الرمزية مرتبطة ارتباطاً قوياً بالرؤيا. فالشاعر في لاوعيه يتمنى لـــو تعود تلك الأيام الجميلة ذات الودّ والصفاء. ولعلنا لانعدو الحقيقة إذا قلنا: إن رؤيا الشعراء اللصوص قد انكفأت إلى الوراء، فتمنى الشاعر عودة الأيام الماضية. فارتباط الـــصورة الرامـــزة بالـــرؤيا لدى هؤلاء الشعراء يعطيها صفة شديدة الإيحاء، ويوسع أفقهـــا. وهنا يغدو الماء المغدق الذي يريده الشاعر؛ ليسقي طلله رمز التطهير النفسي. فالمطـــر سيغـــسل كلّ شيء، وسيريح نفس الشاعر المضطربة. والصراع الذي يعانيه صـــراع داخلـــي، وخارجـــي، والتطهير تطهير نفسي. فلا يمكن أن ننظر إلى المقدمة الطللـــية علـــى أنها تقليد شعري فحسب. لقد قدم الشاعر من خلال هذا التقليد الشعري أفكـــاره الخاصة. ولو كانت تقليداً شعرياً فقط لغدت نمطاً مكرراً فارغاً من أي محتوى فكري، وفني. ويحنّ تليد الضبّي إلى أيام اللصوصية قائلاً: (٦٢)

يقولـــون : جاهـــرْ يـــا تلـــيدُ بتوبةٍ ... وفـــي الـــنَّفْسِ مني عادةٌ سأعودُها

ألا ليتَ شعري : هل أقودنَّ عُصبةً ... قلـــيلاً لـــربِّ العالمـــين ســـجودُها

ويقول: (٦٣)

تبدلتُ من سَوْقِ الأباعرِ في الضُّحى ... ومـــن قَـــنَصِ الغِزلانِ بَنْيَ المساجدِ

فأصـــبحتُ قـــد أحـــدثت لله تـــوبةً ... وخيـــرُ عـــبادِ الله فـــي زيِّ عابـــدِ

على أنَّ في نفسي إلى البيضِ طِرْبةً ... وأنـــي،قد أهوى ركوبَ الموارِدِ(٦٤)

إن لديـــه رغـــبة فـــي العودة إلى حياة اللصوصية بعد توبته حين كان يقود عـــصبة مـــن اللصوص. لقد أحب العودة إلى شأنه القديم، فرمز لما في حياته القديمـــة مـــن لـــذة وبهجة بالبيض، واشتاق إلى ركوب المخاطر والأهوال. إن ابـــتعاده عـــن البيض الحسان رمز لما في حياته من بؤس وحزن، ورغبته في

العودة إليهن رمز للعودة إلى الحرية. وعلى هذا تحمل البيض الحسان، وركوب الأهوال الحياة والموت معاً. وبهذا يتخطى الرمز الواقع، وينظر إلى المستقبل ما يعني أنه يرفض الواقع، ويحلم بتخطيه .

وقـــد يـــتعلق الرمز بشخصية نسائية تتكرر في شعر هؤلاء الشعراء. فلا تكون امرأة حقيقية، إنما تكون رمزاً إلى شيء ما. يقول السمهري بن بشر: (٦٥)

ألا حـــيِّ ليلـــى ، إذ ألـــمَّ لمامُهـــا وكـــان مع القومِ الأعاديِّ كلامُها(٦٦)

تعلَّـــلْ بليلـــى ، إنمـــا أنـــتَ هامةٌ مـــن الغـــدِ ، يدنو كلَّ يومٍ حِمامُها

وبـــادرْ بليلـــى أوبةَ الرَّكْبِ ، إنهم متـــى يـــرجعوا يَحْرُمْ عليك لِمامُها

وكـــيف تُـــرَجِّيها ، وقد حِيْلَ دونها وأقـــسَمَ أقـــوامٌ مَخـــوفٌ قَسامها(٦٧)

تغـــدو ليلى في هذه الصورة رمزاً لحياة اللذة، واللهو التي يريد الشاعر أن يحياها. فإنـــه غـــداً ميت لامحالة؛ لذلك يسارع إليها رغبة منه في الوصول إلى اللذة والراحة. وكيف السبيل إلى ليلى، وقد تباعدت المسافة بينهما؟ وهنا أيضاً نجد علاقة بين الرمز، والـــرؤيا. إذ يتمنى العودة إلى الماضي؛ لأن المستقبل في نظره معتم، حافل بالرعب. فلـــيعد إلـــى ليلى، رمز اللذة، والسعادة، والعطاء. لقد غدت ليلى متنفساً لحياة الشاعر القاســـية لكنها تبدو متمنعة على الرغم من طلب الشاعر أن يتعلل بها. مما لا شك فيه أن صـــورة ليلى صورة رامزة، وليست صورة حقيقية. وإذا تتبعنا سائر القصيدة نجده يـــصورها امرأة بيضاء، لعوباً، خريدة، أتاه طيفها وهو في قيده، فتمنى أن يعيش معها بغـــبطة. إنها مغرية مثل الحياة، لكنها صعبة المنال مثل كل شيء تمناه في هذه الحياة. إن للفـــن طبـــيعة رمـــزية. وليلى رمز يتكرر لدى الشعراء. فالمرأة في شعر هؤلاء الـــشعراء مصدر راحة، ولكنها بعيدة. والصورة " إذا عاودت الظهور بإلحاح كتقديم، وتمثيل على السواء فإنها تغدو رمزاً ".(٦٨)

ولعــل الــشاعر في رؤياه يبدو أسير الماضي، والحاضر. أما المستقبل فيبدو معــتماً، لايرى الشاعر أمامه سوى الموت؛ لذلك يفضل العودة إلى الماضي لينشد الراحة التي يفتقدها في حاضره.

- علاقة الصورة بالإيقاع النغمي لدى الشعراء اللصوص :

الإيقــاع حركة زمانية مرتبطة بالحركة والحياة؛ لذلك يحمل تأثيراً نفسياً، يضفي علــى الصورة قيماً نفسية وجمالية خاصة. وللإيقاع علاقة بالمضمون مع أنه ناتج من الشكل. فهو تشكيل نفسي بالدرجة الأولى.

ففــي **الطباق** على سبيل المثال علاقة ضدية بين أمرين، وثنائية واضحة تظهر المعاناة التي عاناها اللصوص في مجتمعهم. ويقوم على أساس فكري قدم الشعراء مــن خلالــه مــوقفهم الخــاص من الحياة. فلا يشتد تأثير الأمور إلا حين تقرن بأضدادها.

قال عبيد الله بن الحرّ الجعفي: (٦٩)

إذا أخذَتْ كفّي بقائِم مرهفٍ وكان قصيراً عادَ وهو طويلُ

عبّــر الــشاعر عن قصر السيوف، ومدّ الأيدي بها بالجمع بين نقيضين. ومن شأن الجمع بين المتناقضات أن يولد إيقاعاً خاصاً في الصورة. فقد أراد الجعفي أن يفخــر بحسن قتاله، وقدرته على النيل من عدوه، فعبر عن هذه الفكرة بالجمع بين النقيضين.

وفــي **التقــسيم** مراعاة واضحة للجانب الإيقاعي في الصورة. يقول الأحيمر السعديّ:(٧٠)

فللَّيْل إن وارانيَ الليل حكمُهُ وللشمسِ إن غابتْ عليَّ نذورُ

إن اجــتماع الطباق والتقسيم جعل الصورة نشيطة إيقاعياً. فتتشابه حياة اللص الحافلــة بالحركة مع إيقاع صوره. فإيقاع الصورة انعكاس لإيقاع الحياة. والتقسيم فــي البــيت رفع وتيرة الإيقاع لاسيما أن المتطابقين يتصدران شطري البيت. ما أعطى البيت نوعاً من التناظر.

استطاع بعض الشعراء اللصوص أن يوجدوا وحدة إيقاعية ضمن النص الشعري من خلال التركيب المتماسك، والقدرة على التعبير. وها هو هفوان العُقيلي يأمر صاحبيه ألا يتأخرا لئلا يدركهما الطلب، فيقول: (٧١)

لاتخبزا خبزاً وبُسّا بَسّاً (٧٢)

مَلْساً بذَوْد الحُمَسّى مَلْسا (٧٣)

نومتُ عنهنَّ غُلاماً جِبْسا (٧٤)

أضعفَ شيءٍ مُنَّةً ونَفْسا

وقد تَغَطَّى فروةً وحِلْسا (٧٥)

من غُدوةٍ حتى كأنَّ الشَّمْسا

بالأفقِ الغربيّ تُطلى ورسا

لاتُوقدا ناراً وبُسّا بَسّا

في قصعةٍ ولاتمسا عُسا (٧٦)

واتخذاها للعدوّ تُرسا (٧٧)

مُخالساً غُساً وطعناً دَعْسَا

إن هدير حرف السين ظاهرة تقودها حركة نفسية داخلية. تنساب الحركة الإيقاعية مع هدير حرف السين في الصورة الكلية، وتتجلى مع تكرار بعض الكلمات مثل بُسّا بَسّا مع وجود الجناس. فتتكرر الكلمة أو ما يشابهها مع القافية التي تأتي مع حرف السين المطلقة لتكشف عن القلق الذي يعتري نفس هذا الشاعر. إنه يوصي رفاقه أن ينتبهوا، ولايتأخروا. ويتكرر الجناس مع تكرار السين راسماً

هندسة إيقاعية تقوم على صفير السين المكررة في كل شطر مرة، أو أكثر، فتشكل هـذه الأبـيات وحدة إيقاعية متناغمة. ولعل الظاهرة المثيرة للاهتمام لدى هؤلاء الـشعراء ظاهـرة **التقديم والتأخير**. فقلّ أن نجد صورة لاتبدو فيها هذه الظاهرة. ولعلهـا مرتبطة بنفسية اللص المضطربة. فقد قدموا مامن حقه التقديم في نفوسهم؛ لتخصيصه، وزيادة الاهتمام به.

يقول مرَّةُ بن محكان: (٧٨)

ولستُ – وإن كانت إليَّ حبيبة – بباك على الدنيا إذا ما تولَّتِ

فـلا شيء يدعوه إلى التعلق بهذه الدنيا. إن عمق إحساسه بالغربة عن مجتمعه جعلـه يـرفض التمـسك بهـا. وقد فصل الشاعر بين اسم ليس، وخبرها بالجملة الـشرطية المعترضـة. ولعل هذه الخلخلة التركيبية للجملة قد ولدت خلخلة على المـستوى الإيقاعي. فالتشكيل الإيقاعي تشكيل نفسي بالدرجة الأولى. " إن ثمة لذة شـعرية رائعـة فـي الحركة النفسية الإيقاعية للكلمات ومقاطعها. لكن هذه اللذة مـشروطة بكـون هذه الحركة آتية في مدٍّ من تفجرات الأعماق. وإلا تحولت إلى رنين صنعي بارد أجوف ". (٧٩)

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

إن جملة الشرط الواردة في البيت الأول أتى جوابها محذوفاً، دلّ عليه السياق. والتـركيب الـشرطي تركيب يشدّ المتلقي، ويجعله متلهفاً لسماع الجواب. ومن ثم يـرتفع الإيقاع مع فعل الشرط، ويهبط مع الجواب. فالأصل أن يقول: لست باكياً على الدنيا وإن كانت إلي حبيبة. لكن خلخلة النسق اللغوي جعلتنا نشعر أن الجملة الشرطية أتت اعتراضية، وأحدثت انقطاعاً في الإيقاع بين ماسبقها وماتلاها. وفي الوقت نفسه حرضت المتلقي على توقع الجواب، فأحدثت إيقاعاً عالي النبرة في شد المتلقـي لـسماع الجواب من جهة، وفي تخلخل الجواب في الجملة المعترضة من جهة ثانية، وفي تأخير خبر ليس، وزيادة تلهف المتلقي لسماعه. ومن ثم زيادة حدة الإيقاع حتى يصل إلى الخبر من جهة ثالثة.

ويتـناغم الإيقـاع هنا مع الإيقاع الخبري. ففي الإيقاع الخبري تكون الحركة بسيطة، متسلسلة. لكن في هذا البيت أصابها بعض الانقطاع في الجملة المعترضة.

فيــرتفع الإيقاع مع بداية الشطر الشعري، ونفي الحدث عن النفس (لستُ) ما يحفز انتــباه المتلقي لتلقي الخبر، فيصيبه الانقطاع مع الاعتراض. لكن هذا الاعتراض حمــل ارتفاعــاً إيقاعياً من نوع آخر بدأ مع الشرط، وبقي مرتفعاً؛ لأن فهم جوابه مــتوقف علــى السياق. ثم ارتفع الإيقاع أكثر مع الجملة الخبرية؛ ليستقر في نهاية البــيت، فاكــتمل المعنــى بين اسم ليس وخبرها من جهة، و فعل الشرط وجوابه المتوقف فهمه على السياق من جهة أخرى.

وللتنكير إيقاع مميز في أشعارهم. إنه يرتبط بالصورة الشعرية من خلال حمله إيحــاءات عــدة. فيــنطلق المتلقي إلى آفاق شعرية واسعة، وحافلة بالغموض. أما التنوين الذي يرافق التنكير فيعطي إيقاعاً نغمياً قوياً خصوصاً عندما يتكرر التنوين في الشطر الشعري الواحد. يقول دوير بن دؤالة العقيلي يصف حال اللص: (٨٠)

أسجناً وقيداً واغتراباً وعُسْرةً وذكرى حبيبٍ ؟ إنَّ ذا لعظيمُ

إن تكرار التنوين في البيت ولد إيقاعاً غنياً عكس شدة الاضطراب النفسي الذي يعــيش فيه هذا الشاعر. فقد حرم، بسبب لصوصيته، من كل شيء. فإذا به يعاني الــسجن، والقــيد، والغربة النفسية، والحسرة. وفوق ذلك كله تأتي ذكرى حبيبته؛ لــتجعل مــن معاناته معاناة لاحدود لها. وثمة جانب إيقاعي آخر يضاف إلى هذا الجانــب هو الإيقاع الصادر عن الإنشاء. فقد خرج الاستفهام إلى غرض بلاغي، فرفع من وتيرة الإيقاع من بداية البيت إلى نهاية الاستفهام. ويعكس هذان الأسلوبان الأزمــة النفــسية للشاعر، والمشاعر المختلطة التي ترافقه. فالإيقاع في هذا البيت متنوع بين ارتفاع وهبوط.

وبعودة إلى الصور البيانية من تشبيه، واستعارة، وكناية نجد أنها تنطوي على جوانب إيقاعية؛ إذ يقوم التشبيه على أساس المقارنة بين أمرين في صفة ما.

فمــن خلال الموازنة أو التناظر بين المشبه والمشبه به تتوافر عناصر إيقاعية معيــنة. فـ "مما يزداد به التشبيه دقة وسحراً أن يجيء في الهيئات التي تقع عليها الحــركات. " (٨١) لكــن هــذه الحركة الإيقاعية محدودة؛ لأن المقارنة بين طرفي التــشبيه تحدّ من حرية الحركة الإيقاعية ، ومن أفقها. قال سارية بن زُنَيْم الدؤلي معتذراً إلى النبي محمد – صلى الله عليه وسلم – وكان بلغه أنه هجاه، فتوعده.(٨٢)

تعلّـــمْ رســـول اللهِ أنـــكَّ قـــادرٌ علـــى كـــلِّ حـــيٍّ من تِهام ومُنْجِدِ

تعلَّـــمْ رســـولَ اللهِ أنَّـــك مدركـــي وأنَّ وعـــيداً مـــنك كالأخـــذِ بالـــيدِ

إن ثمـــة علاقة تشبيهية بين طرفين مختلفين، متفقين أثراً. فثمة طرفان، وثمة حـــركة إيقاعـــية ناجمة عن التناظر بين هذين الطرفين. لكن هذه الحركة محدودة. ووجـــود الأداة يبطّـــئ الحركة الإيقاعية. كما أن الصورة التشبيهية لاتعطي مجالاً للتخـــيل؛ لأنها تحصر الصورة في طرفين. أما الاستعارة فتقوم على تفجير طاقات اللغـــة. فـــإذا بهـــذين الطرفين ينصهران، ويبدوان كلاً واحداً. مع أن هذا التوافق وهمي. يقول عبيد بن أيوب العنبري: (٨٣)

أذقني طعمَ الأمنِ أو سَلْ حقيقةً عليَّ ، فإن قامتْ ففصِّل بنانيا

تـــدمج الاستعارة العناصر، وتوحدها. فقد اندمج الطرفان في هذه الاستعارة ما أحـــدث حركة دلالية معينة، وحركة إيقاعية متناغمة مع الحركة الدلالية. فالحركة في الاستعارة أنشط من الحركة في التشبيه؛ فلا طرفان ولا أداة تشبيه. ولعل وتيرة هذا الإيقاع تزداد حين ننظر إليه من خلال ارتباطه بالسياق الشعري. فقد بدأ البيت بفعـــل الأمـــر الذي يهيء المتلقي لفعل طلب ما، فتتنشط الحركة الإيقاعية. وتلته الاســـتعارة (طعم الأمن) بإيقاعها النغمي النشيط، تلاه إيقاع الفصل (أو سل حقيقة) وفي هذا الفصل انقطاع في الإيقاع. لكنه ينهي الشطر الأول بتنوين نصب يسمح له بإفـــراغ شحنته العاطفية التي تتناغم مع التنوين . فإذا بهذا التنوين يساعد الشاعر على أن يفرغ معاناته وألمه. فقد وقف عند التنوين مع أن الجملة لم يكتمل معناها. لكـــنها محطة تريحه من خلال صدى التنوين المتناغم مع الصدى النفسي لديه. إنه يطلـــب التحقيق في جرائمه. فإما أن يعاقَب إذا ثبتت عليه الجريمة، وإما أن يعفى عنه، فيذوق طعم الأمن. وفي الجملة الأخيرة (فإن قامت ففصل ..) انقطاع إيقاعي عـــن الجملـــة الـــسابقة. وكأنه أراد الفصل بين الحالين حين يتم التبين من حقيقة الـــسؤال. والجملـــة الأخيرة تحدث انقطاعاً إيقاعياً. لكنه تولد في نفسه الآن إيقاعاً

خاصـــاً بها. إذ يرتفع الإيقاع مع فعل الشرط، ويهبط مع جوابه لنصل إلى مستوى إيقاعي محدد في نهاية البيت بعد أن ارتفع مع فعل الشرط .

صحيح أن النص الشعري مكون من مجموعة من الصور الجزئية لكنها تندرج تحـــت صورة واحدة هي الصورة الشاملة؛ لأن التجربة الشعورية واحدة في النص الـــشعري. فتتداخل العلاقات الإيقاعية مع الحالة النفسية للشاعر، وتظهر الصورة الشاملة في القصيدة، وليست الصورة الجزئية وحدها، إن العمل الكامل الذي يتصف بالحيوية والنمو" يكون بربط أجزاء الصورة الكلية فيما بينها بعلاقات عضوية حية نابعة من وحدة الشعور المسيطر على التجربة الوجدانية." (٨٤)

- خاتمة :

لقـــد حمل شعر اللصوص جوانب فكرية واضحة، وعبر عن طبقة مسحوقة في المجتمع ربما لم يلتفت إليها غيرهم من الشعراء. فحملت صورهم وفهمهم الخاص للحـــياة، ولمسألة الحق والصواب، وجددوا في طرائق التعبير فأبدعوا صوراً ظلت تـــشدنا إلـــى يومـــنا هذا. وقد اعتمدت صورهم على الثنائية الضدية التي عكست تناقـــضات الواقع الذي عاشوا فيه. فظهرت على سبيل المثال، ثنائية الجد / الهزل فقد سخروا، وأظهروا الروح الفكاهية. حتى في المواقف الجدية.

وأكثروا من استخدام أداة التشبيه (كأن)؛ لأن معاناتهم جعلتهم غير قادرين على الحكم على الأمور بشكل يقيني.

وفـــي الاســـتعارة أبدعوا استعارات رائعة، وبرعوا في مجال التشخيص؛ لأنه يعتمد على أنسنة الجوامد. وربما كان الإنسان أشد ما اهتموا به.

وقـــد اقتـــرن التصوير الحسي لديهم بالتصوير النفسي، فلم يصفوا شيئاً وصفاً خارجيا. لقد خلعوا عليه مشاعر إنسانية.

أما الرؤيا فقد ارتبطت بالرمز، وانكفأت إلى الوراء؛ لأنهم ظلوا أسيري الحاضر والماضي. وقد اقترنت نظرتهم إلى المستقبل بالسوداوية.

وقد اتسمت صورهم بجوانب إيقاعية غنية عكست غنى الأحداث التي مرت في حياتهم.

الهوامش

١- الجـــاحظ، عمـــرو بن بحر: ١٩٦٩ ، الحيوان – ط٣ – حققه وشرحه عبد السلام هارون – المجمع العلمي العربي الإسلامي – بيروت – ج٣/١٣٢

٢- الجرجاني، عبد القاهر: ١٩٧٨ ، دلائل الإعجاز في علم المعاني – دار المعرفة – بيروت – ص٦٤ .

٣- الجرجانـــي، عبد القاهر: ١٩٧٨ ، أسرار البلاغة في علم البيان – دار المعرفة – بيروت – ص١٢٧ .

٤- ينظـــر: ناصـــف، د.مصطفى: ١٩٨١ ، الصورة الأدبية – ط٢ – دار الأندلس – بيروت – ص١٤١ .

عـــساف، د.عـــبدالله : ١٩٩٦ ، الـــصورة الفنية في قصيدة الرؤيا – ط١ – دار دجلة القامشلي – ص٤٣ .

٥- عـــبد الـــرحمن، د.نصرت: ١٩٧٦ ، الصورة الفنية في الشعر الجاهلي في ضوء النقد الحديث – مكتبة الأقصى – عمان – ص(١٩٧-١٨٦) .

٦- ناصف، د.مصطفى: الصورة الأدبية ، ص٥ .

٧- عبد الله، د.محمد حسن: د.ت ، الصورة والبناء الشعري – دار المعارف – مكتبة الدراسات الأدبية – ، ص٤٩ .

٨- الـــبطل، د.علـــي: ١٩٨٠ – الـــصورة في الشعر العربي حتى آخر القرن الثاني الهجري – دار الأندلس بيروت – ص٣٠ .

٩- دهمـــان، د.أحمـــد: ١٩٨٦ ، الصورة البلاغية عند عبد القاهر الجرجاني (منهجاً وتطبيقاً) – ط١ – دار طلاس – ج١ / ٣٠٠-٢٩٩ .

اليافـــي، د. نعيم: أوهاج الحداثة – ط١ – منشورات اتحاد الكتاب العرب – دمشق – ص ١٧١ . ١٠- المائدة : ٣٨ .

١١- الملوحـــي، عـــبد المعـــين: ١٩٩٣ ، أشعار اللصوص وأخبارهم – ط٢ – دار الحضارة الجديدة – بيروت – ج٦/٧٠٩ .

١٢- أشعار اللصوص وأخبارهم – ط٢- دار الحضارة الجديدة – بيروت – ج٢/ب٣ /١٨٨ .ويقصد الشاعر بساكنها ساكن السجن . ||١٣- نفسه : ج١/٥/١٠٦ .

١٤- الأصـــبهاني، الراغب: د.ت ، محاضرات الأدباء ومحاورات الشعر و البلغاء – منشورات دار مكتبة الحياة – بيروت – ج٣/١٩١ .

١٥- أشعار اللصوص وأخبارهم: ج٢/١٠/٣٠ .||١٦- أسرار البلاغة ، ص ١٠٩ .

١٧- أشعار اللصوص وأخبارهم:ج١/٦-٧/٤٤.||١٨- أسرار البلاغة ، ص١٠٩ .

١٩- أشعار اللصوص وأخبارهم:ج٢/١-٣/٢٥٩.||٢٠- نفسه : ج٢/١-٣/٢٨٢ .

٢١- نفسه : ج٢/١-٢ – ٣ /-٢٣٣-٢٣٣ .||٢٢- نفسه : ج٥/١-٢/٦٥٧ .

٢٣- نفسه : ج٣/٨-٩/٤٩٧ .

٢٤- الحزن: بلاد يربوع ، وهي أطيب البادية مرعى ، الصبيب : شجر يختضب به.

٢٥- أشعار اللصوص وأخبارهم : ج٤/٩/٥٣١ .

٢٦- قماشة: فتات الأشياء يطلق على رذالة الناس . ||٢٧- نفسه : ج٢/٤،١/٢٨٣ .

٢٨- ابـــن جني، عثمان: د.ت ، الخصائص ، حققه : محمد علي النجار – دار الهدى – بيروت – ج٢/٤٤٢ .

٢٩- أشعار اللصوص وأخبارهم : ج٢/١٢، ١٤/ ٢٢٥.

٣٠- صفراء نبعة : القوس . الربذي : محركة الوتر . المعابل : النصال .

٣١- نفسه : ج١/٤/١٨٤ .

٣٢- أرســـطو طالـــيس: ١٩٦٧ ، في الشعر – حققه وترجمه ترجمة حديثة د.شكري عياد – دار الكاتب العربي – القاهرة – ص١٢٨ .

٣٣- أشعار اللصوص وأخبارهم: ج١/٥/١٥٠ . ||٣٤- أسرار البلاغة : ص٣٣ .

٣٥- أشعار اللصوص وأخبارهم: ج٢/١-٥/٢٩٨-٢٩٩ .

٣٦- الغداف المقشب: الموت الأسود بالسم. || ٣٧- المثغب : الكثير .

٣٨- نفسه : ج١/٣/٢٢ . || ٣٩- الأعراف : ٣٤ . || ٤٠- نفسه : ج١/٨/٩٧ .

٤١- نفسه : ج١/٤-٥/٩٧ . || ٤٢- نفسه : ج٥/١/٦٥٩ .

٤٣- نفسه : ج٤/١/٤٩٧ . || ٤٤- دلائل الإعجاز : ص ٢٣٦-٢٣٧ .

٤٥- أشعار اللصوص وأخبارهم:ج٥/١-٥،٤،٢/٦٤٠.||٤٦- نفسه:ج٥/١-٢/٦٥٠ .

٤٧- أشعار اللصوص وأخبارهم : ج٢/١-١١،٤،٢-١٤/ ٣١٠ - ٣١١ .

٤٨- مسئياً : أراد مسيئاً فقدم الهمزة . ||٤٩- دلائل الإعجاز : ص٣٦ .

٥٠- أشعار اللصوص وأخبارهم:ج١ / ١-٣ / ٦٢ .||٥١- نفسه:ج١/١-٢/ ١٨٨ .

٥٢- نفسه : ج٣/١٧-٢٠/ ٣٤٣ . || ٥٣- القبص : ضرب من السير .

٥٤- الرضيخ: المنكسر ، القسب: التمر اليابس . الصَّلاء: جمع صلاية وصلاءة وهي كل حجر عريض يدق عليه عطر أو هبيد .

٥٥- نفسه : ج١/١٤-٦ ، ١٩-٢٠/ ١٩٥.|| ٥٦- نفسه : ج٢/١-٣/١٨٩ - ١٩٠ .

٥٧- نفسه : ج١/١-٣/٩٦ .

٥٨- الزمخشري، محمد بن عمر: ١٩٥٣ ، الكشاف عن حقائق التنزيل ، وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ، ط٢ – ضبطه وصححه: مصطفى حسين أحمد- مطبعة الاستقامة – القاهرة – ج١/٤٩٧ .

٥٩- أشعار اللصوص وأخبارهم: ج٤/١٢/٥٨٢ . ||٦٠- نفسه : ج٢/١-٣/١٧٩ .

٦١- مغدقاً: مطراً هطالاً. لبس جيوبها:يعم أقطارها .||٦٢- نفسه : ج٢/١-٢/٢٠٠ .

٦٣- نفسه : ج٢/١-٣/٢٠٠-٢٠١ .

٦٤- طربة: شوقاً، أهوى ركوب الموارد: أحب العودة إلى شأني القديم في ركوب المخاطر والأهوال.|| ٦٥- نفسه: ج١/١-٤/٤٣. || ٦٦- اللمام:الزيارة في الأحايين .

٦٧- القسام من القسم : والقسام : اليمين .

٦٨- ويليك، رينيه ووارين، أوستن: د.ت ، نظرية الأدب – ترجمة محيي الدين صبحي – المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم العامة – ص١٩٧.

٦٩- أشعار اللصوص وأخبارهم : ج٢/١/٢٧٧ .

٧٠- نفسه : ج١/٣/٩٧ . || ٧١- نفسه : ج٤/١-١١/ ٦٣١-٦٣٢ .

٧٢- يأمر صاحبيه ألا يتأخرا حتى يخبزا الخبز ، وأن يصنعا البسيسة وهي خليط من الطحين والسمن .

٧٣- الملس: ضرب من السير السريع، الحمسي: منسوب إلى حميس بن أد .

٧٤- الجبس: الغلام الكسلان النؤوم . || ٧٥- الحلس: كساء على ظهر البعير .

٧٦-العس:الإناء الكبير.||٧٧- يأمرهما أن يجعلا الإبل ترساً من العدو إذا لقيا حرباً .

٧٨- نفسه : ج١/٥/١١٤ .

٧٩- أدونيس: ١٩٨٣ ، مقدمة للشعر العربي - ط٤ - دار العودة - بيروت - ص٩٤ . || ٨٠- أشعار اللصوص وأخبارهم : ج١ / ١/ ١٣٧ .

٨١- أسرار البلاغة ص ١٦٤.|| ٨٢- أشعار اللصوص وأخبارهم:ج١ / ١-٢/ ٥٦ .

٨٣- نفسه : ج٢/١/٢٣٤ .

٨٤- حمدان، د.ابتسام:١٩٩٧ ، الأسس الجمالية للإيقاع البلاغي في العصر العباسي - ط١ - دار القلم العربي - حلب - ص٢٦٠ .

- المصادر والمراجع :

١- القرآن الكريم .

٢- أدونيس: ١٩٨٣ ، مقدمة للشعر العربي - ط٢- دار العودة - بيروت .

٣- أرسطو طاليس: ١٩٦٧ ، في الشعر - حققه وترجمه د. شكري عياد - دار الكتاب العربي - القاهرة .

٤- الأصبهاني، الراغب: د.ت ، محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء و البلغاء - منشورات دار مكتبة الحياة - بيروت .

٥- البطل، د.علي: ١٩٨٠ - الصورة في الشعر العربي حتى آخر القرن الثاني الهجري - دار الأندلس - بيروت .

٦- الجاحظ، عمرو بن بحر: ١٩٦٩ ، الحيوان - ط٣- حققه وشرحه عبد السلام هارون - المجمع العلمي العربي الإسلامي - بيروت .

٧- الجرجاني،عبد القاهر:١٩٧٨، أسرار البلاغة في علم البيان-دار المعرفة- بيروت

٨ - الجرجاني، عبد القاهر: ١٩٧٨ ، دلائل الإعجاز في علم المعاني- دار المعرفة - بيروت .

٩- ابن جني،عثمان: د.ت:الخصائص.حققه محمد علي النجار- دار الهدى- بيروت .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

١٠- حمـــدان، د.ابتسام:١٩٩٧ ، الأسس الجمالية للإيقاع البلاغي في العصر العباسي – ط١ – دار القلم العربي – حلب .
١١- دهمـــان، د.أحمد: ١٩٨٦ ، الصورة البلاغية عند عبد القاهر الجرجاني (منهجاً وتطبيقاً) – ط١ – دار طلاس ..
١٢- الزمخـــشري، محمـــد بن عمر: ١٩٥٣ ، الكشاف عن حقائق التنزيل ، وعيون القاويـــل فـــي وجوه التأويل ، ط٢ – ضبطه وصححه: مصطفى حسين أحمد-مطبعة الاستقامة – القاهرة .
١٣- عـــبد الرحمن، د.نصرت: ١٩٧٦ ، الصورة الفنية في الشعر الجاهلي في ضوء النقد الحديث – مكتبة الأقصى – عمان .
١٤- عبدالله، محمد حسن: د.ت ، الصورة والبناء الشعري – دار المعارف – مكتبة الدراسات الأدبية – القاهرة .
١٥- عساف، د.عبدالله: ١٩٦٩ – الصورة الفنية في قصيدة الرؤيا – ط١- دار دجلة – القامشلي .
١٦- الملوحـــي، عـــبد المعـــين: ١٩٩٣ ، أشعار اللصوص وأخبارهم – ط٢ – دار الحضارة الجديدة – بيروت
١٧- ناصف، د.مصطفى: ١٩٨١ ، الصورة الأدبية – ط٢- دار الأندلس – بيروت .
١٨- ويلـــيك، رينـــيه وواريـــن، أوستن: د.ت ، نظرية الأدب – ترجمة محيي الدين صبحي – المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم العامة .
١٩- اليافـــي، د.نعيم: د.ت، أوهاج الحداثة – ط١ – منشورات اتحاد الكتاب العرب – دمشق .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

توظيف اللسانيات الحاسوبية
في خدمة الدراسات اللغوية العربية
" جهودٌ ونتائج "

د. عبدالرحمن بن حسن العارف
جامعة أم القرى

مقدمـــة:

تعد دراسة اللغة العربية باستخدام اللسانيات الحاسوبية (المعلوماتية) من أحدث الاتجاهات اللغوية في اللسانيات العربية المعاصرة .

ويتـــناول هذا البحث جهود الباحثين المعاصرين العرب – بصفة عامة، واللغويين – بوجه خاص – في تطويع تقنيات الحاسوب لخدمة الدراسات اللغوية العـــربية، أصـــواتاً، وصـــرفاً، ونحواً، ومعجماً، ودلالة، ومدى إفادتها منه في معالجة قضاياها المختلفة .

وكمـــا هو معروف فإن العلاقة بين الحاسوب واللغة العربية تقوم على محورين أساسيين : أولهما المحور النظري، والآخر التطبيقي .

وفـــي ضـــوء هذا يستعرض الباحث نشأة الاتجاه الحاسوبي في دراسة علـــوم اللغـــة العربية، والظروف والملابسات التي أسهمت في تكوينه بوساطة الجهـــود الفردية، أو الجهود المؤسساتية والرسمية، والمشكلات التي واجهته في ضـــوء خصوصية اللغة العربية، والبرمجيات، والحاسوبات، وما قدم من حلول لمعالجة تلك المشكلات .

كمـــا يتـــناول البحث نتائج استثمار هذا الاتجاه في مجال تعليم العربية لأبـــنائها، وللناطقين بغيرها من اللغات، وفي مجال الترجمة الآلية، والتعريب،

والإحـــصاء اللغـــوي، والمعالجة الآلية للأصوات، والصرف، والنحو، والمعجم والدلالـــة. ويخلُص إلى تحديد ملامح هذا الاتجاه الحديث في اللسانيات العربية المعاصرة، وأثره في تطوير اللغة العربية وتنميتها في العصر الحديث .

تـــمَّ اختـــراع جهاز الحاسوب – كما تذكر المصادر – في أواخر النصف الأول مـــن القرن المنصرم (القرن العشرين)، وتحديداً عام ١٩٤٨م[١]، وأصبح مـــنذ ذلـــك التاريخ متاحاً للإفادة منه في جميع مجالات الحياة، ومختلف العلوم والمعارف الإنسانية.

وتطـــورت تقنـــية هذا الجهاز عبر السنوات تطوراً مذهلاً، منذ ظهور الجيل الأول من الحواسيب الآلية سنة ١٩٥١م، وحتى ظهور الجيل الخامس منه سنة ١٩٩١م .

أمـــا بـــدء استخدام الحاسوب في دراسة اللغة على مستوى العالم، فمن الصعوبة بمكان وضع تأريخ زمني محدد له ؛ وذلك لأنه لم يحدث دفعة واحدة، بل تمَّ نتيجةً لمحاولات متفرقة، وعلى مراحل زمنية مختلفة، وفي دول متعددة.

فعلـــى المـــستوى الأمريكـــي يذكـــر الدكـــتور مايكـــل زار تـــشناك (M.Zarechnak) أســـتاذ علـــم الدلالة ومنظم البرمجة اللسانية الآلية بجامعة جورج تاون، أن العمل في اللسانيات الآلية بدأ في قسم اللسانيات بجامعة جورج تـــاون ســـنة ١٩٥٤م، وذلـــك في حقل الترجمة الآلية من اللغات الأخرى إلى الإنجليـــزية[٢]. وهذا يعني أن بداية الخمسينيات من القرن الماضي شهدت ولادة المعالجة الآلية للغات البشرية.

أمـــا علـــى المستوى الأوروبي فتذكر المصادر أن أقدم محاولة لدراسة اللغـــة بوســـاطة الحاســـوب تمَّت سنة ١٩٦١م، بجامعة قوتبرغ (Goteborg)

السويدية، لكن هذه المحاولة ظلت ذات طابع محلي، ولم ترق إلى مستوى الذيوع والانتشار والتأثير في محيطها الأوروبي .

والبداية الفعلية لهذا الاتجاه كانت – كما تقر المصادر – لمركز التحليل الآلـــي للغـــة بمديـــنة (قـــالارات Gallarat) بإيطاليا، الذي كان يشرف عليه روبارتوبـــوزا (Roberto Busa)، حـــيث وضع سنة ١٩٦٢م الدعائم الأولى لاستخدام الحاسوب في دراسة اللغة .

ثـــم توالـــى بعد ذلك افتتاح المراكز الحاسوبية للغة في أوروبا والاتحاد السوفيتيي، كما هي الحال في المركز الحسابي لدراسة الأدب واللغة في جامعة كامبـــردج ســـنة ١٩٦٤م، والمركـــز المعجمـــي بمجمـــع دالاكروســـكا (Dellacrusca) بإيطالـــيا ســـنة ١٩٦٤م، ومعهد الألسنية التابع لمجمع العلوم بكيف في أوكرانيا (الاتحاد السوفييتي سابقاً) سنة ١٩٦٤م – أيضاً–[٣] .

أمـــا بالنـــسبة للعلوم النظرية عند العرب في العصر الحاضر فقد كانت العلوم الشرعية من أسبق العلوم الإنسانية استخداماً لتقنية الحاسبات الإلكترونية ونظـــم المعلومات، حيث بُدئ بالعمل بها والإفادة منها في السبعينيات من القرن الماضـــي[٤]. وظلت علوم اللغة العربية في منأى عن الانتفاع بها بعض الوقت، حتـــى قـــيض الله لها من رأى أنه يمكن لهذه العلوم أن تفيد من الحاسوب فائدة كبرى .

وتبدأ قصة الاتصال العلمي بين الحاسوب والبحث اللغوي العربي – كما يذكر الدكتور إبراهيم أنيس (١٩٠٦–١٩٧٨م) – حينما فاتحه الدكتور (الطبيب) محمـــد كامـــل حـــسين (١٩٠١–١٩٧٧م) متـــسائلاً عن إمكانية الاستفادة من الكمبيوتـــر – (الحـــسَّابة الآلـــية) كما يحب الدكتور أنيس أن يطلق عليه – في الـــبحوث اللغـــوية، فصادفت هذه الفكرة في نفسه قبولاً واستحساناً، خاصة أنها

كانـــت تـــداعب خياله مُذْ نما إلى سمعه المجالات المتوافرة لتطبيقه في البحث العلمي .

ويـــضيف الدكتور أنيس بأنه انتهز فرصة زيارته لجامعة الكويت سنة ١٩٧١م للعمل بها أُستاذاً زائراً، وهناك التقى بالدكتور علي حلمي موسى، أستاذ الفيزياء النظرية في جامعة الكويت، وطرح عليه فكرة الاستعانة بالحاسوب في إحصاءات الحروف الأصلية لمواد اللغة العربية، بُغْية الوقوف على نسج الكلمة العـــربية. وقـــد رحب بهذه الفكرة واستحسنها، وبدأ بالتخطيط لها وتنفيذها في النصف الأول من عام ١٩٧١م، وكان من ثمرة ذلك صدور الدراسة الإحصائية للجذور الثلاثية وغير الثلاثية لمعجم الصحاح، للجوهري (٣٢٤هـــ)[٥] .

أمـــا خطـــوات العمل في هذا الإحصاء فتوزعت على ثلاث مراحل : الأولـــى إدخـــال المـــواد اللغوية في ذاكرة الكمبيوتر، والثانية وضع برنامج له بإحدى لغات الكمبيوتر، والثالثة التنفيذ الفعلي لهذا البرنامج[٦] .

وجـــاءت نـــتائج هذه الدراسة في صورة جداول إحصائية لجذور اللغة، وحروفها، وتتابع أصواتها، وخصائص حروفها، مقرونةً بدراسة تحليلية موجزة عن التفسير اللغوي لما ورد بتلك الجداول[٧] .

واســـتقبل الباحثون والعلماء هذا العمل العلمي بقبول حسن، رغم وجود فـــئة حاولـــت أن تُشَكِّك وتُهَوِّن من جدوى هذه الدراسة، وفائدتها على الدرس اللغوي[٨] .

ومـــما لاشـــك فـــيه أن اللغـــة العربية بعلومها المختلفة، كالأصوات، والـــبلاغة، والعـــروض والقافـــية، أفادت أيما فائدة من نتائج هذه الإحصائيات الدقيقة.

وتـــبع ذلك صدور دراسة ثانية لإحصاء جذور معجم لسان العرب لابن منظور (٧١١هـــ)، وكان هذا عام ١٩٧٢م، ودراسة ثالثة لإحصاء جذور معجم تاج العروس للزُّبيدي (١٢٠٥هـــ)، واشترك في هذا العمل الأخير الدكتور عبد الصبور شاهين، وكان هذا عام ١٩٧٣م .

وقـــد صـــدرت هذه الأعمال جميعها عن جامعة الكويت، وكانت بحق ابتكاراً جديداً لم يسبق إليه من قبل، بل هي المرة الأولى في العالم العربي التي تجري فيها هذه الإحصائيات على أسس علمية حديثة ودقيقة .

كمـــا تَـــمَّ – ربما لأول مرة أيضاً – تعاون الفيزيائيين واللغويين حول إحـــصاء كلمات اللغة العربية الواردة في أشهر المعاجم اللغوية، وتحليل ما نتج عـــن ذلك من جداول تحليلاً لغوياً قوامه استخراج مادة اللغة (جذورها)، سواء كانـــت ثلاثية أو رباعية أو خماسية، وتردد الحروف، وتتابعها، ومقارنة نتائج هذه المعاجم الثلاثة بعضها ببعض [9] .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ويذكر الدكتور علي حلمي موسى أنه بدأ عام ١٩٧٤م بالبحث في ألفاظ القرآن الكريم بقصد حصرها، ومن ثمَّ تحليلها ومقارنتها بألفاظ معجم الصحاح، كمـــا أنـــه أخـــذ بالبحث عن دراسة العلاقة بين الحروف والحركات في القرآن الكريم، ومقارنة السُّور المكية بالسُّور المدنية، مستعيناً في ذلك بالآلات الحاسبة الإلكتـــرونية، ومـــشيراً في هذا الصدد إلى أنه قَدَّم أجزاء من هذه البحوث في مؤتمرات علمية عالمية[١٠] .

ولعلـــي لا أبالغ في القول بأن هذا التوجُّه في الفكر العربي المعاصر قد فـــتح الباب واسعاً للباحثين في الدراسات اللغوية والأدبية للولوج من خلاله إلى عالم الكمبيوتر، وتسخيره لخدمة البحث اللغوي والأدبي.

وأقــرب مــثال لهذا ما قامت به الباحثة –آنذاك– وفاء محمد كامل في رســالتها للماجــستير عــن كعب بن زهير بن أبي سلمى – دراسة لغوية، من الاســتعانة بالحاســوب في دراسة شعر هذا الشاعر، وذلك للمرة الأولى – كما يذكر الدكتور حسين نصار – في الدراسات اللغوية في مصر(١١) .

وهكــذا كان حقل الإحصاء اللغوي هو الميدان الأول لتطبيق اللسانيات الحاسوبية على اللغة العربية .

لقد كانت هذه الإرهاصات بداية لظهور فرع جديد من فروع علم اللغة، يطلــق عليه (علم اللغة الحسابي) أو (اللسانيات الحاسوبية) Computational Lingustics أو (اللسانيات الإعلامية) .

وإذا أردنــا تعــريف هذا العلم بشكل مختصر قلنا إنه العلم الذي يبحث «فــي اللغــة البشرية كأداة طيِّعة لمعالجتها في الآلة (الحاسبات الإلكترونية = الكمبيوتــر)، وتــتألف مــبادئ هذا العلم من اللسانيات العامة بجميع مستوياتها التحليلــية : الــصوتية، والــنحوية، والدلالية، ومن علم الحاسبات الإلكترونية (الكمبيوتــر)، ومــن علــم الــذكاء الاصــطناعي، وعلــم المــنطق، ثم علم الرياضيات » (١٢) .

وكانــت البداية الحقيقية لهذا العلم لدى الغرب قد جاءت بعد بزوغ فجر النظــرية التوليدية التحويلية، حيث قامت بتطبيق الأسس والمعادلات الرياضية علــى التحليل اللغوي، ومن ثَمَّ صياغة اللغة صياغة رياضية من أجل برمجتها في الحاسوب، وذلك بغرض استنباط قواعد مقننة ودقيقة . وإن كان هذا لا يمنع مــن القــول إن المدرسة البنيوية قد مهدت الطريق أمام العلماء لربط الدراسات اللغــوية بالحاســوب، لكنها لم تستطع بعد ذلك تطوير أفكارها لتساير ذلك المدّ التكنولوجي المتنامي .

وتقوم اللسانيات الحاسوبية على جانبين رئيسين هما : الجانب النظري، والجانـــب التطبيقي. فأما الجانب الأول (النظري) فيبحث «في الإطار النظري العميق الذي به يمكننا أن نفترض كيف يعمل الدماغ الإلكتروني لحل المشكلات اللغـــوية»[١٣]، وأما الجانب الآخر (التطبيقي) فهو يُعنَى « بالناتج العملي لنمذجة الاستعمال الإنساني للغة... وإنتاج برامج ذات معرفة باللغة الإنسانية » [١٤] .

والواقع أن جهود العلماء العرب المعاصرين والمؤسسات العلمية في هذه المجـــال يمكن نظم عقدها في أربعة صور: الأولى تتمثل في مؤلفات خُصِّصت للعـــربية والحاســـوب، أو الحاسوب والعربية، وجاءت الثانية على هيئة مقالات وبحـــوث نشرت في المجلات والدوريات العلمية، أو ضمن أعمال المؤتمرات، ووقائع الندوات والملتقيات العلمية، أما الثالثة فكانت خاصة بالبرامج والنظم التي وضعت لحوسبة العربية، أو لعوربة الحاسوب، سواء ما كان منها فردياً محضاً، أو نتاجاً مشتركاً، أو عملاً تجارياً عاماً .وأما الصورة الرابعة فتمثلت في إنشاء بعـــض الكليات الجامعية قسماً خاصاً لعلم اللغة الحاسوبي، كما هي الحال في جامعـــة الأميـــر سلطان الأهلية بالرياض (المملكة العربية السعودية). وسوف نعـــرض بالتفـــصيل لكـــل ذلك ما أمكننا، في إطار الهدف الموضوع والخطة المرسومة لهذه الدراسة .

وإذا أردنـــا عـــرض مراحل التطور لعلم اللغة الحاسوبي في الدراسات العـــربية المعاصـــرة أمكن القول بأن كتاب الدكتور نبيل علي[*] (اللغة العربية والحاســـوب) يُعَدُّ أول مؤلَّف يتناول موضوع اللسانيات الحاسوبية مطبقةً على أنظمـــة اللغة العربية، صوتاً، وصرفاً، ونحواً، ومعجماً، مع المعالجة الآلية لهذه النظم اللغوية جميعها .

وكـــان تـــأريخ صدوره لأول مرة سنة ١٩٨٨م[١٥]. وقد حالف التوفيق المؤلف في كثير من القضايا المتصلة بالحاسوب واللغة، وذلك حينما انطلق في عملـــه هذا من وضع دراسات تقابلية بين العربية والإنجليزية شاملة لكل النظم اللغـــوية، بالنظـــر إلـــى أن الإنجليـــزية هي اللغة الأم لتقنيات نظم الحاسوب والمعلـــومات، وهـــذا ما نتج عنه معرفة أوجه الاختلاف والاتفاق بين اللغتين، وكـــان هـــذا الـــنهج بمثابة الأرض الصُّلْبة والقاعدة المتينة التي هيأت للمؤلِّف منهجـــية وموضوعية، ومكَّنته من الإسهام الإيجابي في جهود تعريب الحاسوب من جهة، والمعالجة الآلية للغة العربية من جهة أخرى .

إن هـــذا الكـــتاب يمثل – في نظري – حجر الزاوية في مسيرة البحث اللغوي العربي في اللسانيات الحاسوبية، بل إنه كما وصفه الدكتور نهاد الموسى – بحـــق – «خطـــوة واسعة واثقة، تنتظم مشروعاً مستوعباً لتأسيس اللسانيات الحاسوبية في العربية، على أساس نظري وتطبيقي في آن واحد معاً»[١٦] .

صـــحيح أنه لم يستوعب جميع قضايا اللغة من باستعمال الحاسوب، إلا أن هـــذا أمر متوقع فيمن يفتتح التصنيف، أو يرد الطريق لأول مرة في أي فن غالبا .

وبعـــد نشر هذا الكتاب بسنوات ثمان – أي سنة ١٩٩٦م – صدر كتاب الدكـــتور عـــبد ذياب العجيلي (الحاسوب واللغة العربية)[١٧]، وهو – كما يقول الدكتور نهاد الموسى – : «خطوة جزئية إيجابية نحو معالجة مسائل متنوعة من العـــربية بلغة برولوج Prolog .وهو يمثل جهدا حميدا في هذا الاتجاه البيني (اللسانيات العربية الحاسوبية)»[١٨] .

وآخـــر هـــذه المـــؤلفات في اللسانيات الحاسوبية – فيما أعلم – كتاب الدكـــتور نهـــاد الموســـى (العـــربية – نحو توصيف جديد في ضوء اللسانيات الحاسوبية)، الذي صدر سنة ٢٠٠٠م[١٩] .

ويُعَـــدُّ هـــذا الكتاب أول مؤلَّف في هذا العلم اللغوي الحديث يصدر عن متخصص في اللغة العربية وعلومها – حسب علمي –، ولذا فهو يمثل فيما أرى نقلةً نوعية في توظيف اللسانيات الحاسوبية لخدمة علوم اللسانيات العربية.

والكـــتاب – كما يذكر مؤلفه – «محاولة في الانتقال من وصف العربية إلى توصيفها، وذلك في ضوء الأطروحة العامة للسانيات الحاسوبية»[٢٠] .

وقـــد اشـــتمل الكتاب على رؤى حاسوبية حاول المؤلف إسقاطها على أنظمة العربية، وخاصة النحو (الإعراب)، والصرف (البنية)، والمعجم، إضافة إلى التصويب اللغوي (الأخطاء النحوية، والصرفية، والإملائية) .

إن هذه الجهود التي تمت ضمن هذا الإطار كانت – كما يلاحظ – فردية الطابع، لكن ذلك لم يدم طويلاً، إذ سرعان ما أصبحت متعددة الأطراف، بعد أن احتـــضنتها المراكـــز والمعاهد التقنية، والجمعيات الحاسوبية في الوطن العربي وخارجه، والمؤسسات والشركات التجارية المحلية والعالمية، وذلك عقب حدوث ثـــورة المعلوماتـــية (Infomatization)، والتفجـــر المعرفي في عالم اليوم، وشـــعور الجمـــيع أفـــراداً وجماعـــات بأنهم أمام تحدٍّ حضاري كبير، وإيمانهم بـــضرورة نقـــل هـــذا الصراع العلمي الثقافي – إن صح التعبير – إلى حوار منهجـــي وتكامـــل معرفي، يؤدي في نهاية المطاف إلى ردم الهوَّة، أو تقليص مسافة الفجوة – على أقل تقدير – بين الغرب والشرق العربي، وذلك ما سينتج عـــنه تـــصحيح لـــتلك المفاهيم الخاطئة، والتصورات المغرقة في التشاؤم، عن

العلاقة بين اللغة العربية والحاسوب، ومن ثم بلورة صياغة لغوية تقنية لاستخدام الحاسوب وتوظيفه في خدمة علوم العربية .

أما البحوث والمقالات الخاصة باللسانيات الحاسوبية، فمنها ما نشر في مجـــلات علمية، ومنها ما أُلقي أو قُدِّم في الندوات والمؤتمرات التي خُصِّصت أصـــلاً للغـــويات الحاســـوبية، أو اللسانيات التطبيقية، أو لتكنولوجيا الحاسوب ومجـــالات استخدامه في العلوم الإنسانية، ثم نشرت هذه البحوث ضمن أعمال تلك المؤتمرات والندوات[٢١] .

وتلك البحوث من الكثرة بمكان، بحيث يصعب – بل يستحيل – حصرها فـــي بحث كهذا، وقد كفانا شيئاً من مؤونة ذلك الدكتور نهاد الموسى ؛ إذ أورد في أدبيات كتابه السابق ذكره طائفة من تلك الأعمال العلمية[٢٢]، وكان عمله في ذلـــك أشـــبه بكتابة تقارير علمية، ومراجعات نقدية، لما قُدِّم في تلك المؤتمرات والندوات العلمية من أبحاث أو ورقات عمل .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

والجدير ذكره في هذا المقام أن هذه البحوث والمقالات قد أضحت تمثل تياراً واضحاً في الجهود اللسانية الحاسوبية، وهذا ما جعل كلاًّ من الدكتور وليد العناتي وزميله الدكتور خالد الجبر، من جامعة البترا الأهلية (الأردن)، يقومان بوضـــع دلـــيل بيبليوغرافـــي لها أسمياه (دليل الباحث إلى اللسانيات الحاسوبية العربية)[٢٣]، حاولا فيه أن يستقصيا جميع ما وقفا عليه من أعمال علمية تنتظم فـــي هذا الميدان. وبلا شك فإن هذا الكتاب سَيَسُدُّ – بعد صدوره إن شاء الله – ثغرة واضحة في المكتبة اللغوية بعامة، واللسانيات الحاسوبية بخاصة.

وقـــبل أن أبـــدأ الحـــديث عن الصورة الثانية من صور جهود العرب المعاصـــرين في ميدان اللسانيات الحاسوبية، يجدر بي أن أثبت حقيقة تأريخية، وهـــي أن بحوث الدكتور إبراهيم أنيس التي كتبها بآخرة من العمر، تُعَدُّ – فيما

أعلـــم – من أوائل الأعمال التي وجهت الأنظار إلى الاستعانة بتقنية الحاسوب، وتوظـــيفها لخدمة البحث اللغوي[٢٤]. ليس هذا فحسب، بل إنه (يرحمه الله) دلف بنفـــسه إلى هذا الميدان واستثمر نتائج تلك الجداول الإحصائية اللغوية التي كان يخرجها له الكمبيوتر الموجود بمعهد الإحصاء –آنذاك – جامعة القاهرة لصالح تفسير إحدى الظواهر اللغوية، وهي ظاهرة القلب المكاني[٢٥]، وهذه سابقة علمية في مجال اللغة تُحسب للدكتور أنيس، وتُذكر له في مضمار الحاسوب واللغة، أو اللسانيات الحاسوبية العربية .

وباستعراض سريع لتلك البحوث نجد أنها كُتبت بالعربية، والإنجليزية – أيـــضاً –، وجاءت عناوينها شاملة للمستويات اللغوية كافَّة، أصواتاً، وتراكيبَ، وبنيةً، ودلالة، ومعجماً، ولبعض قضايا اللغة من المنظور الحاسوبي، كالترجمة الآلية، وبنوك المصطلحات، وتعليم اللغات، والذكاء الاصطناعي .

أمـــا أصحابها فنجد أن جُلَّهم من اللغويين الأكثر حضوراً وفاعليةً على الـــساحة اللغوية، من أمثال الدكتور محمد الحناش (المغرب)، والدكتور محمود إسماعيل صيني (السعودية)، والأستاذ أحمد الأخضر غزال (المغرب)، والدكتور عبد القادر الفاسي الفهري (المغرب)، والدكتور مازن الوعر (سورية)، والدكتور محمود فهمي حجازي (مصر)، والدكتور عبد الرحمن الحاج صالح (الجزائر)، والدكـــتور سالم الغزالي (تونس)، والدكتور داود عبده (الأردن)، وبعضهم من المتخصـــصين فـــي الحاســـوب أو الهندســـة الحاسوبية، كالدكتور يحيى هلال (المغـــرب)، والدكـــتور محمد مراياتي (سوريا)، والدكتور نبيل علي (مصر)، والدكـــتورة نادية حجازي (مصر). ويلاحظ على أغلب هذه البحوث أنها انتقلت باللـــسانيات الحاســـوبية من مجالها النظري أو التنظيري إلى الجانب التطبيقي، وهو تطور إيجابي يُحسب لأصحاب هذا الاتجاه .

ومـــن المعروف أن الجانب التطبيقي – وهو الجانب الأهم في اللغويات الحاسوبية – يتمثل في تسخير العقل الإلكتروني لحل القضايا اللغوية، وهنا يبرز الدور الرئيس والأثر الفاعل لالتقاء اللغويين والحاسوبيين، والتعاون فيما بينهم، ومـــا يثمر عنه من نتائج تسهم إلى حد كبير في تذليل العقبات وحل المشكلات التـــي تـــواجه التحليل الحاسوبي للغة العربية، هذه العقبات والمشكلات بعضها يتصل بطبيعة اللغة العربية، أصواتاً، وبنيةً، وتركيباً، ودلالة، ومعجماً، وبعضها يـــتعلق بـــنظام الكتابة العربية، وبعضها يتصل بالمصطلح العلمي التكنولوجي للـــسانيات العـــربية، كما أن هناك مشكلات أخرى تتعلق بالبرمجيات، إعداداً، واختياراً للمادة اللغوية العربية (أنموذج لساني عربي)، وتعريباً للبرمجة. وثالث هـــذه المـــشاكل يكمن في الجهاز الحاسوبي (الكمبيوتر)، وأنظمة تمثيل المعرفة على الحاسوب باللغة العربية .

وقـــد بُذلت جهود كبيرة من الأطراف المعنية كافة بهذه القضية للتغلب علـــى تلـــك الإشـــكالات، ومن ذلك ما قدمه الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح (الجزائر) من تصور حول وضع أنموذج لساني للعلاج الآلي للغة العربية، وما طـــرحه الدكتور محمد عبد المنعم حشيش (مصر) من تصميم قاعدة للمعلومات بغـــرض تغطية الثروة اللفظية للغة العربية، والمشروع الذي تبنته مدينة الملك عبد العزيز للعلوم والتقنية (الرياض) حول إنشاء وتطوير بنك آلي للمصطلحات أطلـــق علـــيه (باسم)، وما وضعه الأستاذ أحمد الأخضر غزال (المغرب) من تـــصميم طـــريقة تكنولوجـــية آلية لتعريب الحاسوب، ووضع اللغة العربية في الحاســـوبات الإلكترونية وفق هويتها وخصوصية ومارفهما ورسومها، وتعرف اختصاراً بمجموعة (العمم – شع)(*) .

إن معالجـــة اللغة العربية حاسوبياً أصبحت اليوم أمراً لا حيدة عنه ولا مفرّ منه، وخاصة أن استثمار الدراسة الحاسوبية والمعلوماتية – بصفة عامة – يحقـــق نـــتائج كبيـــرة للغـــة العربية، في مجال التعريب، والإحصاء اللغوي، والمعالجة الآلية، وتعلم اللغات، والترجمة الآلية، وفي مجال التربية والتعليم .

ففـــي مجال التعريب، ونعني به هنا تعريب الحاسوب من حيث أنظمته وبـــرامجه ومـــصطلحاته، فقـــد اتجهـــت جهود التعريب فيه إلى إعداد أنظمة وتصميمها لكي تكون قادرة على العمل باللغة العربية بدلاً من اللغة الإنجليزية، إضـــافة إلـــى إصدار المؤلفات الخاصة بعلوم الحاسبات وتقنيتها باللغة العربية، وترجمة ما كان مؤلفاً بغير العربية .

ولعـــل من أهم الإنجازات في هذا المجال ما قامت به الشركات العربية والأجنبـــية العاملـــة في مجال الحاسوبات، كالشركة العالمية للبرامج (صخر)، وشـــركة (آي. بـــي. إم)، والجريسي للتقنية، من تطوير الحواسيب الشخصية (PC) باللغـــة العربية، ووضع معالج النصوص(*) (عربستار ٢٠٠١) بالعربية أيضاً، وتعريب نظام قواعد المعلومات الخاص بتخزين المعلومات واسترجاعها، وتعريب البرامج اللاتينية...إلخ، علاوة على الهيئات العلمية العربية، كالمنظمة العـــربية للتـــربية والثقافة والعلوم (الإليكسو)، ومعهد الكويت للأبحاث العلمية، ومعهـــد الدراسات الإحصائية بجامعة القاهرة، ومعهد العلوم اللسانية والصوتية بالجزائر، ومعهد الدراسات والأبحاث للتعريب بالمغرب...إلخ[٢٦] .

أما مصطلحات الحاسوب – وهي مسألة لا تقل أهمية عن سابقتها – فقد أســـهم فـــيها الأفـــراد، والمؤســـسات، والشركات .وقد طُرحت في هذا المقام اقتـــراحات عدة من قبل خبراء الحاسوبيات، وكذلك اللغويين[٢٧]، وقام عدد من المتخصـــصين فـــي المدرســـة الوطنـــية للمهندســـين بجامعـــة تونس بتعريب

المـــصطلحات الخاصة بالحاسوبات الصغروية[٢٨]، كما قامت بعض المؤسسات العلمـــية، كمدينة الملك عبد العزيز للعلوم والتقنية (الرياض)، ومعهد الدراسات والأبحـــاث للتعـــريب (الرباط)، ومجمع اللغة العربية الأردني، والمعهد القومي للمواصـــفات والملكية الصناعية بتونس، بإنشاء بنوك للمصطلحات، تهدف إلى توفير المصطلحات المعرَّبة وتوثيقها، وتنميطها وتقييسها وتوحيدها[٢٩] .

والواقع أن موضوع التعريب والمصطلح كان وما زال من أهم القضايا التي تشغل الأمة العربية وحضارتها المعاصرة، ورغم ما بذل من جهود في هذا الإطار فإن النتائج لم تكن على مستوى التقدم التقني الهائل في عصر المعلوماتية والعولمة !!.

أمـــا في مجال الإحصاء اللغوي – وهو كما سبق الميدان الأول لتطبيق اســـتخدام الحاسوب في البحث اللغوي العربي المعاصر – فلا يخفى أن استخدام الإحـــصاء الرياضي في اللغة يحقق تقييماً كمياً «لبعض الخواص النوعية للغة، كمعدلات استخدام الحروف، والكلمات، والصيغ الصرفية، والموازين الشعرية، وأنـــواع الأســـاليب النحوية، أو التوزيع النسبي للأفعال المعتلة والصحيحة، أو للإفراد والتثنية والجمع، أو لحالات الإعراب المختلفة» [٣٠]. كما يحقق توصيفاً كمـــياً لـــبعض العلاقـــات اللغوية، كالعلاقة بين طول جذر الكلمة وعدد مرات تكراره، والعلاقة بين طول الكلمة ومعدل استخدامها داخل النصوص .

ويقـــوم الإحصاء بتفسير بعض الظواهر اللغوية وتحليلها[٣١]. ليس هذا فحـــسب، بـــل هناك «إحصاء جديد يستطيع أن يتعامل مع البنية المعقدة للسياق اللغـــوي، حتـــى يكـــشف لنا عن علاقات الترابط والتماسك بين فقراته وجمله وألفاظـــه، وتلـــك التـــي تـــربط بـــين ظاهـــر العبارات وما تبطنه من معان وإشارات» [٣٢] .

ومـــن المـــشاريع العلمية القيمة في هذا المجال – بالإضافة إلى ما ذكر سابقاً – ما قام به كل من الدكتور يحيى مير علم، والدكتور محمد حسان الطيان والأســـتاذ مـــروان البواب (سورية)، تحت إشراف الدكتور محمد مراياتي، من دراســـات إحـــصائية لـــدوران الحروف في الجذور العربية، وللمعجم العربي، ولـــدوران الحـــروف العـــربية المـــشكولة، ولحروف اللغة العربية[٣٣]. وهناك دراســـات إحـــصائية أخرى صدرت باللغة الإنجليزية في الجامعات الأمريكية والأوروبـــية لجـــوانب لغـــوية مـــتعددة، كالأصوات، والصرف، والنحو للغة العربية[٣٤] .

أمـــا فـــي مجـــال المعالجـــة الآلية[*] للغة العربية، فقد شملت الجهود مـــستويات اللغـــة كافة، كالمستوى الصوتي، والصرفي، والنحوي، والمعجمي، والدلالي، يضاف إليها الترجمة الآلية، والكتابة العربية .

فالمـــستوى الـــصوتي تمت معالجته آلياً بوساطة تحليل طيف الصوت، وتوليد (إنتاج) الكلام، وتخزين الأنماط الصوتية للشخص المتكلم. وتبعاً لهذا تمَّ تـــصميم أجهـــزة تخلـــيق الكـــلام وتحليله، وتوليد الكلام المنطوق آلياً بتحويل النـــصوص المدخلـــة في جهاز الحاسوب إلى مقابلها الصوتي، وعلاج عيوب النطق.

وقـــد أنجـــزت دراساتٌ عدة في هذا المجال، من بينها دراسة الدكتور منـــصور الغامـــدي (السعودية) عن الإدراك الآلي للتضعيف[٣٥]، وهي محاولة لكيفـــية حـــل مشكلة التفريق بين الأصوات اللغوية الطويلة والقصيرة في اللغة العربية، قد تعين مبرمجي الحاسوب على الإدراك الآلي للأصوات اللغوية. كما تأتـــي دراســـة الدكـــتور محمـــد مرياتـــي (معالجة الكلام – تطبيق على اللغة العربية)[٣٦] ضمن هذا التوجُّه في تمثيل النظام الصوتي للغة العربية آلياً. ويلحق

بهـــذه الدراســـات أيضاً ما كتبه الدكتور سالم غزالي عن (المعالجة الآلية للكلام المنطوق، التعرف والتأليف)[٣٧] .

ويـــوجد ببعض الجامعات العربية، والمعاهد العلمية، والمؤسسات التقنية أقـــسام خاصـــة للصوتيات، أو مراكز للسمع والنطق، أو معالجة الكلام، تجري فـــيها أبحـــاث صـــوتية تعتمد في المقام الأول على أجهزة الحاسوب، ويتولى الإشـــراف عليها أساتذة متخصصون في علم الأصوات، كالدكتور محمد صالح الـــضالع (جامعـــة الإســـكندرية)، والدكتور سمير استيتية (مدير مركز السمع والـــنطق بجامعـــة اليرموك)، والدكتور سالم غزالي (مدير مخبر معالجة الكلام العربي بالمعهد الإقليمي لعلوم الإعلامية والاتصال عن بُعْد .I.R.S.I.T بتونس) والدكـــتور منـــصور الغامـــدي بمركز علوم وتقنية الأصوات بمدينة الملك عبد العزيـــز للعلـــوم والتقنية، والدكتور محمد صالح بن عمر (معهد بورقيبة للغات الحـــية بـــتونس)، والدكـــتورة تغريد السيد عنبر[*] (كلية الألسن بجامعة عين شمس)، والدكتور سلمان العاني (جامعة انديانا) .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وهـــناك إنجـــازات أخرى صدرت باللغة الإنجليزية عن معالجة الكلام العربي آلياً[٣٨]، ومع كل ما ذكر من جهود فما زال العمل في هذا المجال ينتظر بذل المزيد من الجهود، لا على مستوى الأفراد بل على مستوى الفريق البحثي المتكامل «نظراً للطبيعة الخاصة لمعالجة الكلام الآلي»[٣٩] .

أمـــا في المستوى الصرفي، فقد تمت المعالجة الآلية له في ضوء أهمية الصرف العربي بالنسبة لنظام اللغة ككل. وقد تناولت هذه المعالجة الآلية بعض جـــوانب الصرف العربي، كالخاصية الثلاثية للجذور العربية، وأصل الاشتقاق، والأنمـــاط الـــصرفية، وثنائية الصيغة الصرفية والميزان الصرفي، والإنتاجية الصرفية، والفائض الصرفي، واللبس الصرفي[٤٠] ... إلخ .

وفـــي هـــذا الصدد قَدَّم الدكتور نبيل علي إطاراً عاماً لمعالجة الصرف العربـــي آلـــياً، وأورد عدة نماذج للتحليل الصرفي الآلي بوجه عام، مبيناً مدى ملائمتها لمطالب الصرف العربي. وتبعاً لهذا قام بعرض نموذج وضعه لمعالجة الكلمـــات العـــربية صـــرفياً في أطوار التشكيل المختلفة، وهو نموذج التحليل بالتـــركيب، وأطلق عليه اسم (المعالج الصرفي المتعدد الأطوار). ويشتمل هذا النموذج المبتكر على عناصر أربعة هي : المعالج الصرف – نحوي، والمعالج الاشتقاقي، والمعالج الإعرابي، ومعالج التشكيل[٤١] .

ويذكـــر صـــاحب هذا النموذج أنه قام بمعاونة إحدى المتخصصات في اللـــسانيات الحاســـوبية (أمل الشامي) بتطوير هذا المعالج الصرفي على ضوء أصـــول الـــصرف العربـــي وخصائصه المميزة، وعمد بعد ذلك إلى إخضاعه لاختـــبارٍ قـــاسٍ في مجالين اثنين هما : تحليل النص القرآني كاملاً، مع إعادة تولـــيده آلياً، ومفردات المعجم الوسيط، وبعد اجتيازه هذا الاختبار بنجاح – كما يقـــول – تـــم اســـتخدامه فـــي عدة تطبيقات أساسية، شملت ضغط النصوص، واســـترجاعها، واكتشاف الأخطاء الإملائية، وتحليل النصوص صرفياً، وميكنة المعجم العربي، مع دمج هذه التطبيقات في قاعدة للنصوص العربية الكاملة .

وقـــد أســـهمت إدارة البحوث والتطوير بشركة العالمية للبرامج في هذا الـــنموذج التطويري للمعالج الصرفي، وتُعَدُّ موسوعة الحديث الشريف – وهي من إنتاج هذه الشركة – من أهم أنظمة استرجاع النصوص التي استخدمت تقنية التحليل الصرفي[٤٢] .

ولـــيس هـــذا هو الأُنموذج الأوحد أو المحاولة الأولى لتطوير نظام آلي للتحليل والتركيب الصرفيين، بل هناك نماذج ومحاولات أخرى، قدمها على حدة كـــل من الدكتور يحيى هلال[٤٣]، والدكتوراة نادية حجازي بالاشتراك مع عبد

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الفـــتاح الـــشرقاوي[٤٤]، والدكتور مأمون الخطاب بالاشتراك مع الدكتور حسان عبد المنان[٤٥] ... إلخ .

وبطبـــيعة الحـــال كانت هناك إشكالات كثيرة واجهت معالجة الصرف العربي آلياً، جُلُّها يندرج تحت طبيعة الصرف العربي[٤٦]، وفي مقابل ذلك أمكن الـــتغلب على تلك المصاعب، وإجراء عمليتي التوليد والتحليل الصرفيين الآليين ضمن الإطار العام للمعالجة الآلية للصرف العربي[٤٧] .

وقـــد أنجز العديد من الدراسات المعالجة للصرف العربي آلياً، كما هو الـــشأن في النماذج السابقة، وقريباً منه ما قدمه الدكتور نهاد الموسى في كتابه (العربية...)[٤٨]، وكذلك دراسة الأستاذ مروان البواب وزملائه عن نظام اشتقاق الكلمة العربية بالحاسوب[٤٩] .

أمـــا المستوى النحوي فتمت معالجته آلياً بوساطة تشخيص أزمة النحو العربـــي أولاً، ثم إدراك خصائص هذا النحو وتحديد أنسب النماذج النحوية التي تـــتلاءم مع هذه الخصائص ثانياً، والكشف عن موقع هذا النحو بإزاء النظريات النحوية الحديثة ثالثاً، وخاصة نظرية تشومسكي التوليدية التحويلية. وتبعاً لذلك جـــاءت معالجة النحو العربي آلياً ذات جانبين: أحدهما تحليلي، والآخر توليدي. فعلـــى الجانـــب الأول يقوم المحلل النحوي الآلي بتفكيك الجملة إلى عناصرها الأولـــية (أي تحليلها إعرابياً)، واستظهار العلاقات النحوية المختلفة .أما على الجانب الآخر فيقوم المولد النحوي بتكوين الجمل على صورتها الأصلية، وبعد ذلـــك تجـــرى علـــيها عمليات التحويل النحوي المختلفة، كالحذف والإضمار، والتقديم والتأخير[٥٠] ... إلخ .

والجهـــود فـــي هـــذا المجال كثيرة على المستويين النظري والتطبيقي، فـــنجدها – على سبيل المثال لا الحصر – في بحث الدكتور عبد الرحمن الحاج

صـــالح عن (منطق النحو العربي والعلاج الحاسوبي)[٥١]، وبحث الدكتور نبيل علـــي عن (الحاسوب والنحو العربي)[٥٢]، وهو بحث لا يكاد يخرج عما أورده في كتابه (اللغة العربية والحاسوب) .

ويضاف إلى هذه الأعمال العلمية في ميدان المعالجة الآلية للنحو العربي بحـــث للدكـــتور مازن الوعر بعنوان (التوليد الصوتي والنحوي والدلالي لصيغ المبني للمجهول في اللغة العربية – معالجة لسانية حاسوبية)[٥٣]، وكذا ما أورده الدكـــتور نهـــاد الموســـى عـــن تمثـــيل النظم، وتمثيل الإعراب، ضمن كتابه (العـــربية...)[٥٤]، كما أقيمت دراسات متعددة للمعالجة الآلية في ترتيب عناصر الجملـــة العـــربية باســـتخدام بـــرامج ذات شبكات موسعة، ومن أبرزها نظام المعمدني، ونظام بن حماد وسعيدي، ومحاولة الدقاشي[٥٥].

ويذكر الدكتور نبيل علي في معرض تناوله للعناصر الأساسية المكونة للمعالج النحوي الآلي متعدد الأطوار للجمل العربية المكتوبة، أنه بصدد تطوير معـــالج آلـــي للنحو العربي، يقوم بالمهمة الأساسية للتحليل النحوي الآلي وهي توفير المعطيات اللازمة للتحليل اللغوي الأعمق، التي تتمثل في المصحِّح الآلي للأخطاء النحوية، والتخاطب مع قواعد البيانات باللغة الطبيعية، والترجمة الآلية مـــن وإلـــى العربية، وتعليم النحو بواسطة الحاسوب، وإعراب الجملة العربية آلـــياً[٥٦]. وهـــذه – على وجه العموم – هي جملة ما تفيده العربية (النحو) من استخدام المعالج النحوي .

أمـــا المـــستوى المعجمـــي فمساحة استفادته من الحاسوب واسعة جداً، وبسبب من هذا ظهر ما يسمى بالمعاجم الحاسوبية أو المعاجم الآلية، بل إنه بدأ يأخذ بالبروز بوصفه علماً مستقلاً، أو فرعاً من فروع علم اللغة الحاسوبي يطلق علـــيه علم المعجم الحاسوبي Machine Readable Dictionary (MRD)

وبظهـــوره بدأت الصناعة المعجمية تتحول من المعاجم اليدوية أو الورقية إلى المعاجم الآلية أو الإلكترونية .

والمعجـــم الحاسوبي قطاع عام يضم معاجم لا حصر لها، سواء أكانت هـــذه المعـــاجم للناطقين بالعربية، أم معاجم للمصطلحات العلمية، أم معاجم من أنواع خاصة، أم معاجم مفهرسة(*)، أم معاجم نصية... إلخ. ويتميز هذا المعجم بميـــزات هائلة لا تتوافر في المعاجم التقليدية، كالشمول، والانتظام، والاطراد، والدقة والوضوح، والقابلية للتوسع والتعديل(٥٧) .

ونظـــراً للقـــضايا الشائكة التي تحيط بهذا النوع من المعجم، من حيث مستوياته، وحقله المعجمي، ومحتوياته، فقد عقدت له ندوة خاصة نظمتها مدرسة الملك فهد العليا للترجمة بطنجة (المغرب) عام ١٩٩٥م، وكان عنوانها (التقنيات الحاســـوبية في خدمة المصطلح العلمي والمعجم المختص)(٥٨). كما خُصص له جلسة نقاش بعنوان (بناء المعجم حاسوبياً) ضمن ندوة استخدام اللغة العربية في تقنـــية المعلومات(٥٩)، ولا تكاد تخلو ندوة من الندوات أو مؤتمر من المؤتمرات في مجال اللسانيات الحاسوبية من بحوث عن المعاجم الآلية .

ويقـــف الدكـــتور محمد الحناش (المغرب) في صدارة اللغويين العرب المعاصرين الذين يولون المعجم الحاسوبي عناية خاصة، وجهداً كبيراً. وقد تمثل هـــذا فـــي دراساته المتعددة عن بناء المعاجم الآلية في اللغة العربية، والمعجم الإلكترونـــي، والمعجم التركيبي للغة العربية(٦٠) ...إلخ. وهو صاحب مشروع علمـــي كبيـــر عمـــل عليه لسنوات طويلة من البحث اللساني الحاسوبي، توِّج بإصداره كتاب (المعجم التركيبي للغة العربية – مقدمات في المعالجة الحاسوبية للغات الطبيعية)(٦١) .

وأســـهم في هذا الإطار نظرياً كل من الدكتور نهاد الموسى، والدكتور أحمـــد مختار عمر، والدكتور عبد القادر الفاسي الفهري، بما كتبوه من بحوث عن حوسبة المعجم العربي، كما أسهم فيه عملياً الدكتور محمد مراياتي وزملاؤه بوساطة نظام خبير للغة العربية(٦٢) .

ومـــن المـــشاريع العلمية ضمن هذا التوجه أيضاً ما قام به معهد اللغة العربية بجامعة الملك سعود بالرياض (السعودية) من إصدار المكنـــز Corpus الوجيـــز (معجـــم فـــي المترادف والمتوارد)، ومعجم التعبيرات الاصطلاحية، بإشراف – الدكتور محمود إسماعيل صيني(٦٣) .

وهناك جهود أخرى تبذل لميكنة المعجم العربي من قبل المراكز العلمية والمؤســـسات الـــتجارية، كمـــا هي الحال في مشروع الشركة العالمية للبرامج (صـــخر) بالكـــويت، ومشروع الشركة العالمية لبرامج الحاسوب بالقاهرة عن المكنز الآلي أو قاعدة بيانات المادة المعجمية العربية، ومشروع المركز العلمي لشركة آي.بي.إم بالقاهرة لتطوير قاعدة بيانات معجمية(٦٤) ... إلخ .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وينبغـــي أن أشير هنا إلى أن استخدام الحاسوب في الصناعة المعجمية، رغم كل تلك الميزات والإيجابيات التي تتحقق للمعجم ومستخدميه، هناك بعض الـــسلبيات التـــي تنتج عنه جراء ذلك، لعل من أبرزها التكاليف المادية الباهظة التـــي يتطلـــبها هـــذا النوع من المعاجم، وما يقتضيه من مهارات خاصة قد لا تتوافر لكثير من مستخدميه(٦٥) .

على أن ذلك بطبيعة الحال لا يمكن أن يقلل من هذا التوجه المعاصر في حوســـبة المعجـــم العربي، ولا ريب أن صياغته وفق أهداف واضحة، وغايات محـــددة، ومـــنهج علمي، ومن ثمَّ توظيفه التوظيف الصحيح، سيحقق للعربية، والمعجمـــية بـــوجه خـــاص مـــا كانت – وما زالت – تصبو إليه من شمولية،

ومرونة، ودقة، ومعاصرة، كما سيحقق لعلمائها وباحثيها ما كانوا يظنون أنه من الأحلام والرؤى، بل المستحيل عينه .

أمـــا المـــستوى الدلالي فيعد من أعقد الأنظمة اللغوية، وأشدها تعصّياً على جهاز الحاسوب؛ وذلك عائد إلى أن الدلالة من أقل المستويات اللغوية فيما يخص التباين اللغوي – كما يقول الدكتور نبيل علي[٦٦]، كما أنه يشيع فيها عدة ظواهـــر تُخرجها من واقع الاستخدام اللغوي وحقيقته إلى المجاز، كالاستعارة، والكناية، والتشبيه، وهذا أمر يتطلب تحديد تلك التعابير غير الحقيقية وتصنيفها دلالياً بما يساعد النظام الحاسوبي على تمثلها، ومن ثم معالجتها آلياً .

ويمـــثّل المعنـــى مشكلة كبرى بالنسبة للنظم الآلية، فتعدد المعنى للكلمة الـــواحدة، وحـــساسية السياق في تحديد دلالة الكلمة، واختلاف الدلالة باختلاف الثقافات...، كل ذلك يجعل المعالجة الآلية للدلالة تنطوي على مفارقات يصعب بـــسببها تمثيل هذا المستوى أو توصيفه حاسوبياً، وبسبب من هذا تجاوزت أول دراســـة صـــادرة عن اللسانيات الحاسوبية العربية الحديث عن المعالجة الآلية لعنصر الدلالة في العربية !.

علـــى أن هذا لا يعني أن المعالجة الآلية لجانب الدلالة في اللغة العربية قـــد أُغفلت تماماً، بل إنه كان لها حضورها ضمن المستويات اللغوية الأخرى، كالمستوى الصوتي، والصرفي، والنحوي، والمعجمي، وضمن قضايا لغوية ذات صـــلة وثقـــى بالدلالـــة، كالترجمة الآلية. وهذا ما نلمسه في الجهود التي بذلت لتغطية هذا الجانب من اللسانيات الحاسوبية، سواءً أكان ذلك في صورة بحوث نظرية، أو برامج تطبيقية .

فمن تلك البحوث ما كتبه الدكتور محمد غزالي خياط – وهو متخصص في الهندسة – عن تمثيل الدلالة الصرفية في النظم الآلية لفهم اللغة العربية[٦٧]،

وقد خصَّصه صاحبه لأوزان الأفعال في العربية، معتمداً في ذلك التمثيل الدلالي على استخدام نظم القواعد الشرطية، والجمل الإخبارية، والأنماط التقليدية، وقَدَّم في ضوء هذا طريقة مقترحة لتمثيل الدلالة الصرفية لأوزان الأفعال .

ومـــن ذلك أيضاً ما ذكره الدكتور محمد عز الدين (تونس) أثناء حديثه عـــن تصميم برنامج للترجمة الآلية أُطلق عليه (الناقل العربي)[٦٨]، من أن هذا البـــرنامج يعمل على مستويات خمسة، من ضمنها مستوى التحليل الدلالي. وقد أوضح الدكتور عز الدين أن التمثيل الدلالي للجملة في هذا البرنامج يهدف إلى تحديـــد معنـــى كـــل كلمة في الجملة حسب السياق، مستعيناً في ذلك بمعطيات معجمـــية ودلالية، وبقواميس التعبير الاصطلاحية[٦٩]. وللسيد نصر الدين السيد بحث عن التحليل الدلالي للجملة الخبرية العربية باستخدام الحاسوب[٧٠].

ومجمـــل القـــول في هذا إن المعالجة الآلية للدلالة العربية ما زالت في مـــراحلها الأولـــى، وهـــي تحتاج إلى بذل المزيد من الجهود لتصل إلى مرحلة متقدمة من مراحل التنظير والتطبيق والبرمجة.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ويفـــضي بـــنا هـــذا الأمـــر إلـــى الحـــديث عـــن التـــرجمة الآلـــية Machine Translation التـــي تعـــد من أقدم مجالات استخدام الحاسوب في اللغة .

وقـــد نـــال هـــذا الجانـــب من اللسانيات الحاسوبية العربية حيزاً كبيراً ومـــساحةً واســـعةً مـــن الجهود المبذولة، وذلك بالنظر إلى أنها الأنموذج الآلي للمنظومة اللغوية[٧١] .

وكانـــت فكرة الاستعانة بالحاسوب في الترجمة قد طرحت عام ١٩٤٩م بأمـــريكا، ثـــم تحولت إلى مشروع علمي عام ١٩٥١م في معهد ماساشوستس للتقنية (M.I.T)، وكان عام ١٩٥٤م ميلاد الترجمة الآلية الفعلي، التي سرعان

مـــا انـــتقل الاهـــتمام بهـــا إلى المراكز البحثية والجامعية في أوروبا والاتحاد السوفييتي، ودخل القطاع الخاص (التجاري) في السبعينيات منافساً لتلك المركز العلمية في العناية بالترجمة الآلية[٧٢] .

أمـــا واقع الترجمة الآلية[*] في الوطن العربي فقد حدث في التسعينيات من القرن المنصرم (العشرين) تطور نوعي في مشروعات الترجمة الآلية على المستويين النظري والعملي (البرامج) .

فعلى المستوى النظري نجد طائفة من البحوث التي تعنى بهذه المسألة، ســـواء أكانـــت مـــؤلفة أو مترجمة. وقد اقتصرت الأبحاث النظرية على تحديد الـــصعوبات التـــي تعترض الترجمة الآلية، وكيفية التغلب عليها، وميزات هذا النوع من الترجمات، مع ذكر عمليات هذه الترجمة وأنظمتها المختلفة[٧٣].

أما المستوى الآخر، وهو برامج الترجمة الآلية العلمية منها والتجارية، فقـــد أســـهمت فيها جهود ذاتية (فردية)، وشركات تجارية، منها ما هو عربي، ومنها ما هو غربي، ومنها ما هو مشترك بينهما. ومن ذلك برنامج شركة صخر المـــسمى (القاموس Dictionary)، وبرنامج الناقل العربي، وبرنامج ترجمان، وبرنامج المترجم، وبرنامج عرب ترانز Arabtrans ... إلخ[٧٤]. وقد بدأت هذه البرامج بالعمل الفعلي، ومازال التطوير يلاحقها يوماً بعد يوم، وتتم الترجمة فيها من الإنجليزية إلى العربية، والعكس، وهذا تطور إيجابي يعكس الرغبة في نقل الثقافة العربية إلى الآخرين، مما يعد تحولاً ذا دلالة عميقة في الانتقال بالترجمة من الاستيراد إلى التصدير، بلغة الاقتصاديين .

ومـــن الملاحظ أن الترجمات الآلية كانت في بدء أمرها مقتصرة على ثنائـــية اللغات، أو ما يعرف باللسانيات التقابلية Contrastive Linguistics، أمـــا الآن وبعـــد النقلة الكبيرة في هذا المضمار فقد أصبحت تقوم بترجمة عدد

كبيـــر مـــن اللغـــات فـــي وقـــت واحـــد، وهـــو مـــا يعرف بالترميز الرقمي Digital Coding [٧٥] .

وبعـــد، فلئن كانت هناك في الماضي صيحات تحاول أن تُهوِّن من شأن التـــرجمة الآلـــية، وتُشَكك في نجاحاتها، فإنها الآن بدأت تطالب بإلحاح بتطوير أنظمة هذه الترجمة، بعد أن حققت نتائج ملحوظة وخاصة في ميدان النصوص العلمـــية. واللغويـــون والحاســـوبيون العرب مطالبون أكثر من أي وقت مضى بالإفادة القصوى من معطيات الترجمة الآلية المعاصرة لدى الغرب، وتسخيرها لخدمة اللغة العربية .

أمـــا الكـــتابة العربية ومعالجتها آلياً، فتعد الكتابة العربية من ضمن أهم المشكلات التي واجهت التحليل الحاسوبي، حيث تتعدد الأشكال البصرية للحرف الـــواحد تبعاً لموقعه من الكلمة، كما أن اتجاه الكتابة العربية هو من اليمين إلى اليسار، يضاف إلى ذلك أن حروفها متصلة وليست منفصلة... إلخ[٧٦] .

وتبعاً لهذا قامت عدة محاولات لتلافي مشاكل الكتابة العربية في الحاسوب، وكـــان مـــن بينها مشروع الأستاذ أحمد الأخضر غزال، الذي أطلق عليه الطريقة المعيارية للطباعة العربية، أو العربية المعيارية المشكولة – الشفرة العربية، والتي تعـــرف اختصاراً بـــ(العمم–شع)، كما سبق، وقد تم هذا عام ١٩٥٤م، ثم طُورت لتتلاءم مع التقدم التقني في الحاسوبات عام ١٩٧٤م[٧٧] .

ويذكـــر الدكـــتور مازن الوعر أنه مع تطور الإلكترونيات أصبح هذا التـــصميم غيـــر واقعـــي، مما جعل بعض الباحثين يضع تصميماً آخر عرف بـــــ(معالجة السياق)، أي استنباط الحرف من سياق الحروف، وليس من سياق المعنى[٧٨] .

وهـــناك أيـــضاً الـــشفرة العـــربية الموحدة للكتابة العربية التي تعرف بـــ(الشفرة سباعية العزوم) التي أقرتها سنة ١٩٨٣م المنظمة العربية للمواصفات والمقايـــيس(٧٩). وفي الحقيقة أنني لا أعلم الآن ماذا تم بشأن تطوير هذه الشفرة خاصة أنه مضى عليها زمن طويل .

ومن تلك المحاولات ما قدمه الدكتور عاصم عبد الفتاح نبوي، والدكتور صبري عبد الله محمود، من تطوير نظام للتعرف على حروف العربية باستخدام شبكة عصبية ذات انتشار رجوعي(٨٠) .

ومـــن الجـــوانب الأخـــرى التـــي أمكن للغة العربية الاستفادة منها من الحاســـوب تعلـــيم اللغة، سواء للناطقين بها من أبنائها، أو للناطقين بغيرها من اللغات. لقد استطاع الحاسوب أن يقدم للناطقين بالعربية نظماً حاسوبية وبرامج لإكـــساب المتعلمـــين المهارات اللغوية المتعددة، كالقراءة، والكتابة، والمحادثة، والاســـتماع، إضـــافة إلـــى معالجة الخطوط العربية معالجة حاسوبية، والتدقيق الإملائـــي والنحوي، ووضع معاجم لغوية حاسوبية لمراحل التعليم العام، وتعليم الأطفال الأرقام والحروف والكلمات .

كمـــا اســـتطاع الحاســـوب أن يسهم في مجال تعليم اللغة العربية لغير الناطقـــين بهـــا، بإمكاناته وقدراته الهائلة في التعليم المبرمج(٨١)، ويوجد بمعهد اللغة العربية بجامعة أم القرى (مكة المكرمة) حالياً معمل حاسوبي لتعليم العربية للناطقين بغيرها، وهي تجربة فريدة ذات أبعاد علمية وحضارية، نأمل أن تتوسع دائرتها ومجال تطبيقاتها، وأن يكتب لها النجاح .

وبدهي القول إن الإفادة من الحاسوب في هذا المجال (المجال التعليمي) مرهونة بالنجاح في المعالجة الآلية للغة العربية أولاً .

هـذا مـا يـتعلق بالمعالجـة الآلية للنظم اللغوية العربية، أما البرامج الموضـوعة لـذلك، وهي كما يقول الدكتور نهاد الموسى : «منجزات تطبيقية تـستثمر التوصـيف فـي وجوه من التوظيف»[٨٢]، فإنها أكثر من أن تحصر، وخاصـة أن الـشركات التجارية العاملة في مجال الحاسوبيات تدفع يومياً إلى الـسوق بـرامج علمية وتعليمية، تتفاوت فيما بينها دقةً ومنهجيةً وأهدافاً، وهي تحـتاج مـن الباحثـين تقيـيماً وتقويماً، وهذه الدراسة الحالية لا تفي مطالبها باسـتعراض مجمـل هـذه البرامج ؛ إذ إن الخوض فيها يتطلب وقفة مطولة، وعسى أن نفرغ لها – أو غيرنا – في المستقبل المنظور إن شاء الله[٨٣] .

وأمـا الـصورة الأخيرة لرصد الجهود في ميدان اللسانيات الحاسوبية العـربية فتتمـثل – كمـا تقـدم – في إنشاء قسم خاص لعلم اللغة الحاسوبي (اللـسانيات الحاسوبية) في جامعة الأمير سلطان الأهلية بالرياض (السعودية)، وهـو – علـى حـد علمـي – أول قسم متخصص في هذا المجال بالجامعات العـربية، ولا شك أن إنشاءه جاء نتيجة لمتطلبات السوق الاقتصادية من جهة، وتـتويجاً – مـن جهة أخرى – للجهود الحاسوبية العربية التي أصبحت تشكل اتجاهاً عاماً في الدراسات اللغوية المعاصرة .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وبعد، فلقد تبين لنا بهذا العرض الموثق بما لا يدع مجالاً للريبة والشك أن اللغة العربية هي المستفيد الأول من استخدام تقنية الحاسوب، وأن الحاسوب يمكـن تطويـع آلياته وأنظمته لتتواءم مع خصوصية اللغة العربية، على جميع مـستوياتها اللغوية، الصوتي منها، والصرفي، والنحوي، والمعجمي، والدلالي. وتم بجهود الباحثين العرب، اللغويين منهم والحاسوبيين، تمثيل الكلام المنطوق وتولـيده آلياً، وتحليل الكلمات المفردة وتركيبها آلياً، وتوصيف الجمل وتوليدها وإعـرابها آلياً، وقراءة النصوص المكتوبة وتصحيحها ومعالجتها آلياً، وصناعة

المعـــاجم الآلـــية، وإنـــشاء البـــنوك المـــصطلحية، وتصويب الأخطاء النحوية والـــصرفية والإملائـــية آلياً، وتصميم البرامج الحاسوبية للترجمة الآلية، وتعليم اللغة العربية لأبنائها وغير أبنائها بوساطة الحاسوب .

إن هـــذه الجهـــود مؤشـــر حقيقي على نجاح الحاسوب في خدمة اللغة العـــربية، وتوظـــيفه فـــي معالجة قضاياها المختلفة، تحليلاً، وتوليداً، وترجمة، وتعلـــيماً، وصـــياغتها صياغة رياضية دقيقة وفق علاقة متبادلة بين المقاييس العلمية والمقاييس اللغوية .

والمحـــصلة النهائـــية لهـــذه الجهود تصب في خانة قدرة العربية على استيعاب لغة العصر، وتمثل تقنياته التكنولوجية بكل كفاية واقتدار، وهذه قضية مـــن القـــضايا التـــي واجهـــتها - وما زالت تواجهها - كينونة الأمة العربية وحضارتها اللغوية، وهويتها الثقافية .

ومـــع كـــل مـــا ذكرته من إسهامات في اللسانيات الحاسوبية وتوظيفها لخدمة العربية - وهناك الكثير من تلك الإسهامات لم أتمكن من الاطلاع عليها، أو عرضـــها فـــي هـــذه الدراسة - فإن الطريق في هذا المضمار مازال شاقاً وطـــويلاً، والأمل معقود على جميع العلماء والباحثين الذين أوقفوا أنفسهم على هـــذا المجـــال النادر من مجالات العلم والمعرفة الإنسانية، أن تتكاتف جهودهم لتذلـــيل العقـــبات وحـــل المشكلات التي تحيط بلغة القرآن الكريم إزاء الثورة المعلوماتية - الحاسوبية المعاصرة .

واختـــتم هذه الدراسة بإبداء جملة من المقترحات، أحسب أنها تسهم في توطـــين هـــذا الـــتوجه في الدراسات اللغوية المعاصرة، وتدفع به نحو الأمثل والأفضل، وهي على النحو الآتي :

أولاً : أن تتــضافر الأعمــال فــي مجال اللسانيات الحاسوبية العربية وتــتآزر بــين اللغويــين والحاسوبيين في أي مشروع علمي يهدف إلى برمجة الأنظمــة اللغوية للعربية، وتحليلها، ومعالجتها آلياً. وأرى في هذا المقام أن أي عمــل منفرد، أو مستقل عن الطرف الآخر من المعادلة، أو غير منسق بين هذه الفئات العلمية، إنما هو بمثابة جهد ضائع لا طائل من ورائه .

إن التعاون والتنسيق في هذا الميدان – إن تَمَّ – ستكون نتائجه غاية في الأهمــية، وستدفع به خطوات واثقة إلى الأمام، وسوف تتغير قناعات ومسلمات كانــت أشبه بالحقائق التي لا تقبل الجدل والنقاش حولها، كما ستتأكد قضايا في اللغــة كانــت أقــرب ما تكون إلى الاحتمال والرجحان والظن، وهذا ما توفره اللسانيات الحاسوبية للعلوم الإنسانية بعامة .

والواقــع أن هــذا الأمــر، أعنــي التقاء علماء اللغة وعلماء الهندسة والحاســوب، كان – ومازال – مطلباً ملحاً، وضرورة قصوى، لأي عمل ناجع في هذا الميدان على وجه الخصوص، وهو ما أكدت عليه جميع المؤتمرات التي عقدت لمناقشة قضية الحاسوب واللغة العربية .

ثانــياً : تــرجمة جميع الأعمال العلمية في مجال اللسانيات الحاسوبية العــربية، التــي كتبت باللغات الإنجليزية، والفرنسية، والألمانية، وغيرهن من اللغات، التي وضعها باحثون عرب وأجانب، ونقلها إلى العربية.

ثالثاً : عدم ترك أمر البرمجيات الحاسوبية العربية بيد الشركات ومراكز الــبحوث الغــربية، بل ينبغي أن يصممها أبناؤها، فهم أقرب الناس رحماً بهذا المجال .

رابعاً : صناعة معجم موحد لمصطلحات اللسانيات الحاسوبية، بالعربية والإنجليزية، وفق المتعارف عليه علمياً في هذا النوع من المعاجم الاصطلاحية أو المصطلحية[٨٤] .

خامـــساً : أن يكون علم اللغة الحاسوبي مقرراً دراسياً معتمداً في أقسام اللغـــة العربية بكليات الآداب، والتربية، كما هي الحال في كلية الآداب بجامعة الكويت .

سادســاً : إنشاء قسم خاص للغويات الحاسوبية في الكليات والجامعات العربية يمنح درجة البكالوريوس في هذا التخصص، على غرار ما هو موجود بجامعة الأمير سلطان الأهلية بالرياض .

ســابعاً : نشر تلك الرسائل العلمية التي كتبت أصلاً باللغة العربية عن قضايا استخدام اللغة العربية في الحاسوب، وهي تشكل فيما اطلعت عليه إسهاما فـــاعلاً في ترسيخ هذا الاتجاه، ومعالجةً موضوعيةً وعلميةً لكثير من مشكلات تعامل العربية مع الحاسوب.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ثامـــناً : أن مـــا طـــرحه الدكـــتور نبيل علي في كتابه (اللغة العربية والحاسوب) من قائمة مقترحة في مجال بحوث اللسانيات الحاسوبية مطبقة على اللغـــة العـــربية، يحسن أن يكون قاعدة جيدة للانطلاق منها نحو تفعيل النشاط البحثي وتطويره في هذا المجال .

صـــحيح إن بعض ما اقترحه كان بعد ذلك ميدان عناية الباحثين، ولكن كثيـــراً منها ما يزال في انتظار الأقلام المخلصة والعقول النيرة التي ستضيف بعـــداً جديـــداً للاتجـــاه الحاسوبي في دراسة اللغة، وهو ما نتمنى أن يحدث في القريب العاجل بإذن الله،،،

الهوامش والمراجع

(١) ينظر: د.نبيل علي، اللغة العربية والحاسوب، دار تعريب، ١٩٨٨م، ص٣
د.أحمـــد شرف الدين أحمد، العلوم الشرعية والحاسبات، مجلة جامعة الملك سعود (علوم الحاسب والمعلومات) المجلد٧، ١٤١٥هـــ-١٩٩٥م، ص١ .

(٢) وردت هـــذه المعلومة في ندوة علمية عن اللسانيات الحاسوبية المعلوماتية، عقدت في قسم اللسانيات الحديثة بجامعة جورج تاون – واشنطن العاصمة، ســـنة ١٩٨٣م، وأدارهـــا الدكتور مازن الوعر، ونشرها بعد ذلك في كتابه: دراســـات لـــسانية تطبيقـــية، ط١، دار طلاس، دمشق، ١٩٨٩م، ص٣٢٥ وللمـــزيد ينظـــر د.أحمـــد مختار عمر، صناعة المعجم الحديث، ط١، عالم الكتب، القاهرة، ١٤١٨هـــ – ١٩٩٨م، ص١٦٨ (هامش١) .

(٣) ينظـــر د. محمـــد صـــالح بن عمر، الثورة التكنولوجية واللغة، ط١، دار الشؤون الثقافية العامة – وزارة الثقافة والإعلام، بغداد – العراق، ١٩٨٦ م، ص٣٢-٣٥ .

(٤) ينظـــر: د. أحمـــد شرف الدين أحمد، العلوم الشرعية والحاسبات (مصدر سابق)، ص٢ .

(٥) صدرت هذه الدراسة الإحصائية – في كتابين اثنين – عن جامعة الكويت، ســـنتي ١٩٧١ و١٩٧٢م .ونظراً لأهمية هذا الاتجاه الإحصائي في البحث اللغوي فقد نفدت نسخ هذين الكتابين في وقت قياسي، مما أدى إلى طباعتهما مرة ثانية سنة ١٩٧٣م، وضمهما في مجلد واحد.كما نشرتها الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة ١٩٧٨م، وتعد الطبعة الثالثة لها .

(٦) ينظـــر: د.علـــي حلمـــي موسى، دراسة إحصائية لجذور معجم الصحاح باستخدام الكمبيوتر، ص٩(جامعة الكويت،١٩٧٣م) .

(٧) لمـــزيد من التفاصيل حول نتائج هذه الجداول الإحصائية لمعجم الصحاح ينظـــر: المصدر السابق ،ص ١٧-٤٨ (ط١٩٧٨م)، د. علي حلمي موسى، استخدام الحاسب الإلكتروني في اللغة العربية – تحليل محتويات نتائج معجم الـــصحاح، مجلة الثقافة المصرية، السنة ٦، العدد ٦٩، يونيو ١٩٧٩م، ص ٥٢-٥٤، د.إبراهيم أنيس، النظامة الإلكترونية تحصي جذور مفردات اللغة العـــربية، مجلـــة اللـــسان العربـــي، المجلـــد ١٠، الجـــزء١، ١٩٧٣م، ص٢٠٧-٢١١ .

(٨) ينظـــر مـــا ذكره الدكتور علي حلمي موسى حول هذا الأمر في : دراسة إحـــصائية لجـــذور معجـــم الـــصحاح باستخدام الكمبيوتر، ص٤٣ (الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٨م) .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

(٩) تنظر هذه القضايا الإحصائية عند: د. علي حلمي موسى – د. عبد الصبور شـــاهين، دراســـة إحصائية لجذور معجم تاج العروس باستخدام الكمبيوتر، مطبوعات جامعة الكويت، ١٩٧٣م، ص ٥-٧٢ .

(١٠) ينظر: مقاله : استخدام الآلات الحاسبة الإلكترونية في دراسة ألفاظ القرآن الكـــريم، مجلـــة عـــالم الفكـــر (الكويت)، المجلد١٢، العدد ٤، ١٩٨٢م، ص ١٥٣- ١٩٤. وهـــناك دراسات إحصائية أخرى بالإنجليزية .ينظر: د.نبيل علي، اللغة العربية والحاسوب، ص١٨٢-١٨٣ .

(١١) ينظـــر مقاله : الحاسب الإلكتروني يدرس شعر (كعب) بن زهير بن أبي سلمى، محاولة رائدة في الدراسات اللغوية، مجلة الكاتب (المصرية)، السنة ١٤، العدد ١٦٥، ١٩٧٤، ص ٤٥ -٤٨ .

(١٢) د.مازن الوعر، قضايا أساسية في علم اللسانيات الحديث، – مدخل – ط١ ، دار طلاس، دمشق، ١٩٨٨م، ص٤٠٦ .وينظر: المؤلف نفسه، دراسات لـــسانية تطبيقـــية، ص٣١٧-٣٢٠، د.رمزي بعلبكي، معجم المصطلحات اللغـــوية، ط١ ،دار العلـــم للملايين، بيروت – لبنان، ١٩٩٠م، ص١١٠، ٣٠١، د.محمـــد علي الخولي، معجم علم اللغة التطبيقي، ط١، مكتبة لبنان بيروت، ١٩٨٦م، ص٢١ .

(١٣) د.مـــازن الوعـــر، قـــضايا أساسية في علم اللسانيات الحديث، ص٤٠٧ .وينظر: د.نهاد الموسى، العربية – نحو توصيف جديد في ضوء اللسانيات الحاســـوبية، ط١، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ٢٠٠٠م، ص ٥٤ .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

(١٤) د. نهـــاد الموسى، العربية – نحو توصيف جديد ...، ص ٥٣ .وينظر: د.مـــازن الوعـــر، قـــضايا أساسية في علم اللسانيات الحديث، ص٤٠٧، اللسانيات والحاسوب واللغة العربية، صحيفة رؤى ثقافية (سورية)، العدد ٤، ٢٠٠٣م، ص٢٣ .

(*) الدكـــتور نبيل علي أحد أبرز المتخصصين في بحوث اللغويات الحاسوبية، ويعمـــل منذ سنوات طويلة في مجال الكمبيوتر ونظم المعلومات، برمجة، وتـــصميماً، وإدارةً، وبحـــثاً.وهـــو صاحب فكرة مشروع كمبيوتر صخر والعالمـــية للبـــرامج. لـــه من المؤلفات: اللغة العربية والحاسوب، العرب

وعـــصر المعلـــومات، الـــثقافة العربية وعصر المعلومات، صورة الثقافة العربية والحضارة العربية والإسلامية على الانترنت .

(١٥) صـــدر عـــن مؤســـسة تعريب (؟) سنة ١٩٨٨م. وكان المؤلف قد مهد لصدور هذا الكتاب ببحث نشره في مجلة عالم الفكر، المجلد ١٨، العدد ٣، ١٩٨٧م، ص٥٩-١١٨ بعـــنوان (اللغة العربية والحاسوب)، ثم صدر هذا الكـــتاب فـــي طبعته الثانية سنة ١٩٩٨م عن دار غريب بالقاهرة .ولهذا الكـــتاب عرض تحليلي للدكتور علي فرغلي، نشره في مجلة عالم الفكر (الكـــويت)، المجلـــد ٢٠، العدد ٣، ١٩٨٩م، ص٢٥٥-٢٧٨، كما أن له مـــراجعة أخـــرى للدكتور نهاد الموسى نشرها في المجلة العربية للعلوم الإنـــسانية (جامعة الكويت)، العدد ٣٨، المجلد ١٠، ١٩٩٠م، ص٢٤٤-٢٥١ .

(١٦) د.نهـــاد الموســـى، كـــتاب اللغة العربية والحاسوب لنبيل علي (مراجعة) المجلـــة العربية للعلوم الإنسانية (جامعة الكويت)، العدد ٣٨، المجلد ١٠، ١٩٩٠م، ص٢٥١ .

(١٧) صدر هذا الكتاب سنة ١٩٩٦م، عن جامعة اليرموك - إربد (الأردن) .

(١٨) د. نهاد الموسى، العربية - نحو توصيف جديد ...، ص٤٥ .

(١٩) صدر عن المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت .

(٢٠) د.نهاد الموسى، العربية - نحو توصيف جديد ...، ٢٨٨ .

(٢١) لعـــل مـــن أهم المؤتمرات والندوات التي تناولت بحوثها قضية اللسانيات الحاسوبية العربية ما يلي :

أ – ندوة استخدام اللغة العربية في تقنية المعلومات، التي نظمتها مكتبة الملك عبد العزيز العامة بالرياض، سنة ١٩٩٢م.

ب – ندوة استخدام اللغة العربية في الحاسب الآلي، التي عقدت بالكويت عام ١٩٨٥م .

ج – مؤتمـــر اللسانيات التطبيقية العربية ومعالجة الإشارة والمعلومات، الذي عقده المركز القومي للتنسيق والتخطيط للبحث العلمي والتقني ومعهد الدراسات والأبحاث للتعريب بالمغرب (الرباط) عام ١٩٨٣ م (صدرت أعماله في كتاب بالإنجليزية والفرنسية) .

د – المؤتمـــر الأول والثاني للغويات الحسابية العربية، اللذان عقدا في الكويت، سنة ١٩٨٩م

هـــ– نـــدوة اللغـــويات الحسابية العربية، التي عقدت في القاهرة، سنة ١٩٩٢م .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

و – أعمـــال المناظـــرة المنظمة بمؤسسة الملك عبد العزيز آل سعود للدراســـات الإسلامية والعلوم الإنسانية تحت عنوان : اللغة العربية والتقنيات المعلوماتية المتقدمة، الدار البيضاء، ١٩٩٣م .

ز – مؤتمـــر استخدام اللغة العربية في المعلوماتية، الذي عقدته المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس، ١٩٩٦م .

ح – الملتقـــى الرابع للسانيات (اللسانيات العربية والإعلامية) الذي عقده مركز الدراسات والأبحاث الاقتصادية والاجتماعية بالجامعة التونسية سنة ١٩٨٧م .

ط – المؤتمر الدولي الثاني في اللغة والترجمة (دور التكنولوجيا الحديثة في تعلم اللغات وتعليمها) الذي عقده مركز أطلس العالمي للدراسات والأبحاث بعمان، في ١٤ – ١٥ /١٢/٢٠٠٢م (صدرت أعماله في كتاب سنة ٢٠٠٥م) .

(٢٢) د. نهاد الموسى، العربية – نحو توصيف جديد ... ص٣٤-٥٢، وللمزيد ينظر: د.مازن الوعر، قضايا أساسية في علم اللسانيات الحديث، ص ٤٠٨-٥٠٣، دراسات لسانية تطبيقية ص٣١٣-٣٩١ .

(٢٣) هذا الكتاب سيصدر قريباً – إن شاء الله – عن مركز بحوث اللغة العربية وآدابها، بمعهد البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي، بجامعة أم القرى (مكة المكرمة) .

(٢٤) ينظر : دور الكمبيوتر في البحث اللغوي، مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة، الجزء ٢٨، ١٩٧١م، ص ٧-١١، مسطرة اللغوي، مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة، الجزء ٢٩، ١٩٧٢م، ص٧، الحاسبات الإلكترونية في البحوث اللغوية، مجلة المجمع العلمي المصري للثقافة العلمية، العدد ٤٢، ١٩٧٣م، ص١٩٧-٢٠٣ .

(٢٥) ينظر: مسطرة اللغوي (مصدر سابق) ص٧ .

(٠) (العمم – شع) هو مصطلح مختصر منحوت من أوائل الحروف الأولى من النموذج الذي وضعه الأستاذ أحمد الأخضر غزال، وأطلق عليه اسم (العربية المعيارية المشكولة – الشفرة العربية). وللمزيد حول هذا المشروع ينظر: د.مازن الوعر، قضايا أساسية في علم اللسانيات الحديث، ص٤١٨ فما بعدها .

(٢٦)ينظر : د. نبيل علي، الحاسوب واللغة العربية، ص١٠١-١١١، ص١٧٨، السجل العلمي لندوة استخدام اللغة العربية في تقنية المعلومات، ص٣١٥-٣٦٠، ص ٥٨٣-٦٥٠ .

(٢٧) ينظر - على سبيل المثال - : د. محمود فهمي حجازي، البحث اللغوي، مكتبة غريب، القاهرة، د.ت، ص١١١-١١٨، د.سعد الحاج بكري، مسألة المصطلحات في تعريب الحاسبات، المجلة العربية للعلوم (تونس)، العدد ١١، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م، د. محمد مراياتي وزميله، التكنولوجيا الحديثة والمصطلح العلمي العربي في ظل اقتصاد المعرفة، مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، المجلد ٧٥، الجزء٣، ١٤٢١هـ، ص ٦٤٩ فما بعدها .

(٢٨) ينظر: د.أحمد بوعزي، تعريب المصطلحات المستعملة في الحواسيب الصغروية، ضمن (السجل العلمي لندوة استخدم اللغة العربية في تقنية المعلومات) مطبوعات مكتبة الملك عبد العزيز العامة، الرياض، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٣م، ص٤٩٣ فما بعدها، د.داود عبده، مصطلحات الحاسب الآلي دراسة وقائمة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٩٥م.

(٢٩) لمزيد من التفاصيل حول بنوك المصطلحات، وأهدافها، ونظام العمل بها، ينظر:د.محمود إسماعيل صيني، بنوك المصطلحات الآلية، مجلة اللسان العربي، العدد ٤٨، ١٩٩٩م، ص٢١١-٢٢١، د.عبد الرحمن بن عبد العزيز الفاضل، البنك الآلي السعودي للمصطلحات (باسم)، مجلة اللسان العربي، العدد ٤٧، ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م، ص٧٩-١٠٥، ليلى المسعودي،

علـــم المـــصطلحات وبـــنوك المعطيات، مجلة اللسان العربي، العدد ٢٨، ١٩٨٧م، ص٨٥-٩٣ .

(٠) تقـــوم فكـــرة معالجة النصوص على كتابة النص – أي نص – باللغة العربية، ومن ثمَّ مراجعته وتنقيحه، وطباعته بعد ذلك .

(٣٠) د. نبيل علي، اللغة العربية والحاسوب، ص١٣١ .وينظر: ص٥٢-٥٤ من هذا الكتاب .

(٣١) المصدر السابق، ص١٣٢-١٣٥ .

(٣٢) د.نبـــيل علي، الثقافة العربية وعصر المعلومات، المجلس الوطني للثقافة والفـــنون والآداب، الكـــويت (سلسلة عالم المعرفة، رقم ٢٦٥)، ٢٠٠١م، ص٢٥٤ .

(٣٣) هـــذه الدراسات الإحصائية منها ما كان في رسالة جامعية بجامعة دمشق ســـنة ١٩٨٣م، ومـــنها ما قدم لمركز الدراسات والبحوث العلمية بدمشق ســـنتي ١٩٨٢م و ١٩٨٥م .ينظـــر:د.محمـــد مراياتي وزملاؤه، المعجم الحاســـوبي فـــي نظام خبير للغة العربية، ضمن (بحوث المؤتمر العلمي الأول حـــول الكتابة العلمية باللغة العربية – واقع وتطلعات) الذي نظمته جامعـــة العرب الطبية، بنغازي – ليبيا، وشارك في تنظيمه معهد الإنماء العربي، بيروت، واليونسكو، سنة ١٩٩٠م ص٣٣٩، ٣٥٨.

(٣٤) تنظـــر هـــذه الدراســـات الإحـــصائية عند : د.نبيل علي، اللغة العربية والحاســـوب، ص١٨٢-١٨٣، د.مـــازن الوعـــر، قضايا أساسية في علم اللسانيات الحديث، ص٤١٦ .

(*) المعالجة الآلية للغة العربية لا نعني بها هنا مجرد إدخال الحروف العربية من لوحة المفاتيح، وطباعتها على الورق، أو إظهارها على شاشة العرض فحسب، بل نعني بها في مفهومها الأوسع شمول نظم برامجها للمستويات اللغوية المتعددة، كنظام الصرف الآلي، ونظام الإعراب الآلي، ونظام التحليل الدلالي الآلي، وقواعد البيانات المعجمية والقواميس الإلكترونية، ومنهجيات هندسة اللغة، وكذلك ما يندرج تحت هذه المستويات، كالترجمة الآلية، والتدقيق الهجائي والنحوي، والفهرسة والاستخلاص الآلي، وفهم الكلام ونطقه آلياً .ينظر: د.نبيل علي، الثقافة العربية وعصر المعلومات، ص٢٨٧ ..

(٣٥) نشرت هذه الدراسة ضمن (السجل العلمي لندوة استخدام اللغة العربية في تقنية المعلومات) مطبوعات مكتبة الملك عبد العزيز العامة، الرياض، ص٨٣-٩٠. والدكتور منصور الغامدي أحد المتخصصين في علم الأصوات الحديث، وهو يتبنى حالياً أحد المشاريع العلمية في مجال الأصوات بمعهد بحوث الحاسب والإلكترونيات، التابع لمدينة الملك عبد العزيز للعلوم والتقنية بالرياض .

(٣٦) نشرت هذه الدراسة ضمن (وقائع مختارة من ندوة استخدام اللغة العربية في الحاسب الآلي) التي عقدت بالكويت سنة ١٩٨٥م، وصدرت عن دار الرازي، بيروت – لبنان، ١٩٨٩م، ص ٢٥-٥٧ .

(٣٧) نشرت هذه الدراسة ضمن كتاب المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم (استخدام اللغة العربية في المعلوماتية) تونس، ١٩٩٦م .وللدكتور نهاد الموسى عرض لها وتعليق عليها .ينظر: العربية – نحو توصيف جديد....، ص٤٣-٤٤ .

(*) تعـــد الدكـــتورة تغريد السيد عنبر (مصر) من المتخصصين في علم اللغة الحاسوبي، وخاصة الترجمة الآلية، وهي – الآن – صاحبة شركة كمبيوتر تعمل في مجال تطويع اللغة العربية للتعامل مع الحاسوب، وقد صدر عنها أول مدقـــق إملائي عربي في المايكروسوفت، والمدقق النحوي لتصحيح الأخطـــاء النحوية، والترجمة الآلية من العربية للإنجليزية والعكس. للمزيد مـــن التفاصـــيل ينظر اللقاء الذي أجري معها ونشر بمجلة المجلة (لندن)، صفحة (فكر ونقاش)، العدد ١٠٦٣، ٢٥ يونية – ايوليو ٢٠٠٠م، ٢٣-٢٩ ربيع الأول ١٤٢١هـــ، ص ٥٢-٥٦ .

(٣٨) لمـــزيد مـــن التفاصيل حول المعالجة الآلية للأصوات (الكلام) في اللغة العـــربية، والجهـــود المـــبذولة فـــيه ينظـــر: د.نبيل علي، اللغة العربية والحاســـوب، ص١٨٤، ص٤٢١-٤٥٦، سامر الأتاسي، نظرة عامة على مكـــونات التطبيقات العربية المتقدمة للحاسوب، ضمن (وقائع مختارة من ندوة استخدام اللغة العربية في الحاسب الآلي) ص١٤-١٥، ١٩-٢٠ .د. محمـــد صـــالح ابن عمر، اللغويون العرب المعاصرون والوسائل التقنية الحديـــثة في دراسة الأصوات، مجلة دراسات عربيـــة (بيروت) العـــددان ١-٢، السنة ٢٢، ١٩٨٥م، ص٦٠-٧٨ . ولابد من الإشارة هنا إلى أن للدكتور عبد الرحمن أيوب كتاباً بعنوان (الكلام إنتاجه وتحليله) صدر عن جامعـــة الكويت سنة ١٩٨٤م، وقد عالج فيه الكلام وتوليده معالجةً تعتمد علـــى الآلات التقنـــية الخاصة بدراسة الناحية المادية للغة، كآلات التحليل الفيزيولوجـــي، والتحلـــيل الأكوستيكي للأصوات، وآلات إنتاج الأصوات الـــصناعية، وهـــذه أجهزة أصبحت الآن في ذمة التاريخ بوجود الحاسب الإلكتروني، ولكن هذه الدراسة تظل في إطارها الزمني رائدة في مجالها،

وذات قيمة علمية لا يمكن لباحث منصف الغضُّ من شأنها، أو التقليل من جـــدواها العلمـــية .ولقد كان مؤلف هذا الكتاب – وهو من هو في ميدان الدراســـات اللغـــوية المعاصـــرة – أميناً مع نفسه حينما اعترف بتواضع العلمـــاء بأن كتابه هذا فيه بعض القصور أو سوء الفهم، ومع ذلك فهو لا يخشى أن يقدمه برغم هذا للناس؛ لأنه لم يرد له أن يكون الكلمة الأخيرة، ولن يؤذيه أن يكون الخطأ الذي يدفع الآخرون لتصحيحه... (ينظر: الكلام إنتاجه وتحليله، ص١٠ من مقدمة المؤلف). وليس الأمر على ما ذكر، بل هو – في نظري – الخطوة الأولى التي تدفع الآخرين لتطويرها، ومحاولة اللحـــاق بـــركب التقدم المتسارع في هذا المجال .وقديماً قيل، وما أصدق ماقيل : وإنما الفضل للمتقدم .

(٣٩) د.نبـــيل علي، اللغة العربية والحاسوب، ص٤٥٥ .وقد ذكر المؤلف في هذا الكتاب عدة نقاط لدفع جهود التطوير والبحث في معالجة الكلام العربي آلياً .ينظر : ص٤٥٥-٤٥٦.

(٤٠) تنظـــر هـــذه الجـــوانب عـــند : د.نبيل علي، اللغة العربية والحاسوب، ص٢٧٤-٢٩٦ .

(٤١) ينظر: المصدر السابق، ص٣٠١-٣١٤، ص١٨١-١٨٢ .

(٤٢) نفـــسه، ص١٨١، ٣٣١-٣٣٢ .وينظـــر: مساعد الطيار، كفاءة التحليل الصرفي في استرجاع النصوص العربية، مجلة مكتبة الملك فهد الوطنية، المجلد ٤، العدد١، ١٤١٩هـــ، ص٧-٢٣ .

(٤٣) نـــشر هذا النموذج في بحث له بعنوان (التحليل الصرفي للعربية) ضمن (وقائـــع مخـــتارة مـــن نـــدوة اســـتخدام اللغة العربية في الحاسب الآلي)

ص٢٦٥-٢٨٥ .وينظر له أيضا: التوليد من الجذور والوزن، ضمن ندوة (تقدم اللسانيات في الأقطار العربية) ط١، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٩١م، ص٣٣٧-٣٤٣ .

(٤٤) نـــشرت ضمن (وقائع مختارة من ندوة استخدام اللغة العربية في الحاسب الآلـــي)، ص٥٩-٧٨، وذلـــك في بحثها الموسوم بـــ(معالجة اللغة العربية الطبيعية آلياً) .

(٤٥) نـــشرت تجـــربتهما في بناء محلل صرفي باستخدام الحاسوب في (الموسم الثقافي الرابع عشر لمجمع اللغة العربية الأردني) ١٩٩٦م، وذلك في بحثهما الموســـوم بـــــ(التحليل الصرفي للغة العربية باستخدام الحاسوب)، وللدكتور نهـــاد الموســـى عـــرض له وتعليق عليه .ينظر: العربية – نحو توصيف جديـــد...، ص٤٢-٤٣، ص٥١ .ولمـــزيد من التفاصيل حول النظم الآلية المقترحة لمعالجة الصرف العربي، التي قدمها باحثون عرب أو أجانب ينظر: د.نبـــيل علـــي، اللغة العربية والحاسوب، ص٣٣٠-٣٣١ د.نهاد الموسى، العربية – نحو توصيف جديد...، ص٤٥.

(٤٦) لمعِـــرفة تلك الإشكاليات ينظر : د. نبيل علي، اللغة العربية والحاسوب، ص٢٩٨-٣٠١ .

(٤٧) لمـــزيد مـــن التفاصيل حول العناصر الرئيسة التي يحتويها الإطار العام لمعالجة الصرف العربي آلياً، ومجالات استخدامه، ينظر: المصدر السابق، ص٣٠١-٣٣٠، د. مراد عبد الرحمن مبروك، أثر التقنيات المعلوماتية في لـــسانيات الـــنص الأدبـــي (الـــنص النقدي خاصة) المجلة العربية للعلوم الإنـــسانية – جامعـــة الكـــويت – العـــدد ٦٠، الـــسنة ١٥، ١٩٩٧م، ص٥٤ – ٥٧ .

(٤٨) ينظـــر: د. نبـــيل علي، اللغة العربية والحاسوب، ص١٩٧-٢٣٣ .وقد ذكـــر الدكـــتور نبـــيل علي أن له وزميلته أمل الشامي بحثاً عن التحليل الـــصرفي للقرآن باستخدام الحاسوب، قيد النشر. ينظر: المصدر السابق، ص٣٣٢، ٥٧١ .ولا أدري هل صدر هذا الكتاب أم لا؟

(٤٩) لمعـــرفة طبيعة هذه الدراسة وجوانبها المختلفة ينظر: د.هادي نهر، اللغة العربية والحاسوب، مجلة التواصل (جامعة عدن) العدد ٤، ٢٠٠٠م، ص ٧٢-٧٤ .

(٥٠) ينظر : د. نبيل علي، اللغة العربية والحاسوب، ص٣٨٨-٣٩١ .

(٥١) نـــشر ضـــمن (الـــسجل العلمـــي لـــندوة استخدام اللغة العربية في تقنية المعلـــومات) مطـــبوعات مكتـــبة الملـــك عـــبد العزيز العامة، الرياض، ص٢٧-٤٢. وللدكـــتور نهاد الموسى تعليق موجز عليه أورده في كتابه، العربية – نحو توصيف جديد...، ص٣٩-٤٠ .

(٥٢) نـــشر ضـــمن (الموسم الثقافي الرابع عشر لمجمع اللغة العربية الأردني) ١٩٩٦م .وانظـــر تعليق الدكتور نهاد الموسى عليه في كتابه : العربية – نحو توصيف جديد...، ص ٤٣، ٤٩ .

(٥٣) نـــشر أولاً ضـــمن (السجل العلمي لندوة استخدام اللغة العربية في تقنية المعلـــومات) ص ٢٤٣-٢٨٦، ثم نشر ثانياً ضمن كتابه : دراسات نحوية ودلالـــية وفلـــسفية فـــي ضـــوء اللـــسانيات المعاصرة، دمشق، ٢٠٠٢م، ص ١٣٤-١٧٨ .

(٥٤) ينظر: ص١٠١-١٩٥ من هذا الكتاب .ولمعرفة مدلول مصطلح (تمثيل) لـــدى الدكتور نهاد الموسى ينظر كتابه السابق، (العربية – نحو توصيف جديد...) ص ٥٩-٦٠.

(٥٥) لمزيد من التفاصيل حول هذه الدراسات ينظر: د.هادي نهر، اللغة العربية والحاسوب، مصدر سابق، ص٧٤-٧٦ .

(٥٦) ينظر : د. نبيل علي، اللغة العربية والحاسوب، ص ٤٠٦-٤١٩، د. مراد عـــبد الـــرحمن مبروك، أثر التقنيات المعلوماتية في لسانيات النص الأدبي (مصدر سابق) ص٥٧ – ٥٩ .

(•) من تلك الأعمال ما قام به الدكتور خليل عمايرة وزميله من فهرسة للسان العـــرب باســـتخدام الحاسوب، وكذلك ما قام به مركز التراث للبرمجيات (الأردن)، والمجمـــع الثقافي (أبو ظبي)، وجامعة أم القرى (مكة المكرمة) من فهرسة للشعر العربي.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

(٥٧) لمزيد من المعلومات عن هذه الميزات والخصائص ينظر: د. أحمد مختار عمـــر، صـــناعة المعجـــم الحديث، ص١٧٩-١٨٨، د. محمود فهمي حجـــازي، البحث اللغوي، ص٧١-٧٨، د. محمد الحناش، مشروع نظرية حاســـوب لسانية في بناء معاجم آلية للغة العربية، مجلة التواصل اللساني، المجلـــد٢، العـــدد٢، ١٩٩٠م، ص٤٣، د.عبد الغني أبو العزم، الحاسوب والـــصناعة المعجماتـــية، مجلـــة اللـــسان العربي، العدد ٤٦، ١٩٩٨م، ص٢٨-٣٩ .

(٥٨) نشرت أبحاث هذه الندوة في مجلة اللسان العربي، العدد ٤٨، ١٩٩٩، ص ١٦٩-٢٢٩ .

(٥٩) ينظـــر : السجل العلمي لندوة استخدام اللغة العربية في تقنية المعلومات، ص ٧٨١-٧٩٦.

(٦٠) جـــاءت هذه البحوث على النحو التالي : المعجم الإلكتروني للغة العربية، مؤتمر الكويت الأول للحاسوب، ١٩٨٩م، مشروع نظرية حاسوب – لسانية فـــي بناء معاجم آلية للغة العربية، مجلة التواصل اللساني (المغرب) المجلد ٢، العـــدد ٢، ١٩٩٠م، ص ٤٠-٥٥ (وقـــد نشر هذا البحث أيضاً ضمن السجل العلمي لندوة استخدام اللغة العربية في تقنية المعلومات، ص ٣٦٣-٤٠١)، المعجـــم التركيبي للغة العربية – معالجة المصادر والأسماء، مجلة التواصـــل اللساني، المجلد ٢، العدد ١، ١٩٩٠م، ص ٤٢-٤٩ .المعاجم الآلية للغة العربية – بناء قاعدة المعطيات، مجلة التواصل اللساني، المجلد٤ ، العدد ١، ١٩٩٢م، ص ٨١-١٠٨.

(٦١) صـــدر هـــذا الكتاب عن مجلة التواصل اللساني، فاس (المغرب)، ١٩٩٢م .ويقع في جزءين، عدد صفحاتهما ٣٥٠ صفحة .

(٦٢) ينظر في هذا : د. نهاد الموسى، العربية – نحو توصيف جديد...، ص ٢٤٧ -٢٦٢، د. أحمد مختار عمر، المعجم العربي الحديث والخروج من الدائرة، مجلة كلية دار العلوم، العدد ٢١، ١٩٩٧م، ص ١٦ فما بعدها، د. عبد القادر الفاسي الفهري، المعجمة والتوسيط، – نظرات جديدة في قضايا اللغة العربية. ط١، المركـــز الثقافـــي العربي، بيروت – لبنان، الدار البيضاء – المغرب، ١٩٩٧م، ص ٥٩-٧١، د.محمد مراياتي وزملاؤه، المعجم الحاسوبي نظام خبير للغة العربية، ضمن (بحوث المؤتمر العلمي الأول حول الكتابة العلمية باللغة العربية – واقع وتطلعات)، ص ٣٣٩ فما بعدها.

(٦٣) ينظـــر فـــي هذا مداخلة الدكتور محمود إسماعيل صيني في الجلسة التي عقـــدت بهـــامش نـــدوة استخدام اللغة العربية في تقنية المعلومات، ضمن (السجل العلمي لهذه الندوة) ص ٧٨٧-٧٨٨ .

(٦٤) للاطـــلاع علـــى هـــذه الجهـــود المبذولة لإنتاج برامج معجمية بواسطة الحاســـوب ينظر:د.نبيل علي، اللغة العربية والحاسوب، ص٥٢٩، د.أحمد مختار عمر، صناعة المعجم الحديث، ص ١٦٩، ١٨٩ فما بعدها .

(٦٥) ينظر : د. أحمد مختار عمر، صناعة المعجم الحديث، ص ١٨٦-١٨٨

(٦٦) اللغة العربية والحاسوب، ص ٥٣١ .

(٦٧) نـــشر هـــذا البحث ضمن (السجل العلمي لندوة استخدام اللغة العربية في تقنية المعلومات) ص ٢٩٩-٣١٢ .

(٦٨) كان هذا في مقاله : الناقل العربي أول برنامج للترجمة الآلية من العربية إلـــى الإنكليـــزية، ضـــمن أعمال ندوة (واقع اللغات ومستقبلها في تونس) إصدار مركز النشر الجامعي، تونس، ٢٠٠٠م، ص ٣٠٩-٣٢١ .

(٦٩) ينظر المصدر السابق، ص٣١٥-٣١٧ .

(٧٠) نـــشر هـــذا البحث بعنوان : مقاربة معرفية لتحليل دلالة الجملة الخبرية العـــربية – الإطار المفهومي العام، ضمن (المؤتمر الثاني حول اللغويات الحسابية العربية)، الكويت، ١٩٨٩م، ص ١٤٨-١٧١ .

(٧١) نشر البحث هذا ضمن (أعمال مناظرة اللغة العربية والتقنيات المعلوماتية المتقدمة) مؤسسة الملك عبد العزيز آل سعود، الدار البيضاء، ١٩٨٩م ص ٤٥-٥٥ .

(٧٢) ينظـــر: د. نادية حامد حجازي، الترجمة الآلية.. هل هناك آفاق حقيقية ؟ ضـــمن ندوة (الترجمة والثقافة العربية...) المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكـــويت، ٢٠٠١م، ص٣٧٢، د. عبد الفتاح أبو السيدة، الحاسب الآلي والترجمة، مجلة اللسان العربي، العدد ٢٨، ١٩٨٧م، ص ٩٥-١٠٤ ، د.فـــؤاد فرسوني، الترجمة الآلية واللغة العربية، مجلة مكتبة الملك فهد الوطنـــية، المجلـــد١، العـــدد١، ١٤١٦هـــ، ص١٢٩ فما بعدها، د.محمد ديـــداوي، علـــم الترجمة بين النظرية والتطبيق، دار المعارف، سوسه – تونس، ١٩٩٢م، ص٤٢٨ .

(*) هـــناك نظامـــان حاســـوبيان يـــتعاملان مع الترجمة هما : الترجمة الآلية، والتـــرجمة بمساعدة الحاسوب .فأما الترجمة الآلية فلا تحتاج إلا لقليل من الـــتدخل البشري، في حين أن الترجمة الآخرى تحتاج إلى العنصر البشري (الإنساني) احتياجاً كبيراً. ينظر: د. محمود إسماعيل صيني، الترجمة الآلية واللغـــة العـــربية، ضمن (وقائع مختارة من ندوة استخدام اللغة العربية في الحاســـب الآلـــي) ص ٢٣٩، ألبيرت نيوبرت وغريغوري شريف، الترجمة وعلوم النص، ترجمة: د.محيي الدين حميدي، جامعة الملك سعود بالرياض، ١٤٢٣هـــ - ٢٠٠٢م، ص ٣٥-٩٣ .

(٧٣) بالإضـــافة إلى ما سبق ذكره في الهوامش من مراجع ينظر: د. عبد الله الحمـــيدان، مقدمة في الترجمة الآلية، مكتبة العبيكان، الرياض، ٢٠٠١م، ولفرام ويكز، الترجمة الآلية، ترجمة : د. علي حسين حجاج، مجلة البيان (الكويت)، العدد ٢١٩، ١٩٨٤م، د.حسام الخطيب، الترجمة الآلية وقضية تعـــريب العلوم، ضمن (مازن المبارك : بحوث مهداة إليه بمناسبة بلوغه

الـــسبعين) دار الفكر، دمشق ،١٤٢٢هـــ - ٢٠٠١م، ص١١٨-١٤٢، د.فـــؤاد فرسوني، الترجمة الآلية واللغة العربية، مجلة مكتبة الملك فهد الوطنية، مصدر سابق، ص١٢٩-١٥١، د. سليمان الواسطي، التفاعل بـــين الإنسان والآلة في الترجمة الحاسوبية، مجلة التعريب، دمشق، العدد ٢٠، ٢٠٠٠م .

(٧٤) لمعـــرفة هـــذه البرامج ينظر: د. محمود إسماعيل صيني، الترجمة الآلية للغـــة العـــربية (مـــصدر سابق) ص ٢٤١ فما بعدها، د.حسام الخطيب، الترجمة الآلية وقضية تعريب العلوم (مصدر سابق) ص ١٣٣ فما بعدها، د.نادية حامـــد حجازي، الترجمة الآلية... (مصدر سابق) ص٣٧٥ فما بعـــدها، د. عبد الفتاح أبو السيدة، الحاسب الآلي والترجمة (مصدر سابق) ص ٩٦ فما بعدها .

(٧٥) ينظـــر: د. حسام الخطيب، الترجمة الآلية وقضية تعريب العلوم (مصدر سابق) ص ١٤٠-١٤١

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

(٧٦) لمزيد من التفاصيل حول مشكلة الكتابة العربية ينظر: د.نبيل علي، اللغة العـــربية والحاســـوب، ص ٢٠١-٢١١، د.مـــازن الوعـــر، اللـــسانيات والحاســـوب واللغـــة العربية، صحيفة رؤى ثقافية (سورية) العدد ٤، ١٣ أيلول ٢٠٠٣م، ص ٢٣ .

(٧٧) لمعـــرفة الملامـــح الرئيـــسة لهذه الطريقة ينظر: أحمد الأخضر غزال، اســـتخدام اللغة العربية في علوم الحاسوب، المجلة العربية للتربية، تونس، المجلـــد٦، العدد١، ١٩٨٦م، ص٥٧-٨١، د.مازن الوعر، قضايا أساسية في علم اللسانيات الحديث، ص٤١٧-٤٢١. والأمر اللافت للنظر أن هناك بحـــثاً قدمـــه كـــل مـــن الدكتور التهامي الراجي الهاشمي والمهندس وليد

بنجيلانـــي (المغـــرب) ذكـــرا فيها تلك الطريقة التي تنسب للأستاذ أحمد الأخـــضر غـــزال، دون إشارة منهما إلى صاحبها!! ينظر: إدخال العربية المـــشكولة والـــشفرة العـــربية المـــوحدة في الإعلاميات. مجلة الحاسبات الإلكترونية، بغداد، ١٩٨٠م، ص ٣٥١-٣٧٠.

(٧٨) ينظـــر: د.مـــازن الوعـــر، اللسانيات والحاسوب واللغة العربية (مصدر سابق)، ص٢٣ .

(٧٩) ينظر: د.نبيل علي، اللغة العربية والحاسوب، ص ٢١٣-٢٢٠ .وللمزيد حـــول المحـــاولات بهـــذا الخصوص ينظر: د. ممدوح النجار - د.منظر مـــسعود، أســـلوب بناء حاسوب بغرض معالجة النصوص العربية، ضمن (وقائع مختارة من ندوة استخدام اللغة العربية في الحاسب الآلي) ص ٨١ فما بعدها .

(٨٠) ينظر: تمييز حروف اللغة العربية المكتوبة آليا باستخدام الشبكات العصبية ذات الانتـــشار الرجوعـــي، مجلـــة جامعـــة الملك سعود (علوم الحاسب والمعلومات) المجلد٩، ١٤١٧هـــ-١٩٩٧م، ص ١-٢٨ .

(٨١) ينظر : د.محمود إسماعيل صيني، تعليم اللغات باستخدام الحاسب الآلي، المجلـــة العربية للدراسات اللغوية (الخرطوم) المجلد٢، العدد٢، ١٩٨٢م، رضـــا السويـــسي، في تعليم العرَبية لغة ثانية بمساعدة الحاسوب، ضمن (اللسانيات العربية والإعلامية) تونس، ١٩٨٩م، ص٢٢١-٢٦٦، د.صلاح عـــبد المجـــيد العربي، تعلم اللغات الحية وتعليمها بين النظرية والتطبيق، ط١، مكتـــبة لبنان، بيروت، ١٩٨١م، ص ٢٢٩ فما بعدها، د.نبيل علي، اللغـــة العـــربية والحاسوب، ص ١٤٦، د. صلاح الدين حسنين، استخدام العقـــل الإلكترونـــي فـــي تعليم العربية لغير المتكلمين بها، مجلة الفيصل (الرياض) مجلد٧، العدد٧٤، ١٩٨٣م، ص٤٤-٤٦

(٨٢) العربية – نحو توصيف جديد ....، ص٣٥ .

(٨٣) لمعـــرفة بعض هذه البرامج الحاسوبية ينظر: المصدر السابق، ص٤٦-٤٧، د.ناصر عبد الرزاق الموافي، استخدام التقنيات الحديثة في الدراسات الأدبـــية واللغوية – دراسة في مجموعة البرامج التراثية على الحاسوب، ملخـــص بحـــث مقـــدم للمؤتمـــر العلمي الأول لقسم اللغة العربية وآدابها بالجامعة الأردنية (آفاق الدراسات في اللغة والأدب بين الحاضر والمستقبل ١٦-١٨/٥/١٩٩٩م)، ص١١٠-١١٢ من ملخصات أبحاث هذا المؤتمر، لغـــويات الكمبيوتـــر العربية من الخيال إلى الواقع، مجلة بايت الشرق الأوسط، كانون الثاني ١٩٩٥م، ص٦٦-٦٧ .

(٨٤) كـــان للدكتور الطيب البكوش واثنين من زملائه محاولة أولى ووحيدة – فيما أعلم – لصناعة معجم للمصطلحات اللسانية الحاسوبية، صدرت ضمن أشـــغال الملتقـــى الرابع للسانيات (اللسانيات العربية والإعلامية) تونس، ١٩٨٩م، ص١٣٩-١٦٦. والـــذي أراه أن صـــناعة معجم كهذا يتطلب تعاوناً أكثر، وتخطيطاً أشمل من المختصين في اللغة والحاسوب، وهذا ما نتمناه أن يتحقق في قابل الأيام .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

لغة كسر ياء المتكلم المدغم فيها

د. كامل محمد أبو سنينة
جامعة الإسراء – الأردن

الملخص

يــصنف هــذا البحث في جملة المسائل النحوية واللغوية المختلف فيها، أتصح فتعتمد؟ أم تفسد فتطرح ؟.

ومــسألة هــذا البحث كسر ياء المتكلم المدغم فيها، وقد عملت على أن أصــل إلــى القــول الفــصل في هذه المسألة، فخلصت إلى صحتها في القياس والاستعمال، وإن كان الفتح هو الأصل، وهو أولى وأحسن.

أمــا فــي القياس فللكسر وجهان، ولبعض صوره ثلاثة أوجه، بسطت القول فيها، وتكلمت على صور متنوعة لكل وجه منها.

وأمــا في الاستعمال فوقفت على خمسة شواهد شعرا ونثرا، إلى جانب قــراءة "بِمُصْرِخِيِّ" في الآية ٢٢ من سورة إبراهيم عليه السلام، التي طال كلام النحويــين، واللغويين، والمفسرين عليها، وتضاربت أقوالهم فيها، وكان التحقيق ثبوتها بالتواتر عن رسول الله ﷺ.

وأخيراً قومت هذه المسألة اللغوية من جهتي المعنى واللفظ.

أمــا من جهة المعنى فرأيت فيها ضربا من التوكيد، فكسر الياء آكد في الدلالة على المتكلم من فتحها.

وأمــا مــن جهــة اللفظ ففيها إثراء له، وقد أسعفت الشاعر في بعض الشواهد التي أثبتها، في إقامة الوزن تارة، وفي إقامة القافية تارة أخرى.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم، والحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسوله الكريم الأمين، وبعد:

فـــيدخل هـــذا الـــبحث في باب المسائل النحوية واللغوية المختلف فيها، أَتَصِحُّ فتُعتمد ويُصار إليها، أم تَفْسُدُ فَتُطَّرح ويُنبى عنها ؟.

ومـــسألة هذا البحث كسرُ ياء المتكلم المدغم فيها في مثل: لَدَيِّ، وعليِّ، وإليِّ، الأصل: لدى، وعلى، وإلى، فقُلبت الألف في كُلٍّ وأُدغمت في الياء. وفي مثل: مُسْلِمِيِّ، ومُعَلِّمِيِّ، الأصل: مسلمون ومعلمون، ومسلمين ومعلمين، أسقطت الـــنون فـــيها كلها للإضافة، وقلبت الواو في الرفع وأدغمت فقلت: جاء مسلميِّ ومعلمـــيِّ، وأدغمـــت في النصب والجر فقلت: رأيت مسلميِّ ومعلميِّ، ومررت بمسلميِّ ومعلميِّ.

وقـــد طـــال كلام النحويين، واللغويين، والمفسرين، في كسر الياء من "مُـــصْرِخِيِّ" في قوله تعالى: **"وقال الشيطان لما قضي الأمر إن الله وعدكم وعد الحق ووعدتُكُم فأخلفتُكُم وما كان لي عليكم من سلطانٍ إلا أن دعوتُكُم فاستجبتم لي فلا تلوموني ولوموا أنفسكم ما أنا بمصرخكم وما أنتم بِمُصْرِخِيِّ إني كفرت بمـــا أشركتمون من قبلُ إن الظالمين لهم عذاب أليم"**(١) ما بين مُصَحِّح ومُخَطِّئ فعملـــت علـــى أن أصل إلى القول الفصل في هذا الحرف، وفي جملة كسر ياء المتكلم المدغم فيها التي يقع فيها هذا الحرف.

وقد أفدت في هذا البحث من كتب النحو والصرف واللغة، وأفدت كثيراً من كتب القراءات والتفسير. وأسأل الله التوفيق.

---

(١) إبراهيم ٢٢.

كسر ياء "مُصْرِخِيّ" في الآية الكريمة قراءة يحيى بن وثاب والأعمش(٢)، وحمران بن أعين، وجماعة من التابعين(٣)، وإحدى قراءتي حمزة(٤).

المُخَطِّئوْن لهذه القراءة:

نسب الفراء هذه القراءة إلى الوهم، قال: ولعلها من وهم القراء من طبقة يحيى، فإنه قلَّ من سلم منهم من الوهم، ولعله ظن أن الباء في بِمُصْرِخِيّ خافضة للحرف كله، والياء من المتكلم، خارجة من ذلك(٥).

وقال الأخفش: وبلغنا أن الأعمش قال: بمصرخيٍّ، فكسره. وهذه لحن لم نسمع بها من أحد من العرب، ولا من أهل النحو(٦).

---

(٢) انظر: الفراء – معاني القرآن ٧٥/٢، النحاس – إعراب القرآن ٣٦٨/٢، الفارسي – الحجة ١٦/٣، الرازي – التفسير الكبير ١١٤/١٩، ابن الجزري – النشر ٢٩٩/٢، الألوسي – روح المعاني ٢٠٩/١٣-٢١٠.
يحيى بن وثاب الأسدي الكوفي، مولى بني أسد. تابعي. قرأ القرآن كله على عبيد بن نضيلة، وقرأ عليه: الأعمش وطلحة بن مصرف، وأبو حصين الأسدي، وحمران بن أعين. توفي ١٠٣هـ. الذهبي- معرفة القرّاء الكبار ٦٢/١ – ٦٥.
الأعمش: أبو محمد سليمان بن مهران الأسدي الكوفي. تابعي. قرأ على يحيى بن وثاب وغيره، وقرأ عليه حمزة الزيات وغيره. كان صاحب سنة. توفي ١٤٨هـ. الذهبي – معرفة القراء الكبار ٩٤/١-٩٦.
القراء الكبار ٦٢/١-٦٥.

(٣) انظر: المنتجب – الفريد في إعراب القرآن المجيد ١٦٠/٣-١٦١، ابن الجزري – النشر ٢٩٩/٢.
حمران بن أعين مولى بني شيبان، كوفي مقرئ كبير. قرأ على يحيى بن وثاب وغيره، وقرأ عليه حمزة. قال ابن معين: ضعيف. وقال النسائي: ليس بثقة. وقال أبو داود: كان رافضيا. توفي في حدود ١٣٠هـ. الذهبي – معرفة القراء الكبار ٧٠/١-٧١.

(٤) ابن مجاهد – السبعة في القراءات ٣٦٢، الفارسي – الحجة ١٦/٣. حمزة بن حبيب الزيات، أبو عمارة، أحد القراء السبعة. كوفي. توفي بحلوان في خلافة أبي جعفر المنصور سنة ١٥٦هـ. ابن الجزري – تحبير التيسير ١١٠.

(٥) الفراء – معاني القرآن ٧٥/٢. وانظر: ابن قتيبة – تأويل مشكل القرآن ٦٢، أبا حيان – البحر المحيط ٤٠٨/٥، الألوسي – روح المعاني ٢١٠/١٣.

(٦) الأخفش الأوسط – معاني القرآن ٣٧٥/٢. وانظر: تفسير البغوي بهامش تفسير الخازن ٣٩/٤، أبا حيان – البحر المحيط ٤٠٨/٥، الألوسي – روح المعاني ٢١٠/١٣.

وقـــال أبو عبيد القاسم بن سلام: نراهم غلطوا، ظنوا أن الباء تكسر لما بعدها(٧).

وذهـــب الـــزجاج إلـــى أنهـــا رديئة مرذولة عند جميع النحويين. قال: قـــرئت بِمُـــصْرِخِيّ بفـــتح الـــياء، كـــذا قرأه الناس. وقرأ حمزة والأعمش(٨) بمـــصرخيٍّ، بكـــسر الـــياء، وهذه القراءة عند جميع النحويين رديئة مرذولة، ولا وجـــه لهـــا إلا وجـــه ضـــعيف ذكـــره بعـــض النحويـــين، وذلك أن ياء الإضـــافة إذا لـــم يكـــن قـــبلها ساكن حركت إلى الفتح، تقول: هذا غلاميَ قد جـــاء، وذلـــك أن الاســـم المـــضمر لمـــا كـــان علـــى حرف واحد وقد مُنع الإعـــراب، حُـــرِّك بأخـــف الحـــركات، كمـــا تقـــول: هـــوَ قائم، بفتح الواو، وتقـــول: أَنَـــا قمـــت، فتفـــتح الـــنون. ويجوز إسكان الياء لثقل الياء التي قبلها كـــسرة. فـــإذا كـــان قـــبل الياء ساكن حُرِّكت إلى الفتح لا غير، لأن أصلها أن تحَـــرَّك ولا ســـاكن قـــبلها، وإذا كـــان قـــبلها ســـاكن صارت حركتها لازمة لالـــتقاء الـــساكنين. ومـــن أجـــاز بمـــصرخيٍّ بالكـــسر، لزمه أن يقول: "**هي عَـــصَايِ أتـــوكأ علـــيها**"(٩) وأجـــاز الفـــراء علـــى وجه ضعيف الكسر، لأن أصل التقاء الساكنين الكسر، وأنشد:

---

(٧) انظـــر: أبا حيان – البحر المحيط ٤٠٨/٥، الألوسي – روح المعاني ٢١٠/١٣. أبو عبيد اللغـــوي القاســـم بـــن ســـلام، كـــان إمام عصره في كل فن من العلم. أخذ عن أبي زيد الأنـــصاري، وأبـــي عبيدة، والأصمعي، وأبي محمد اليزيدي، وغيره من البصريين. وأخذ عـــن ابـــن الأعرابـــي، وأبـــي زياد الكلابي، والأموي، وأبي عمرو الشيباني، والكسائي، والأحمـــر، والفراء. توفي بمكة سنة ٢٢٣، أو ٢٢٤، وقيل: ٢٣٠. انظر: القفطي – إنباه الرواة ١٢/٣-٢٣، السيوطي – بغية الوعاة ٢٥٣/٢-٢٥٤.

(٨) في الأصل: والأعشى. تحريف.

(٩) طه الآية ١٨. وفي الأصل: "هذه عصاي . . ."

قُلــتُ لها هل لَكِ يا تا فِيِّي[10] قالت لنا ما أنت بِالمرَضِيِّ[11]

وهــذا الــشعر مما لا يلتفت إليه، وعمل مثل هذا سهل، وليس يعرف قائل هذا الشعر من العرب، ولا هو مما يُحتج به في كتاب الله عز وجل[12].

وذكــر النحاس ما قاله الفراء والأخفش في إنكار هذه القراءة وقال: فقد صار هذا بإجماع لا يجوز، وإن كان الفراء قد نقض هذا وأنشد:

قلــت لهاهــل لــك يــا تا فِيِّي قالــت لــنا مــا أنت بالمرضِي

ولا ينبغي أن يُحمل كتاب الله جَلَّ وعزَّ على الشذوذ[13].

وقال الواحدي: والقراءة الصحيحة فتح الياء في مصرخيَّ، وهو الأصل، لأن ياء الإضافة إذا كان قبلها ساكن، حُرِّكت إلى الفتح لا غير نحو "هداي"[14].

---

(١٠) في الأصل: ثا، بالمثلثة الفوقية. تحريف.

(١١) بيــتان مــن الرجــز المشطور. نسبا إلى الأغلب العجلي في: أبي حيان – البحر المحيط ٤٠٩/٥، السمين الحلبي – الدر المصون ٩٠/٧-٩١، الألوسي – روح المعاني ٢١٠/١٣. قال السمين الحلبي: ذكر الشيخ أبو شامة أنه للأغلب العجلي، قال (أبو شامة): ورأيته أنا في أول ديوانه، وأول هذا الرجز:

أَقْبَلَ فِي ثَوْبٍ مُعَافِرِيٍّ عِنْدَ اخْتِلاطِ اللَّيلِ والعَشِيِّ

الدر المصون ٩١/٧

الأغلــب العجلي: قال البغدادي: هو الأغلب بن عمرو بن عبيدة. أرجز الرجاز، وأرصنهم كلاما، وأصحهم معانــي. قــال ابــن قتيبة في كتاب الشعراء: كان الأغلب جاهليا إسلاميا، وقتل بنهاوند. وهو أول من أطال الرجــز، وكــان الــرجل قــبله يقــول البيت والبيتين إذا فاخر أو شاتم. وعده ابن الأثير في أسد الغابة من الصحابة. انظر: البغدادي – خزانة الأدب ٢٣٩/٢.

(١٢) الــزجاج – معانــي القــرآن وإعرابه ١٥٩/٣-١٦٠. وانظر: مكي بن أبي طالب – الكشف ٢٦/٢-٢٧، مشكل إعراب القرآن ٤٤٨/١، أبا حيان – البحر المحيط ٤٠٨/٥.

(١٣) النحاس – إعراب القرآن ٣٦٨/٢-٣٦٩. وانظر: أبا حيان – البحر المحيط ٤٠٨/٥.

(١٤) البقــرة ٣٨ من قوله تعالى: "فمن تبع هداي فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون". طه ١٢٣ من قوله تعالى: "فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى". وانظر: الواحدي – الوسيط ٢٩/٣.

وذكـــر الفخر الرازي أن من النحويين من تكلف بذكر وجه لصحة مثل هذا، إلا أن الأكثرين قالوا: إنه لحن(١٥).

وذكـــر أبـــو حيان أن جعفرا الصادق رد على حمزة هذه القراءة وقال: أخالفـــك فيها(١٦). وذكر أيضاً أن الكسائي قال: كان نُصير النحوي يحمل قراءة حمزة على اللحن، وكان أهل النحو يحسبونه من حمزة غلطا(١٧).

وضَـــعَّفَ الزمخـــشري والعكبـــري القراءة(١٨). وذكر الزمخشري أنهم استـــشهدوا لهـــا ببيت مجهول، وهو بيت الأغلب المتقدم، وقال: وكأنه قَدَّر ياء الإضـــافة ســـاكنة، فحـــركها بالكسر لما عليه أصل التقاء الساكنين، ولكنه غير صـــحيح، لأن يـــاء الإضـــافة لا تكـــون إلا مفـــتوحة حيث قبلها ألف في نحو "عصايَ"(١٩)، فما بالها وقبلها ياء ؟ فإن قلت: جرت الياء الأولى مجرى الحرف الـــصحيح لأجـــل الإدغـــام، فكأنها ياء وقعت ساكنة بعد حرف صحيح ساكن، فحركت بالكسر على الأصل، قلت: هذا قياس حسن، ولكن الاستعمال المستفيض الذي هو بمنزلة الخبر المتواتر، تتضاءل إليه القياسات(٢٠).

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

---

(١٥) الفخر – التفسير الكبير ١١٤/١٩.

(١٦) أبو حيان – ارتشاف الضرب ٥٣٦/٢.

جعفـــر الـــصادق: أبـــو عبد الله جعفر بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين السبط. من أجلاء التابعـــين، ســـادس الأئمـــة الاثنـــي عشر عند الإمامية. مولده بالمدينة، ووفاته بها سنة ١٤٨. الخزرجي – خلاصة تذهيب تهذيب الكمال ١٨٧/١.

(١٧) أبو حيان – ارتشاف الضرب ٥٣٧/٢.

الكـــسائي: أبـــو الحسن علي بن حمزة الكوفي النحوي. أحد القراء السبعة. توفي في رنبوبة، قرية من قرى الري، حين توجه إلى خراسان مع الرشيد سنة ١٨٩. انظر: ابن الجزري – تحبير التيسير ١١١-١١٢.

نـــصير النحوي: نصير بن أبي نصير الرازي. كان علامة نحويا. جالس الكسائي، وأخذ عنه النحو، وقرأ علـــيه القرآن. ورأى الأصمعي، وأبا زيد الأنصاري، وسمع منهما. له مؤلفات حسان، سمعها منه أبو الهيثم الرازي، ورواها عنه. انظر: القفطي – إنباه الرواة ٣٤٧/٣، السيوطي – بغية الوعاة ٣١٦/٢.

(١٨) الزمخشري – الكشاف ٣٧٤/٢، العكبري – التبيان ٧٦٧/٢.

(١٩) طه ١٨.

(٢٠) الزمخـــشري – الكـــشاف ٣٧٤/٢-٣٧٥. وانظـــر: أبا حيان – البحر المحيط ٤٠٨/٥-٤٠٩، الألوسي – روح المعاني ٢١٠/١٣.

ووجهها مكي بن أبي طالب على أنها لغة لبني يربوع، على ما سيأتي، وقال: فالقراءة بكسر الياء فيها بعد من جهة الاستعمال، وهي حسنة على الأصول، ولكن الأصل إذا طرح كان استعماله مكروهاً بعيدا(٢١).

المُصَوِّبُونَ لها:-

هذه القراءة التي نسبها الفراء إلى الوهم، وضعَّفها من ذكرنا، وجعلها مكي بن أبي طالب مكروهة بعيدة، وذكر بعضهم أن الفراء استشهد لها ببيت مجهول، رجع الفراء فأجازها. والرجز للأغلب العجلي، وليس مجهولاً. قال الفراء: وقد سمعت بعض العرب يُنشد، وذكر رجز الأغلب وقال: فخفض الياء من فيِّي، فإن يك ذلك صحيحاً، فهو مما يلتقي من الساكنين، فيُخفض الآخِرُ منهما، وإن كان له أصل في الفتح، ألا ترى أنهم يقولون: لم أره مُذُ اليوم، ومُذِ اليوم، والرفع في الذال هو الوجه، والخفض جائز ؟ فكذلك الياء من مصرخِيِّ، خفضت ولها أصل في النصب(٢٢).

وذكر أبو حيان أن الفراء قال: وزعم القاسم بن معن أنها صواب، وكان ثقة بصيراً(٢٣).

---

(٢١) مكي – مشكل إعراب القرآن ٤٤٩/١.

(٢٢) الفراء – معاني القرآن ٧٦/٢.

(٢٣) أبو حيان – ارتشاف الضرب ٥٣٦/٢، البحر المحيط ٤٠٩/٥.

القاسم بن معن بن عبد الرحمن ابن الصحابي عبد الله بن مسعود النحوي القاضي الكوفي. صنف: النوادر في اللغة، وغريب المصنف، وكتبا في النحو. أخذ عنه محمد بن زياد الأعرابي اللغوي الراوية. وأخذ عنه الليث بن المظفر نحوا ولغة. توفي سنة ١٧٥، وقيل ١٨٨. انظر: القفطي – إنباه الرواة ٣٠/٣-٣١، السيوطي – بغية الوعاة ٢٦٣/٢.

وأجـــاز هـــذه القراءة ابن خالويه[٢٤]، وابن زنجلة[٢٥]، وابن الأنباري[٢٦]، والمُنـــتجب الهمذانـــي[٢٧]، وأبـــو حـــيان[٢٨]، وابـــن الجزري[٢٩]، والبنا[٣٠]، والألوسي[٣١]، وقبل هؤلاء إمام النحو واللغة والقراءة أبو عمرو بن العلاء[٣٢].

وجهها في القياس:

وجهت هذه اللغة ثلاثة توجيهات، وهي:

الأول: مـــا ذكره الفراء وغيره أنها مما يلتقي من الساكنين، فيُخفض الآخِرُ مـــنهما، لأن يـــاء المتكلم حركتها حركة بناء لا إعراب، والعرب تكسر لالتقاء الساكنين كما تفتح[٣٣].

---

(٢٤) الحجة في إعراب القراءات السبع ١٧٨، إعراب القراءات السبع وعللها ٣٣٥/١-٣٣٦.

(٢٥) حجة القراءات ٣٧٧-٣٧٨.

(٢٦) البيان في غريب إعراب القرآن ٥٧/٢.

(٢٧) الفريد في إعراب القرآن المجيد ١٥٨/٣-١٦١.

(٢٨) البحر المحيط ٤٠٩/٥.

(٢٩) النشر في القراءات العشر ٢٩٨/٢.

(٣٠) إتحاف فضلاء البشر ١٦٧/٢-١٦٨.

(٣١) روح المعاني ٢٠٩/١٣-٢١٠.

(٣٢) انظر: ابن خالويه – إعراب القراءات السبع وعللها ٣٣٥/١، ابن زنجلة – حجة القراءات ٣٧٨، أبا حيان – ارتـــشاف الضرب ٥٣٦/٢، البحر المحيط ٤٠٩/٥، ابن الجزري – النشر ٢٩٨/٢، البنا – إتحاف فضلاء البشر ١٦٧/٢، الألوسي – روح المعاني ٢١٠/١٣.

أبـــو عمـــرو بـــن العلاء البصري. من القراء السبعة. ليس فيها ولا في العشرة من العرب غيره وغير ابن عامر. توفي بالكوفة سنة ١٥٤. ابن الجزري – تحبير التيسير ١٠٧-١٠٨.

(٣٣) انظـــر: الفراء – معاني القرآن ٧٦/٢، ابن خالويه – الحجة في القراءات السبع ١٧٨، إعراب القراءات السبع وعللها ٣٣٥/١-٣٣٦، ابن زنجلة – حجة القراءات ٣٧٧-٣٧٨، تفسير البغوي بهامش تفسير الخازن ٣٩/٤، ابـــن الأنـــباري – البيان في غريب إعراب القرآن ٥٧/٢، العكبري – التبيان في إعراب القرآن ٢/ ٧٦٧، إعـــراب القراءات الشواذ ٧٣٤/١، المنتجب – الفريد في إعراب القرآن المجيد ١٥٨/٣، القرطبي – الجامع لأحكام القرآن ٢٩٨/٢-٢٩٩، ابن الجزري – النشر ٢٩٨/٢-٢٩٩، البنا – إتحاف فضلاء البشر ٢/ ١٦٧-١٦٨، الألوسي – روح المعاني ٢٠٩/١٣-٢١٠.

ولا وجـــه لمـــا ذهب إليه النحاس، والواحدي، والقرطبي، أن ياء النفس فـــيها لغتان: الفتح والتسكين إذا لم يكن قبلها ساكن مثل: غلامِيَ، وغلامِيْ، فإذا كان قبلها ساكن فالفتح لا غير(٣٤).

ولا وجه لما ذهب إليه الزجاج والنحاس أن من أجاز بمصرخيّ بالكسر، لـــزمه أن يقـــول: " **هي عَصَايِ أتوكأ عليها** "(٣٥)، فقد قرئ بها، أثبت ذلك أبو حـــيان، وهو مقدم على من نفى، قال: وإذا أضفت المقصور قلت: "عصايَ" في الأحـــوال الـــثلاثة، والياء مفتوحة، وقد تكسر نحو "عصايِ". وتسكينها بعد ألف كقراءة نافع(٣٦) "ومحياي" في الوصل(٣٧)، من إجراء الوصل مجرى الوقف(٣٨).

ولا وجه لما ذهب إليه الزمخشري أن قراءة الكسر في بمصرخيِّ حسنة في القياس، ولكن الاستعمال المستفيض الذي هو بمنزلة الخبر المتواتر تتضاءل إليه القياسات(٣٩)، فإنها حسنة في القياس والاستعمال أيضاً.

ومن التحريك بالكسر لالتقاء الساكنين قوله تعالى: "**أولئك الذين اشتروا الـــضلالة بالهـــدى**"(٤٠) قـــرئت الـــواو فـــي "اشتروا" بالضم، والكسر، والفتح، والاخـــتلاس، وقلـــبها همزة. كل ذلك للتبلغ بالحركة لاضطرار الساكنين إليها. ولكل قراءة من هذه القراءات الخمس وجهها وخصوصيتها(٤١).

---

(٣٤) انظر: النحاس – إعراب القرآن ٣٦٨/٢، الواحدي – الوسيط ٢٩/٣، القرطبي – الجامع لأحكام القرآن ٩ /٣٥٧.

(٣٥) طه ١٨. وانظر: الزجاج – معاني القرآن وإعرابه ١٥٩/٣، النحاس – إعراب القرآن ٣٦٨/٢.

(٣٦) نافـــع بن عبد الرحمن بن أبي نعيم المدني. من القراء السبعة. توفي بالمدينة ١٦٩. ابن الجزري – تحبير التيسير ١٠٥.

(٣٧) الأنعام ١٦٢، من قوله سبحانه: "قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين".

(٣٨) أبو حيان – ارتشاف الضرب ٥٣٧/٢. وانظر: البحر المحيط ٤٠٩/٥.

(٣٩) الزمخشري – الكشاف ٣٧٥/٢.

(٤٠) البقرة ١٦.

(٤١) انظـــر: الـــزجاج – معاني القرآن وإعرابه ٨٩/١، ابن مجاهد – السبعة في القراءات ١٤٥، الفارسي – الحجة ٢٣٠/١-٢٣٣، ابن جني – المحتسب ٥٤/١-٥٥، الخصائص ٣٣٧/٢، سر صناعة الإعراب ٧٧٧/٢ -٧٧٨، العكبري – التبيان ٣٢/١، ابن منظور – لسان العرب: شرى.

ومـــن التحريك بالكسر لالتقاء الساكنين قوله تعالى: "**يكاد البرق يخطف أبصارهم**"(٤٢). في يخطف قراءات: الأولى: يَخْطَفُ، بتسكين الخاء وفتح الطاء، يُقال: خَطِفَ يَخْطَفُ. والثانية: يَخْطِفُ، بتسكين الخاء وكسر الطاء، يُقال: خَطَفَ يَخْطِفُ. والثالثة: يَخَطِّفُ، بفتح الخاء وتشديد الطاء مكسورة. والرابعة: يَخِطِّفُ، بكـــسر الخاء وتشديد الطاء مكسورة. والخامسة: يَخْطِّفُ، بتسكين الخاء وتشديد الطـــاء مكـــسورة، بالجمع بين الساكنين. والسادسة: يِخِطِّفُ، بكسر الياء والخاء وتشديد الطاء مكسورة(٤٣).

والقـــراءات الأربع الأخيرة من: اختطف يختطف، بوزن: افتعل يفتعل. والكـــسر لالـــتقاء الساكنين في قراءة ":يَخِطِّفُ"، فقد سكنت الخاء في يَخْتَطِفُ، وسكنت التاء بعد إبدالها طاء وإدغامها، لقرب مخرجي الحرفين، فكسرت الخاء لالـــتقاء الـــساكنين. وهـــذا أحد توجيهي هذه القراءة. وأنكره الفراء، وذهب في التوجـــيه الثاني إلى أن الخاء كسرت طلباً لكسرة الألف في اختطف. قال: وأما مـــن كـــسر الخاء فإنه طلب كسرة الألف في اختطف والاختطاف. وقد قال فيه بعـــض النحويـــين: إنما كسرت الخاء لأنها سكنت وأُسكنت التاء بعدها، فالتقى ســـاكنان، فخفـــضت الأول. كما قال: اضربِ الرّجل، فخفضت الباء لاستقبالها اللام. وليس الذي قالوا بشيء، لأن ذلك لو كان كما قالوا لقالت العرب في يَمُدُّ: يَمِدُّ، لأن الميم ساكنة، وسكنت الأولى من الدالين. ولقالوا في يَعَضُّ: يَعِضُّ(٤٤).

وردَّ الـــزجاج إنكـــار الفـــراء الكـــسر لالتقاء الساكنين، قال: ومن قال يَخطِّـــفُ، كسر الخاء لسكونها وسكون الطاء. وزعم بعض النحويين أن الكسر لالتقاء الساكنين ها هنا خطأ، وأنه يلزم من قال هذا أن يقول في يَعَضُّ: يَعِضُّ، وفي يَمُدُّ: يَمِدُّ. وهذا خلط غير لازم، لأنه لو كسر ها هنا لالتبس ما أصله يَفْعَل

---

(٤٢) البقرة ٢٠.

(٤٣) انظـــر: الفـــراء – معانـــي القرآن ١/١٧-١٨، الأخفش – معاني القرآن ١/٥٠، الزجاج – معاني القرآن وإعرابه ١/٩٥-٩٦، ابن منظور لسان العرب: خطف.

(٤٤) الفراء – معاني القرآن ١/١٨.

ويَفْعُلُ بما أصله يَفْعلُ، ويَخطِّفُ ليس أصله غير هذا، ولا يكون مرة على يَفْتَعِلُ، ومرة على يَفْتِعِلُ[٤٥]، فكسر لالتقاء الساكنين في موضع غير ملبس، وامتنع في الملبس من الكسر لالتقاء الساكنين، وأُلزم حركة الحرب الذي أدغمه لتدل الحركة عليه[٤٦].

ومن التحريك بالكسر لالتقاء الساكنين قوله تعالى: "**أَفَمَنْ يَهْدِي إلى الحقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمَّن لا يَهِدِّي إلا أَن يُهْدَى**"[٤٧] في يَهِدِّي سبع قراءات: الأولى: يَهْدِي، بتسكين الهاء وكسر الدال مخففة. والثانية: يَهْدْي، بتسكين الهاء والدال، بالجمع بين الساكنين. والثالثة: يَهَدِّي، بفتح الهاء وكسر الدال مشددة. والرابعة: يَهَدِّي، باختلاس فتحة الهاء وكسر الدال مشددة، والاختلاس، والإخفاء، والإشمام، وتضعيف الصوت، والإشارة، واحد، وهو الإتيان بثلثي الحركة وحذف ثلثها الأخير. والخامسة: يَهْدِّي، بتسكين الهاء وكسر الدال مشددة، بالجمع بين الساكنين. والسادسة: يَهِدِّي، بكسر الهاء وتشديد الدال مكسورة. والسابعة: يِهِدِّي، بكسر الياء والهاء وتشديد الدال مكسورة.

والقراءات الخمس الأخيرة من اهتدى يهتدي. والكسر لالتقاء الساكنين في قراءة يَهِدِّي. وهي قراءة عاصم[٤٨]، وحفص بن سليمان[٤٩]، ويعقوب[٥٠]. والقول فيها نحوه في قراءة يَخِطِّف المتقدمة[٥١].

---

(٤٥) في الأصل: يفتَعَلُ. تحريف.

(٤٦) الزجاج – معاني القرآن وإعرابه ١/٩٥-٩٦. وانظر: ابن منظور – لسان العرب: خطف.

(٤٧) يونس ٣٥.

(٤٨) عاصم بن أبي النجود الكوفي، أبو بكر. من التابعين، وأحد القراء السبعة. توفي بالكوفة سنة ١٢٨. ابن الجزري – تحبير التيسير ١٠٩.

(٤٩) حفص بن سليمان الكوفي، أبو عمر، ويعرف بحُفيص. راوية عاصم الكوفي. توفي سنة ١٨٠. انظر: ابن الجزري – تحبير التيسير ١١٠.

(٥٠) يعقوب بن إسحاق الحضرمي مولاهم، أبو محمد. من القراء العشرة. توفي بالبصرة سنة ٢٠٥. انظر: ابن الجزري – تحبير التيسير ١١٣.

(٥١) انظر: الزجاج – معاني القرآن وإعرابه ٣/١٩-٢٠، ابن مجاهد – السبعة في القراءات ٣٢٦، ابن جني – سر صناعة الإعراب ١/٥٧، مكي بن أبي طالب – الكشف ١/٥١٨-٥١٩، الواحدي – الوسيط ٢/٥٤٧، ابن أبي مريم – الموضح في وجوه القراءات وعللها ٢/٦٢٣-٦٢٥، ابن منظور – لسان العرب: هدى، ابن الجزري – تحبير التيسير ٣٩٩، النشر ٢/٢٨٣، البنا – إتحاف فضلاء البشر ٢/١٠٩-١١١.

ومـــن التحـــريك بالكـــسر لالـــتقاء الساكنين قوله تعالى: "**ما ينظرون إلا صـــيحةً واحـــدةً تأخـــذهم وَهُـــمْ يَخِصِّمُونْ**"(٥٢) في يخصمون ست قراءات: الأولـــى: يَخْـــصِمون، بـــسكون الخـــاء وكـــسر الـــصاد مخففـــة. والثانـــية: يَخَـــصِّمون، بفـــتح الخـــاء وتـــشديد الـــصاد مكـــسورة. والثالثة: يَخَصِّمون، باخـــتلاس فـــتحة الخـــاء وكـــسر الصاد مشددة. والرابعة: يَخْصِّمون، بتسكين الخـــاء وكـــسر الـــصاد مـــشددة، بالجمع بين الساكنين. والخامسة: يَخِصِّمون، بكـــسر الخـــاء والـــصاد مـــشددة. والـــسادسة: يِخِصِّمون، بكسر الياء والخاء وتشديد الصاد مكسورة.

والقراءات الخمس الأخيرة من اختصم يختصم. والكسر لالتقاء الساكنين فـــي قراءة يَخِصِّمون، وهي قراءة ابن عامر(٥٣)، وعاصم، والكسائي، ويعقوب. والقول فيها نحوه في قراءتي: يَخِطِّفُ، ويَهدِّي(٥٤).

ومن التحريك بالكسر لالتقاء الساكنين قوله:

فـــوالله لولا بَغْضُكُمْ ما سَبَبْتُكُمْ ولكنَّنـــي لم أجْدِ مِنْ سَبِّكُمْ بُدّا (٥٥)

---

(٥٢) يس ٤٩.

(٥٣) عـــبد الله بـــن عامر اليحصبي، أبو عمران. شامي تابعي. من القراء السبعة، ليس فيها ولا في العـــشرة من العرب غيره وغير أبي عمرو، والباقون موال. توفي بدمشق سنة ١١٨. ابن الجزري – تحبير التيسير ١٠٨.

(٥٤) انظـــر: الزجاج – معاني القرآن وإعرابه ٤/٢٨٩-٢٩٠، ابن جني – سر صناعة الإعراب ١/٥٧، مكي بـــن أبـــي طالب – الكشف ٢/٢١٧-٢١٨، الواحدي – الوسيط ٣/٥١٥، ابن أبي مريم – الموضح في وجوه القراءات وعللها ٣/١٠٧٤-١٠٧٥، ابن منظور – لسان العرب: خصم.

(٥٥) البـــيت مـــن البحر الطويل. وهو دون نسبة في: الزبيدي – تاج العروس: وجد. والشطر الثاني دون نسبة أيضا في: ابن جني – الخصائص ٢/٣٣٣.

أراد: لم أَجِدْ، فأسكن الجيم استثقالاً للكسرة، والدال ساكنة، فحرَّكها لالتقاء الساكنين، الفتح طلباً للخفة، والكسر على الأصل في التقاء الساكنين. والبيت بالروايتين. وكسر الدال عن القزاز(٥٦).

ومن التحريك لالتقاء الساكنين لغات بني تميم في آخر الأمر من المضاعف، فإنهم مختلفون في ذلك، فمنهم من يُتبع فيقول: مُدُّ، وفِرٌّ، وعَضٌّ. ومنهم من يكسر فيقول: مُدٍّ، وفِرٍّ، وعَضٍّ. ومنهم من يفتح فيقول: مُدَّ، وفِرَّ، وعَضَّ. والتحريك في ذلك كله ليس إعراباً ولا بناء، وإنما هو لالتقاء الساكنين، يُتبعون، أو يكسرون على الأصل في التقاء الساكنين، أو يفتحون طلباً للخفة(٥٧).

ومن التحريك لالتقاء الساكنين اسم فعل الأمر "أُفّ"، ففيه ثماني لغات: أُفٍّ، وأُفَّ، وأُفٌّ، وأُفٍّ، وأُفَّا، وأُفٌّ، وأُفِّي ممال، وهو الذي تقول فيه العامة أُفِّي، وأُفْ خفيفة. والحركة في اللغات السبع الأول لالتقاء الساكنين، ليست إعراباً ولا بناءً. فمن كسر فعلى أصل الباب. ومن ضم فللإتباع. ومن فتح فللاستخفاف. ومن لم ينون أراد التعريف. ومن نوَّن أراد التنكير. ومن أمال بناه على فُعْلَى(٥٨).

ومن التحريك لالتقاء الساكنين "حيثُ"، بضم الثاء وفتحها وكسرها، والحركة فيها بناء، وإنما بُنيت لأنها تفتقر إلى الإضافة في فهم معناها، فجرت

---

(٥٦) القزاز: أبو عبد الله محمد بن جعفر القزاز التميمي النحوي. من مصنفاته: الجامع في اللغة، وضرائر الشعر، وإعراب الدريدية، والضاد والظاء، والعشرات في اللغة، وما أخذ على المتنبي، والتعريض والتصريح، وأدب السلطان. توفي بالقيروان سنة ٤١٢ عن نحو تسعين. انظر: السيوطي – بغية الوعاة ٧١/١.

(٥٧) انظر: ابن جني – الخصائص ٣٦/٣-٣٧.

(٥٨) السابق ٣٧/٣-٣٨.

مجـــرى الحـــرف الذي لا بد له من غيره. فمن ضمها شبهها بقبلُ وبعدُ. ومن فتحها طلب الخفة. ومن كسرها فعلى الأصل في التقاء الساكنين(٥٩).

الثانـــي: أنها لمطابقة كسرة إنَّ بعدها، "**وما أنتم بِمُصْرِخِيِّ إني كفرت بما أشركتمون من قبل**" ويقال أيضاً: الإتباع، والتجانس، والتناسب، والتقريب. لأنه أراد الوصل دون الوقف، فلما أراد هذا المعنى، كان كسر الياء أدلَّ على هذا من فتحها(٦٠).

أقـــول: وأريـــد أيـــضا مطابقة كسرتي الخاء والراء قبلها، لأن بين ياء المـــتكلم المكسورة، والخاء والراء المكسورتين، ياء الجمع الساكنة، وهي حاجز غير منيع.

والمطابقـــة فـــي اللغـــة باب واسع، يُحمل عليها مثلا قراءة فتح الواو المـــتقدمة في قوله تعالى: "**أولئك الذين اشْتَرَوا الضلالة بالهدى**"(٦١) فتحت الواو في: "**اشْتَرَوَا الضلالة**" لمطابقة فتحتي الراء والتاء قبلها، ولمطابقة فتحتي الضاد واللام بعدها في الضلالة، لأن الضاد المدغمة ساكنة، والساكن حاجز غير منيع. وهذا لا يُنافي حمل ابن جني والعكبري الفتح طلبا للخفة مع ثقل الواو(٦٢).

ويُحمـــل علـــى المطابقة أيضا القراءات: يَخِطِّفُ، ويَهدِّي، ويَخِصِّمون المتقدمة، بكسر الحرف الذي يسبق الحرف المشدد في هذه الكلمات الثلاث، فقد أتبعت كسرته كسرة الحرف المشدد، وأول الحرفين المدغمين ساكن غير منيع.

---

(٥٩) ابن الخباز – توجيه اللمع ٧٠.

(٦٠) انظـــر: ابـــن الأنباري – البيان ٢/٥٧، المنتجب – الفريد في إعراب القرآن المجيد ٣/١٦٠، الألوسي – روح المعاني ١٣/٢١٠.

(٦١) البقرة ١٦. وانظر قراءة الفتح في: الزجاج – معاني القرآن وإعرابه ١/٩١، ابن جني – المحتسب ١/٥٤ ، الخصائص ٢/٣٣٧، سر صناعة الإعراب ٢/٧٧٧-٧٧٨، العكبري – التبيان ١/٣٢.

(٦٢) ابن جني – المحتسب ١/٥٥، العكبري – التبيان ١/٣٢.

ومن كسر الياء فيما تقدم، فقد اتبع كسرتها كسرة ما بعدها.

ومـــن كانـــت لغته كسر الياء، وهو ما يعرف بتلتلة بهراء(٦٣)، فقد أتبع كسرة الحرف الذي بعدها كسرتها، وكسرة الحرف المشدد بعده.

ويُخَطِّـــئ الفـــراء أن تكون كسرة الحرف الثاني في هذه الكلمات تبعت كـــسرة الحرف المشدد، لتوجيهه المتقدم لقراءة يَخِطِّف، فقد ذهب إلى أن كسرة الخاء فيها إنما كان لكسرة الألف في اختطف والاختطاف. وكذا من خفض الياء والخـــاء، فإنـــه أيـــضاً مـــن طلبه كسرة الألف، لأنها كانت في ابتداء الحرف مكسورة(٦٤).

ولـــيس الـــذي قاله شيئا، وقد تقدم في توجيه القراءة رد الزجاج عليه. وأيضا فإن طلب كسرة الألف أمر تخيلي، وليس له دور عملي في نطق قراءتي: يَخِطِّف ويِخِطِّف.

ويُحمل على المطابقة أيضا قول النابغة:

كِليـــني لِهَـــمٍّ يـــا أُمَـــيْمَةَ نَاصب وليلٍ أقاسيه بطيءِ الكواكب (٦٥)

فأحد توجيهي المنادى أن فتحة التاء في أميمة لمطابقة فتحتي الميم والنون قبلها وبعدها(٦٦).

---

(٦٣) مجـــالس ثعلـــب ٨١/١. وجعل سيبويه ذلك لغة جميع العرب إلا أهل الحجاز. ولم يطلق الفعل المضارع. انظـــر: ســـيبويه – الكتاب تحقيق هارون ١١٠/٤-١١٣. ولعل نسبة هذه اللغة إلى بهراء لاستمرارها فيهم، وغلبتها عليهم، فإن العرب بعد استقرار الفصحى ونزول القرآن، جنحوا إلى الفتح.

(٦٤) الفراء – معاني القرآن ١٨/١.

(٦٥) النابغة الذبياني – الديوان ص٤٠ قصيدة ٣ بيت ١.

(٦٦) انظـــر: سيبويه – الكتاب تحقيق هارون ٢٠٧/٢، الفراء – معاني القرآن ٣٢/٢، السيرافي يوسف بن أبي سعيد – شرح أبيات سيبويه ٢٩٨/١، أبو سنينة – بناء الجملة ٤٠٢/١.

وتكلم سيبويه على المطابقة في مواضع كثيرة من الكتاب، وسماها الإتباع(٦٧).

من ذلك ما يكون في كلمتي "ابنم"، و "امرؤ". وما يكون من اتباع العلم غير المضاف صفته إذا كانت كلمة ابن، أو بنت، أو ابنة، منادى وغير منادى. قال: هذا باب ما يكون الاسم والصفة فيه بمنزلة اسم واحد، ينضم فيه قبل الحرف المرفوع حرف، وينكسر فيه قبل الحرف المجرور الذي ينضم قبل المرفوع، وينفتح فيه قبل المنصوب ذلك الحرف، وهو ابنم وامرؤ. فإن جررت قلت: في ابنمٍ وامرئٍ، وإن نصبت قلت: ابنمًا وامرأً، وإن رفعت قلت: هذا ابنمٌ وامرؤٌ. ومثل ذلك قولك: يا زيدَ بنَ عمرو، وقال الراجز وهو من بني الحِرْماز:

يا حكمَ بنَ المُنْذِرِ بنِ الجَارُودْ

وقال العجاج:

يا عمرَ بنَ مَعْمَرٍ لا مُنْتَظَرْ (٦٨)

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وإنما حملهم على هذا أنهم أنزلوا الرفعة التي في قولك: زيدُ، بمنزلة الرفعة في راء امرؤٌ، والجرة بمنزلة الكسرة في الراء، والنصبة كفتحة الراء، وجعلوه تابعاً لابن. ألا تراهم يقولون: هذا زيدُ بنُ عبد الله ؟ ويقولون: هذه هندُ بنتُ عبد الله، فيمن صرف ؟ فتركوا التنوين ها هنا لأنهم جعلوه بمنزلة اسم واحد لما كثر في كلامهم، فكذلك جعلوه في النداء تابعا لابن(٦٩).

---

(٦٧) انظر: سيبويه – الكتاب تحقيق هارون ١/٤٣٦، ٢/٢٠٣-٢٠٤، ٣/٥٣٢-٥٣٤، ٤/١٠٧-١٠٩، ١٤٦-١٤٧، ١٧٤، ١٩٦.

(٦٨) البيت من الرجز المشطور. وهو للعجاج في ديوانه ٤٧.

(٦٩) سيبويه – الكتاب تحقيق هارون ٢/٢٠٣-٢٠٤.

ومن ذلك إتباع الثاني الأول في الفعل المضعف. قال: اعلم أن منهم من يحرك الآخر كتحريك ما قبله، فإن كان مفتوحاً فتحوه، وإن كان مضموماً ضموه، وإن كان مسكوراً كسروه، وذلك قولك: رُدُّ، وعَضَّ، وفِرِّ يا فتى. واقشعِرِّ، واطمئِنِّ، واستعِدِّ، واجتَرَّ، واحمَرَّ، وضَارَّ، لأن قبلها فتحة وألفاً، فهي أجدر أن تفتح. ورُدُّنا، ولا يُشِلِّكم الله، وعَضَّنا، ومُدُّني إليك، ولا يُشِلِّك الله، وليعَضَّكم(٧٠).

ومن ذلك ضم همزة الوصل في الفعلين الماضي والأمر. قال: واعلم أن الألف الموصولة فيما ذكرنا في الابتداء مكسورة أبداً، إلا أن يكون الحرف الثالث مضموماً فتضمها، وذلك قولك: اقتُل، استُضعف، احتُقر، احرُنجم. وذلك أنك قَرَّبت الألف من المضموم إذ لم يكن بينهما إلا ساكن، فكرهوا كسرة بعدها ضمة، وأرادوا أن يكون العمل من وجه واحد، كما فعلوا ذلك في: مُذُ اليوم يا فتى، وهو في هذا أجدر، لأنه ليس في الكلام حرف أوله مكسور والثاني مضموم. وفُعل هذا به كما فُعل بالمدغم إذا أردت أن ترفع لسانك من موضع واحد. وكذلك أرادوا أن يكون العمل من وجه واحد. ودعاهم ذلك إلى أن قالوا: أنا أجوءُك، وأُنبُؤُك، وهو مُنْحَدَرٌ من الجبل. أنبأنا بذلك الخليل. وقالوا أيضاً: لإمِّكَ. وقالوا:

اضربِ الساقيَنِ إمُّك هابلٌ(٧١)

فكسرهما جميعاً، كما ضَمَّ في ذلك(٧٢).

---

(٧٠) السابق ٥٣٢/٣. وانظر لغات بني تميم في آخر الأمر من المضاعف في: ابن جني – الخصائص ٣٦/٣-٣٧.

(٧١) شطر بيت من الطويل، وهو بتمامه: وقال اضرب الساقين أمك هابل. وهو دون نسبة في: سيبويه – الكتاب تحقيق هارون ١٤٦/٤، ابن جني – الخصائص ١٤٥/٢ بلفظ: الساقينِ إمِّك.

(٧٢) سيبويه – الكتاب ١٤٦/٤-١٤٧. يريد: كما ضم النون في الساقين، والهمزة في أمك، أتبع الأول الثاني.

ومن ذلك كسر الفاء من فَعِل فعلا أو اسما أو صفة، إذا كان ثانيه حرفاً حلقـيّا. وكـذلك فَعيل إذا كان ثانيه كذلك. قال: هذا باب الحروف الستة إذا كان واحد منها عينا، وكانت الفاء قبلها مفتوحة وكان فَعِلا. إذا كان ثانيه من الحروف الستة فإنَّ فيه أربع لغات، مطرد فيه: فَعِل، وفِعِل، وفَعْل، وفِعْل، إذا كان فعلا أو اسـما أو صـفة فهـو سواء. وفي فَعيل لغتان: فَعيل، وفِعِيل إذا كان الثاني من الحـروف الستة. مطرد ذلك فيهما، لا ينكسر في فَعِيل ولا فَعِل. إذا كان كذلك كسرت الفاء في لغة تميم، وذلك قولك: لِئيم، وشِهِيد، وسِعِيد، ونِحِيف، ورِغِيف، وبِخِيل، وبِئِيس. وشِهِدٌ، ولِعِبٌ، وضِحِكٌ، ونِغِلٌ(٧٣)، ووِخِمٌ. وكذلك فِعِلٌ إذا كان صفة أو فعلا أو اسما، وذلك قولك: رَجُلٌ لِعِبٌ، ورجل مِحِكٌ، وهذا ماضغٌ لِهِمٌ، وهذا رجل وِعِكٌ، ورجل جِئِزٌ، يُقال: جَئِزَ الرجل إذا غصَّ، وهذا عَيْرٌ نِعِرٌ(٧٤)، وفِخِذ.

وإنما كان هذا في هذه الحروف، لأن هذه الحروف قد فعلت في يَفْعَلُ ما ذكـرت لك حيث كانت لامات من فتح العين. ولم تُفتح هي أنفسها هنا لأنه ليس في الكلام فَعَيْل، وكراهة أن يلتبس فَعِل بفَعَل، فيخرج من هذه الحروف فَعَل(٧٥)، فلزمها الكسر هنا، وكان أقرب الأشياء إلى الفتح، وكانت من الحروف التي تقع الفـتحة قبلها لما ذكرت لك(٧٦)، فكسرت ما قبلها حيث لزمها الكسر. وكان ذلك أخـف عليهم حيث كانت الكسرة تشبه الألف، فأرادوا أن يكون العمل من وجه واحد، كما أنهم إذا أدغموا فإنما أرادوا أن يرفعوا ألسنتهم من موضع واحد(٧٧).

---

(٧٣) نغل الأديم نغلا فهو نغل: فسد في الدباغ، عفن وتهرى. ورجل نغِلٌ ونـَغـْلٌ: فاسد النسب: ابن منظور – لسان العرب: نغل.

(٧٤) عير نعر: كثير النعير، أي الصياح. ابن منظور – لسان العرب: نعر.

(٧٥) في الأصل في الكتاب بتحقيق هارون فـَعـِل. وكذا في طبعة بولاق ٢/٢٥٥.

(٧٦) انظر: سيبويه – الكتاب تحقيق هارون ٤/١٠١.

(٧٧) السابق ٤/١٠٧–١٠٨.

ومن ذلك كسر النون والباء في نِعْمَ وبِئْسَ من أجل حرفي الحلق. قال ابن السراج: نِعْمَ وبِئْسَ فعلان ماضيان، كان أصلهما نَعِمَ وبَئِسَ، فكُسرت الفاءان من أجل حرفي الحلق وهما العين في نَعِمَ، والهمزة في بِئِسَ، فصارا: نِعِمَ وبِئِس، كما تقول: شِهِدَ، فتكسر الشين من أجل انكسار الهاء. ثم أسكنوا لها(٧٨) العين من نِعِمَ، والهمزة من بِئِسَ، كما يسكنون الهاء من شِهِدَ فيقولون: شِهْدَ، فقالوا: نِعْمَ وبِئْسَ . . . ففي نِعْمَ أربع لغات: نَعِمَ، ونِعِمَ، ونِعْمَ، ونَعْمَ(٧٩).

ومن المطابقة لم يَلْدَهُ، ولم أَجْدَ، في قول أحدهم:

ألا رُبَّ مولود وليس له أَبُ وذي ولَدٍ لم يَلْدَهُ أَبَوانِ(٨٠)

لأنه أراد: لم يَلِدْهُ، فأسكن اللام استثقالاً للكسرة، وكانت الدال ساكنة، فحركها لالتقاء الساكنين. وقول الآخر:

فوالله لولا بُغْضُكُم ما سَبَبْتُكُم ولكنَّني لم أجْدِ مِنْ سَبِّكُمْ بُدّا(٨١)

أي لم أجد، فأسكن الجيم، وحرك الدال على ما مضى(٨٢).

---

(٧٨) يعني للكسرة.

(٧٩) ابن السراج – الأصول في النحو ١/١١١. وفي الأصل تحريفات كثيرة. وانظر: تقريرات السيرافي على هامش الكتاب طبعة بولاق ١/٣٠٠.

(٨٠) البيت من البحر الطويل. وهو في: سيبويه – الكتاب تحقيق هارون ٤/١١٥. بلفظ: عجبت لمولود، أنشده الخليل لرجل من أزد السراة. وهو أول ثلاثة أبيات في: السيوطي – شرح شواهد المغني ١/٣٩٨-٣٩٩، وفيه: قال ابن يسعون: هذه الأبيات لرجل من أزد السراة، وقيل: هي لعمرو الجنبي. والبيت دون نسبة في: ابن جني – الخصائص ٢/٣٣٣، ابن يعيش – شرح المفصل ٩/١٢٦، السمين الحلبي الدر المصون ١/٤٦٣.

(٨١) تقدم برقم (٥٥).

(٨٢) انظر: ابن جني – الخصائص ٢/٣٣٣، الزبيدي – تاج العروس: وجد.

فتحـــريك الـــدال في الفعلين بالفتح من طلب الخفة، ومن الإتباع أيضاً، تبعت فتحة الدال فتحة حرف المضارعة، وبينهما حاجز غير منيع.

وأورد ابـــن جنـــي أمـــثلة كثيرة لما كانت الحركة فيه غير لازمة، أي للمطابقة التي سماها الإتباع.(٨٣)

وتقدمت لغات العرب في اسم الفعل المضارع أُفّ، وفي حَيْث، التحريك فـــي الاثنـــين لالتقاء الساكنين. وضم الفاء في الأول منونا وغير منون للإتباع. ذكـــر ذلـــك ابن جني(٨٤). وفتح الثاء في الثاني للتخفيف. ذكر ذلك ابن الخبَّاز، وابن هشام(٨٥). وقال سيبويه: شبهوه بأين(٨٦).

أقول: وفتح الثاء في حيث للإتباع أيضا، تبعت حركة الثاء فتحة الحاء، وبينهما حاجز غير منيع.

ووضع ابن جني لمصطلح المطابقة أو التناسب مصطلح الإدغام الصغير أو الأصـــغر، فـــي مقابل الإدغام الأكبر الذي هو إدغام المثلين. والغرض من كليهما تقريب الصوت من الصوت. وتكلم على كثير من مسائل الإدغام الصغير وقـــال: وجمـــيع ما هذه حاله مما قُرِّب فيه الصوت من الصوت، جارٍ مجرى الإدغـــام فيما ذكرناه من التقريب. وإنما احتطنا له بهذه السمة التي هي الإدغام الـــصغير، لأن فـــي هـــذا إيذانا بأن التقريب شامل للموضعين، وأنه هو المراد المبغي في كلتا الجهتين. فاعرف ذلك(٨٧).

---

(٨٣) انظر: الخصائص ٢/٣٣٣-٣٣٦.

(٨٤) السابق ٣/٣٧-٣٨.

(٨٥) ابن الخباز – توجيه اللمع ٧٠، ابن هشام – مغني اللبيب ١/١٣١.

(٨٦) الكتاب تحقيق هارون ٣/٢٨٦.

(٨٧) انظر: ابن جني – الخصائص ٢/١٣٩-١٤٥.

وقد دعتهم المطابقة، أو الإتباع، أو ما سماه ابن جني الإدغام الصغير أو الأصـــغر، الـــذي غرضه تقريب الصوت من الصوت، إلى الإخلال بالإعراب، ومـــن هـــذا "**الْحَمْدِ لله رب العالمين**"(٨٨). قال العكبري: ويُقرأ بكسر الدال إتباعاً لكـــسرة الـــلام، كما قالوا: المِغِيرة(٨٩) ورِغِيف. وهو ضعيف في الآية، لأن فيه إتباع الإعراب البناء، وفي ذلك إبطال للإعراب(٩٠).

ومن هذا بيت الكتاب:

[وقال] اضرب الساقين إمّك هابلْ(٩١)

قـــال ابن جني: وأصله: أُمُّك هابل، إلا أن همزة أُمُّك كُسرتْ لانكسار ما قبلها، على حد قراءة من قرأ "فلإِمِّه الثلث"(٩٢)، فصار: إِمُّك هابل، ثم أتبع الكسر الكسر، فهجمت كسرة الإتباع على ضمة الإعراب، فابتزتها موضعها، فهذا شاذ لا يُقـــاس علـــيه، ألا تـــراك لا تقول: قِدْرِك واسعة، ولا عِدْلِك ثقيل، ولا بِنْتِك عاقلة ؟(٩٣)

ومن هذا بيت الكتاب أيضا للنعمان بن بشير:

ويلُمِّهـــا فـــي هواءِ الجوِّ طَالبَةً ولا كَهَذَا الذي في الأرض مطلوبُ(٩٤)

---

(٨٨) الفاتحة ٢. وانظر: ابن جني – الخصائص ١٤٥/٢، العكبرى – التبيان ٥/١، أبا حيان – البحر المحيط ١ /١٣١، السمين الحلبي الدر المصون ٤١/١.

(٨٩) في الأصل: المعيرة، بالعين المهملة. تحريف.

(٩٠) العكبرى – التبيان ٥/١.

(٩١) تقدم برقم (٧١).

(٩٢) النساء ١١.

(٩٣) سيبويه – الكتاب تحقيق هارون ١٤٦/٤-١٤٧، ابن جني – الخصائص ١٤١/٣.

(٩٤) سيبويه – الكتاب تحقيق هارون ١٤٧/٤. والبيت من البحر البسيط. نسب إلى النعمان بن بشير الأنصاري في: سيبويه – الكتاب تحقيق هارون ١٧٤/٤، وطبعة بولاق ٢٧٢/٢، الشنتمري – تحصيل عين الذهب بذيل الكـــتاب طبعة بولاق ٢٧٢/٢. ونسب إلى امرئ القيس في: سيبويه – الكتاب تحقيق هارون ٢٩٤/٢، وطبعة بـــولاق ٣٥٣/١، الشنتمري – تحصيل عين الذهب بذيل الكتاب طبعة بولاق ٣٥٣/١. وهو في ديوان امرئ القـــيس ص ٢٢٧ مـــن القصيدة رقم ٤٨، وفيه: ويقال: إنها لإبراهيم بن بشير الأنصاري. يصف عقابا تطلب ذئبا.

ودعــتهم المطابقــة أيــضا إلى إجراء الكلام على غير وجهه، وإلى الإخلال بحركة الإعراب، على تباعد الحروف التي تجرى فيها. قال سيبويه: ومما جرى نعتا على غير وجه الكلام: هذا جحر ضبٌّ خَرِبٍ. فالوجه الرفع، وهــو كــلام أكثر العرب وأفصحهم، وهو القياس، لأن الخرب نعت الجحر، والجحــر رفــع. ولكن بعض العرب يجرُّه، وليس بنعت للضب، ولكنه نعت للذي أضيف إلى الضب، فجروه لأنه نكرة كالضب، ولأنه في موضع يقع فيه نعــت الضب، ولأنه صار هو والضب بمنزلة اسم واحد. ألا ترى أنك تقول: هــذا حَــبُّ رمانٍ، فإذا كان لك قلت: هذا حبُّ رماني؟ فأضفت الرمان إليك ولــيس لــك الرمان، إنما لك الحب. ومثل ذلك: هذه ثلاثة أثوابك. فكذلك يقع علــى جحر ضب ما يقع على حَبِّ رمان، تقول: هذا جحر ضَبِّي، وليس لك الــضب، إنمــا لــك جحر ضب، فلم يمنعك ذلك من أن قلت: جحرُ ضبي، والجحــر والضب بمنزلة اسم مفرد، فانجر الخرب على الضب، كما أضفت الجحــر إليك مع إضافة الضب. ومع هذا أنهم أتبعوا الجر الجر، كما أتبعوا الكسر الكسر نحو قولهم: بِهِم، وبدارِهِم، وما أشبه هذا.

وكلا التفسيرين تفسير الخليل، وكان كل واحد منهما وجهاً من التفسير.

وقــال الخليل رحمه الله: لا يقولون إلا: هذان جحرا ضبٌّ خربان، من قِبَل أن الضب واحد، والجحر جحران، وإنما يغلطون إذا كان الآخِرُ بعدة الأول، وكــان مذكــراً مــثله أو مؤنثا. وقالوا: هذه جِحرةُ ضبابٍ خربةٍ، لأن الضباب مؤنثة، ولأن الجحرة مؤنثة، والعدة واحدة، فغلِطوا.

وهذا قول الخليل رحمه الله ولا نُرى إلا هذا والأول سواء، لأنه إذا قال: هــذا جحرُ ضَبٌّ مُتَهَدِّمٍ، ففيه من البيان أنه ليس بالضب، مثل ما في التثنية من البيان أنه ليس بالضب.

وقال العجاج:

كأنَّ نَسْجَ العنكبوتِ المُرْمَلِ(٩٥)

فالنسج مذكر، والعنكبوت أنثى(٩٦).

الثالث: ما نقله جماعة من أهل اللغة أنها لغة قَلَّ استعمالها(٩٧). وذكر أبو علـــي قطرب(٩٨) أنها لغة في بني يربوع، يزيدون على ياء الإضافة ياء، وأنشد لها شاهداً بيت الأغلب المتقدم:

قـــال لهـــا هـــل لـــك يا تا فيِّي قالـــت لـــه مـــا أنت بالمرضِيِّ(٩٩)

وربما حذفوا الياء، فبقيت الياء المشددة مكسورة(١٠٠).

---

(٩٥) البيت من الرجز المشطور. وهو في ديوان العجاج ١٥٨-١٥٩. ونسب إليه في: السيرافي يوسف بن أبي سعيد – شرح أبيات سيبويه ١/٣٤١-٣٤٢. وبعده:

على ذُرى قُلاَّمِهِ المُهَدَّلِ سُبُوب كَتَّانٍ بأيدي الغُزَّلِ

ذكر منهلا ورده. المرمل: المنسوج. القلام: ضرب من النبت، وزعموا أنه الذي يعرف بالقافـــلِيّ. المهدل: المدلـــى. سُـــبُوب: جمـــع سِـــبّ وهو ثوب من كتان أبيض. شبه ما نسجت العنكبوت على أعالي قلام هذا الماء المدلى، بثياب رقيقة من كتان أبيض.

(٩٦) سيبويه – الكتاب تحقيق هارون ١/٤٣٦-٤٣٧. وانظر: الفراء – معاني القرآن ٢/٧٤-٧٥.

(٩٧) أبو حيان – البحر المحيط ٥/٤٠٩، الألوسي – روح المعاني ١٣/٢١٠.

(٩٨) قطرب: أبو علي محمد بن المستنير. أخذ النحو عن سيبويه، وعن جماعة من العلماء البصريين. يقال: إن سيبويه لقبه قطربا لمباكرته له في الأسحار. والقطرب: دويبة تدب ولا تفتر. توفي سنة ٢٠٦. القفطي – إنباه الرواة ٣/٢١٩.

(٩٩) تقدم برقم (١١).

(١٠٠) انظـــر: الفارسي – الحجة ٣/١٦-١٧، مكي بن أبي طالب – مشكل إعراب القرآن ١/٤٤٩، الكشف ٢/ ٢٦، الـــواحدي – الوسيط ٣/٢٩، ابن أبي مريم – الموضح ٢/٧١٠، ابن الأنباري – البيان ٢/٥٧، المنتجب – الفـــريد ٣/١٥٨، القرطبي – الجامع ٩/٣٥٧، أبا حيان – البحر المحيط ٥/٤٠٩، الألوسي – روح المعاني ١٣/٢١٠.

فالأصـــل في "مصرِخيٍّ" ثلاث ياءات: ياء الجمع، وياء الإضافة، وياء زيدت للمد، ثم حذفت الياء التي زيدت للمد، وبقيت ياء الإضافة مكسورة(١٠١).

ووجـــه هذه اللغة من القياس أن ياء الإضافة كهاء الإضمار في النصب والجـــر، فكما يلحقون الهاء الزيادة فيهما تارة، ويحذفونها أخرى، فكذلك يفعلون في ياء الإضمار(١٠٢). قال سيبويه: هذا باب ثبات الياء والواو في الهاء التي هي علامة الإضمار وحذفهما.

فأما الثبات فقولك: ضربُهو زيدٌ، وعليها مال(١٠٣)، ولديهُو رجل. جاءت الهـــاء مـــع ما بعدها ها هنا في المذكر. كما جاءت وبعدها الألف في المؤنث، وذلك قولك: ضربها زيد، وعليها مال.

فإذا كان قبل الهاء حرف لين، فإنَّ حذف الياء والواو في الوصل أحسن، لأن الهـــاء من مخرج الألف، والألف تشبه الياء والواو، تشبههما في المد، وهي أخـــتهما، فلما اجتمعت حروف متشابهة حذفوا. وهو أحسن وأكثر. وذلك قولك: علـــيهِ يـــا فتـــى، ولديـــهِ فلان، ورأيت أباهُ قبلُ، وهذا أبوهُ كما ترى. وأحسن القـــراءتين: "**ونَزَّلْنَاهُ تنزيلا**"(١٠٤) و "**إِنْ تَحْمِلْ عَلَيه يَلْهَثْ**"(١٠٥)، "**وشَرَوْهُ بثمنٍ بَخْسٍ**"(١٠٦) و "**خُذُوهُ فَغُلُّوهُ**"(١٠٧) والإتمام عربي(١٠٨).

---

(١٠١) انظر: مكي بن أبي طالب – مشكل إعراب القرآن ١/٤٤٨-٤٤٩.

(١٠٢) انظر: الفارسي – الحجة ٣/١٧، مكي بن أبي طالب – مشكل إعراب القرآن ١/٤٤٩، المنتجب – الفريد ٣/١٥٩-١٦٠، الألوسي – روح المعاني ١٣/٢١٠.

(١٠٣) بالإمالة في عليها.

(١٠٤) الإسراء ١٠٦.

(١٠٥) الأعراف ١٧٦.

(١٠٦) يوسف ٢٠.

(١٠٧) الحاقة ٣٠.

(١٠٨) ســـيبويه – الكتاب تحقيق هارون ٤/١٨٩. وجاء في الذيل ما ملخصه بتصرف عن السيرافي أبـــي ســـعيد: فصل سيبويه في الهاء التي قبلها ساكن، فإذا كان حرف علة واوا أو ياء أو ألفا، فالاختـــيار أن تحرك ولا توصل بحرف نحو عليه، وألقى عصاه، وخذوه. وإذا كان غير حرف علة، فالاختيار أن تحرك وتوصل بواو نحو: "منهو آيات"، وأصابتهو جائحة. واختار أبو العباس حـــذف الـــصلة في: منه، وأصابته، ولم يفرق بين حرف اللين وغيره. وهذا هو الصحيح، لأن أكثر القراء، والجمهور على: "منه آيات محكمات". آل عمران ٧.

ووجههـــا من القياس أيضا أن ياء الإضافة ككاف الإضمار في النصب والجـــر، فكمـــا يلحقـــون الكاف الزيادة فيهما ويحذفونها فيقولون: عليكا مال، وعليكـــي مـــال، وأعطيـــتكاه، وأعطيتكيه، ويقولون: عليكَ مال، وعليكِ مال، وأعطيـــتكَهُ، وأعطيـــتكِهِ، فكـــذلك يفعلـــون فـــي ياء الإضافة فيقولون: عليِّي، ومكرميِّي، ويقولون: عليِّ، ومكرميِّ(١٠٩).

ووجهها من القياس أيضا أن ياء الإضافة كتاء المؤنث، فكما يلحقون تاء المـــؤنث الـــياء صـــلة ويحذفونها، لأنها كهاء الإضمار، فكذلك يفعلون في ياء الإضافة. قال الشاعر:

رَمَـــيْـــتِـــــيـــهِ فَـــأَصْـــمَـــيْـــتِ فمـــا أخطـــأتِ فـــي الـــرَّمْيَهْ(١١٠)

وتقول: رَمَيْتِهِ(١١١).

التوجـــيهان الأول والـــثالث في مطلق ياء المتكلم المدغم فيها. والثاني خاص في مثل: "بمصرخِيِّ إنِّي"، فليس كل ياء متكلم مدغم فيها يكسر ما بعدها

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

---

(١٠٩) انظر: الفارسي – الحجة ١٧/٣، المنتجب – الفريد ١٥٩/٣-١٦٠، الألوسي – روح المعاني ٢١٠/١٣.

(١١٠) البـــيت من البحر الهزج. وهو أول بيتين دون نسبة في: أبي حيان – ارتشاف الضرب ٤٦٣/١، والثاني قوله:

بِسَهْمَيْنِ مَلِيْحَيْنِ أعارتكيهما الظَّبْيَهْ

والبـــيت دون نـــسبة في: الفارسي – الحجة ١٧/٣، مكي بن أبي طالب – مشكل إعراب القرآن ٤٤٩/١، المنتجب – الفريد ١٦٠/٣ بلفظ: فأضميت بالضاد المعجمة، السمين الحلبي – الدر المصون ٩٣/٧.

والـــشطر الثانـــي من البيت الشاهد في غير ارتشاف الضرب دون "في"، فيقرأ في هذه الحالة بقطع همزة الوصل في "الرمية".

أصـــمى الرمية: أنفذها. وضما وأضمى بمعنى ظلم. قال أبو منصور: كأنه مقلوب ضام، وكذلك بضى إذا أقام، مقلوب باض. ابن منظور لسان العرب: صما، ضما.

والشطر الأول من البيت الشاهد في بعض المراجع بلفظ: فأقصدت. والقصد: الاعتماد، والتوجه، والأم.

(١١١) انظر: الفارسي – الحجة ١٧/٣، مكي بن أبي طالب – مشكل إعراب القرآن ٤٤٩/١، المنتجب – الفريد ١٦٠/٣.

ومـــا قبلها، فإنك تقول: عَلَيِّ دين، وجاء بُنَيِّ أمس، ورأيت بُنَيِّ أمس، ومررت ببنَيِّ أمس.

وجهها في الاستعمال:

وشـــواهد إلحـــاق يـــاء المـــتكلم المدغم فيها ياء الصلة، وحذفها أحيانا والاجتـــزاء عنها بالكسرة، إلى جانب قراءة "بمصرخيِّ" قوله تعالى: "**قال كذلِكَ قَـــالَ رَبُّـــكَ هُو عَلَيِّ هَيِّنٌ وَقَدْ خلقتُكَ مِن قبلُ ولم تَكُ شيئا**"(١١٢) بكسر الياء من عليِّ، وهي قراءة الحسن البصري(١١٣).

وقول الأغلب المتقدم:

قـــال لهـــا هـــل لـــك يا تا فيِّي قالـــت لـــه مـــا أنـــت بالمرضِيِّ(١١٤)

وقول أمية بن أبي الصلت:

يـــا بُنيِّـــي إنّـــي نـــذرتُكَ للـــ ـــــه شَحِيطاً فاصبرْ فدى لك خالي(١١٥)

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

---

(١١٢) مريم ٩.

(١١٣) أبو حيان – البحر المحيط ١٦٦/٦، البنا – إتحاف فضلاء البشر ٢٣٤/٢.

(١١٤) تقدم برقم (١١).

(١١٥) البـــيت مـــن البحر الخفيف. وهو في: البغدادي –خزانة الأدب تحقيق هارون ٢٥٢/١ لأمية، من قصيدة طويلة عدتها تسعة وسبعون بيتا، ذكر منها شيئاً من قصص الأنبياء عليهم السلام: داود، وسليمان، ونوح، وموسى، وذكر قصة إبراهيم وإسحاق عليهما السلام، وأنه هو الذبيح، وهو قول مشهور للعلماء.
والبـــيت في ديوان أمية ٤٤١، وأثبت جامعه ومحققه رواية البدء والتاريخ للمقدسي، وذكر أنها بلفظ/ أبنيَّ إنـــي... ســـحيطاً. وذكـــر أن البيت بالخزانة بلفظ: يا بُنَيّ إني، هكذا زعم . وذكر أنه في تاريخ الطبري بلفـــظ: أبنـــيَّ إننـــي قد. التفعيلة الأولى على ما أثبته جامع الديوان من الروايات تكون مشكولة في البدء والـــتاريخ، أي دخلهـــا زحـــاف الشكل المركب من الخبن والكف. ومكفوفة في خزانة الأدب، أي دخلها زحاف الكف المفرد. ومشكولة والوزن غير مستقيم في تاريخ الطبري.
الـــشحيط: الذبـــيح. من شَحَطَهُ يَشْحَطُه شَحْطًا. وكذلك السحيط بالسين المهملة من سَحَطَه يَسْحَطُه سَحْطا. قال ابن سيده: والسين أعلى. ابن منظور – لسان العرب: شحط.
أمـــية بـــن أبي الصلت: لم يختلف أصحاب الأخبار أنه مات كافراً سنة ٨ أو ٩ في الطائف، قبل أن يسلم الثقفيون. البغدادي – خزانة الأدب تحقيق هارون ٢٥٢/١.

وما ذكره أبو حيان، والسمين الحلبي، والألوسي، أنهم رووا بيت النابغة:

عَلَــيَّ لعمــرو نعمــة بعد نعمةٍ لــوالده ليــست بــذات عقارِبِ(١١٦)

بخفــض الــياء من عَلَيٍّ(١١٧). وما ذكره الألوسي أن رسول الله ﷺ تكلم بها في حديث بدء الوحي، وشرح حاله عليه الصلاة والسلام، لورقة بن نوفل ﷺ(١١٨).

الحسن والأحسن في حركتي الياء:-

لــبعض مــن أجاز لغة الكسر في "مصرخِيّ" وصححها، عبارات تحوم حــول مسألة الحسن والأحسن، مثل: الفتح أخف عليهم، وهو الوجه، والاختيار، والأولى، والأفصح، والأفشى، والقياس، والمشهور المستعمل الفاشي، ولغته هي الفصحى(١١٩).

وغايــة كلامهــم فــي هذا أن كون لغة أحسن من أخرى، لا يمنع من اســتعمال اللغة الحسنة. قال الفراء: ألا ترى أنهم يقولون: لم أره مُذُ اليوم، ومُذِ اليوم، والرفع في الذال هو الوجه، لأنه أصل حركة مذ، والخفض جائز ؟ فكذلك الياء من مصرِخيٍّ، خفضت ولها أصل في النصب(١٢٠).

---

(١١٦) البــيت مــن البحر الطويل. وهو في ديوان النابغة ص٤١ قصيدة ٣ بيت ٤، بفتح الياء من علي. ليست بذات عقارب: ليس فيها مكروه، لا يكدرها من ولا أذى.

(١١٧) أبــو حــيان – البحر المحيط ٤٠٩/٥، السمين الحلبي – الدر المصون ٩٢/٧، الألوسي – روح المعاني ٢١٠/١٣.

(١١٨) الألوســي – روح المعاني ٢١٠/١٣. يريد الحديث المتفق عليه، وفيه: أومخرجي هم ؟ صحيح البخاري ج١ بــاب١ حــديث ٣ ص٤-٥، صــحيح مسلم ج١ كتاب١ باب٧٣ حديث ٢٥٢ (١٦٠) ص١٣٩-١٤٢. وضبطه فيهما بفتح الياء.

(١١٩) انظــر: الفراء – معاني القرآن ٧٦/٢، ابن خالويه – الحجــة ١٧٨، إعراب القــراءات السبع وعللهــا ٣٣٦/١، ابــن زنجلة – حجة القراءات ٣٧٧-٣٧٨، الفارسي – الحجة ١٧/٣، مكي بن أبي طالب – مشكل إعــراب القــرآن ٤٤٨/١، الكشف ٢٦/٢-٢٧، ابن أبي مريم الموضح ٧١٠/٢-٧١١، العكبري – إعراب القراءات الشواذ ٧٣٤/١، المنتجب – الفريد ١٦٠/٣، القرطبي – الجامع ٣٥٧/٩.

(١٢٠) الفراء – معاني القرآن ٧٦/٢.

وقال الفارسي، وقد ذكر أن كسر الياء من مصرخي لغة في بني يربوع، وبين وجهها من القياس: فإذا كانت هذه الكسرة في الياء على هذه اللغة، وإن كان غيرها أفشى منها، وعضده من القياس ما ذكرنا، لم يجز لقائل أن يقول إن القراءة بذلك لحن، لاستفاضة ذلك في السماع والقياس، وما كان كذلك لا يكون لحنا(١٢١).

وقال المُنْتَجب الهمذاني، وقد ذكر الوجوه الثلاثة في هذه اللغة: فهذه الوجوه صحيحة فاشية حسنة على الأصول، وإذا كان كذلك، فلا وجه لمن ضعَّف هذه القراءة، وعدها من اللحن، ولو لم يكن لها إلا وجه واحد، ولا يحل لمسلم أن يقدم على الطعن في شيء ثبتت روايته عن رسول الله ﷺ، مع صحة مخرجه، والرادّ عليه كالراد على رسول الله ﷺ(١٢٢).

وقال القرطبي، وقد ذكر تضعيف الفراء والزجاج لهذه القراءة، وذكر تصحيح قطرب لها، وأنها لغة في بني يربوع: القشيري: والذي يغني عن هذا، أن ما يثبت بالتواتر عن النبي ﷺ، فلا يجوز فيه هو خطأ، أو قبيح، أو رديءٌ، بل هو في القرآن فصيح، وفيه ما هو أفصح منه، فلعل هؤلاء أرادوا أن غير هذا الذي قرأ به حمزة أفصح(١٢٣).

وقال البنا: وهي متواترة صحيحة، والطاعن فيها غالط قاصر، ونفى النافي لسماعها لا يدل على عدمها، فمن سمعها مقدم عليه، إذ هو مثبت(١٢٤).

وكون لغة أحسن من أخرى كثير في كلام العرب، ولم تمنعهم اللغة الأحسن من استعمال اللغة الحسنة. فضم الواو في قوله تعالى: "**أولئك الذين**

---

(١٢١) الفارسي – الحجة ٣/١٧. وانظر: المنتجب – الفريد ٣/١٦٠.

(١٢٢) المنتجب – الفريد ٣/١٦٠.

(١٢٣) القرطبي – الجامع ٩/٣٥٧.

(١٢٤) البنا – إتحاف فضلاء البشر ٢/١٦٨.

اشـــتروا الضلالة بالهدى"[١٢٥] مجمع عليها[١٢٦]، وهي قراءة السبعة[١٢٧]، وذكر العكبري في توجيهها خمسة أوجه[١٢٨]، ولم يمنعهم ذلك من قراءاتها الأخرى.

وفتح الثاني من يَخَطِّف، ويَهَدِّي، ويخَصِّمون، صحيح جيد بالغ على ما ذكـــر الزجاج[١٢٩]. وهو الاختيار[١٣٠]، وأجود القراءة[١٣١]، لأنه من قبيل إلقاء فـــتحة تـــاء الافـــتعال علـــى ما قبلها بعد الإبدال والإدغام. ولم يمنعهم هذا من القراءات الأخرى في هذه الحروف.

وأكثـــر من هذا، أن الفصيح من العرب، قد يعمد إلى لغة، غيرها أقوى عـــنده فـــي القياس منها. قال ابن جني: ويدلك على أن الفصيح من العرب، قد يـــتكلم باللغة غيرها أقوى في القـــيـــاس عـــنـــده منها، ما حدثـــنا به أبو علي رحمه الله قال: عن أبي بكر[١٣٢]، عن أبي العباس[١٣٣]، أن عمارة[١٣٤] كان يقرأ "**ولا الليل سابقُ النَّهَارَ**"[١٣٥] بالنصب، قال أبو العباس: فقلت له: ما أردت؟ فقال: أردت: " **سَـــابِقٌ الـــنَّهَارَ**"، قال: فقلت له: فَهَلاّ قلته؟ فقال: لو قلته لكان أوزن.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

---

(١٢٥) البقرة ١٦.

(١٢٦) الزجاج – معاني القرآن وإعرابه ٨٩/١.

(١٢٧) ابن مجاهد – السبعة في القراءات ١٤٥.

(١٢٨) العكبري – التبيان ٣٢/١.

(١٢٩) معاني القرآن وإعرابه ١٩/٣. وانظر: ٢٩٠/٤.

(١٣٠) مكي بن أبي طالب – الكشف ٢١٨/٢.

(١٣١) الواحدي – الوسيط ٥١٥/٣.

(١٣٢) أبو بكر بن السراج.

(١٣٣) أبو العباس المبرد.

(١٣٤) عمـــارة بـــن عقـــيل بن بلال بن جرير بن عطية الخطفي، أبو عقيل. كان شاعرا متقدما فصيحا، وكان المبـــرد يقول: ختمت الفصاحة في شعر المحدثين بعمارة بن عقيل. كان نحاة البصرة يأخذون عنه اللغة. توفي ٢٣٩. انظر: الصفدي – الوافي بالوفيات ٢٥٢/٢٢.

(١٣٥) يس ٤٠.

فقوله: أوزن، أي أقوى وأمكن في النفس. أفلا تراه جنح إلى لغة وغيرها أقوى في نفسه منها؟(١٣٦)

وقال في موضع آخر وقد أورد القصة: ففي هذه الحكاية لنا ثلاثة أغراض مستنبطة منها: أحدها: تصحيح قولنا: إن أصل كذا كذا. والآخر: قولنا: إنها(١٣٧) فعلت كذا لكذا، ألا تراه إنما طلب الخفة ؟ يدل عليه قوله: لكان أوزن، أي أثقل في النفس وأقوى، من قولهم: هذا درهم وازن، أي ثقيل له وزن. والثالث: أنها قد تنطق بالشيء غيره في أنفسها أقوى منه، لإيثارها التخفيف(١٣٨). إذ لولا ذلك لكان الأقوى أحق وأحرى، كما أنهم لا يستعملون المجاز إلا لضرب من المبالغة، إذ لولا ذلك لكانت الحقيقة أولى من المسامحة(١٣٩).

إن كسر ياء المتكلم المدغم فيها، يمكن أن يدخل فيما سماه الدكتور رمضان عبد التواب "الركام اللغوي للظواهر المندثرة في اللغة"(١٤٠)، فقد امتدت هذه الظاهرة اللغوية على الأيام، فقد ذكر أبو حيان أنها لغة باقية في أفواه كثير من الناس إلى اليوم، يقول القائل: ما فِيِّ أفعل كذا، بكسر الياء(١٤١). وتوفي أبو حيان سنة ٧٤٥. وقال ابن الجزري: وهذه اللغة باقية شائعة في أفواه أكثر الناس إلى اليوم، يقولون: ما فيِّ أفعل كذا، ويطلقونها في كل ياءات الإضافة المدغم فيها فيقولون: ما عليِّ منك، ولا أمرك إليِّ. وبعضهم يبالغ في كسرتها حتى

---

(١٣٦) ابن جني – الخصائص ١/١٢٥.

(١٣٧) أي العرب. (المحقق، محمد علي النجار).

(١٣٨) الخصائص ١/٢٤٩.

(١٣٩) السابق ١/٢٧٣.

(١٤٠) عبد التواب – فصول في فقه العربية ١٢٦.

(١٤١) أبو حيان – البحر المحيط ٥/٤٠٩.

تـــصير يـــاء[١٤٢]. وتوفي ابن الجزري سنة ٨٣٣. وذكر الألوسي أنها لغة أهل الموصل، وكثير من الناس اليوم[١٤٣]. وتوفي الألوسي سنة ١٢٧٠.

أقـــول: كـــسر ياء المتكلم المدغم فيها، لغة شائعة إلى يومنا هذا، القرن الخـــامس عشر الهجري، وقد يبالغ بعضهم في الكسرة حتى تصير ياء، نحو ما ذكـــر ابـــن الجـــزري، فـــيقول: فِيِّي، وَعَلِيِّي، وعلى الخصوص إذا وقعت في الاستفهام في الوقف. وهذا فاش في لغة كثير من أهل الخليل في فلسطين.

الخاتمة:-

لغة كسر ياء المتكلم المدغم فيها صحيحة في القياس والاستعمال. أما في القياس فلها وجهان مطردان: أحدهما؛ أنها مما يلتقي من الساكنين. والثاني؛ أنها لغة في بني يربوع. ولبعض صورها وجه ثالث وهو المطابقة، على ما في الآية الثانية والعشرين من سورة إبراهيم عليه السلام، وعلى ما في بيتي أمية بن أبي الصلت، والنابغة الذبياني.وقد بسطت الكلام على هذه الوجوه الثلاثة.

وأمـــا فـــي الاستعمال فوقفت على ستة شواهد: اثنين من القرآن الكريم، وواحد من الحديث الشريف، وثلاثة من الشعر.

ولغـــة الكسر على صحتها تظل فرعاً على لغة الفتح الأصل، وأربعة من الشواهد الستة التي وقفت عليها وردت باللغتين. وبيت أمية، ورجز الأغلب، هما اللذان وردا بلغة الكسر حسب.

ولغة الكسر على كونها فرعاً، لها خصوصيتها في المعنى واللفظ.

---

(١٤٢) ابن الجزري – النشر ٢/٢٩٩.

(١٤٣) الألوسي – روح المعاني ١٣/٢١٠.

أما في المعنى فهي آكد في الدلالة على المتكلم من الفتح، لأنها من جنس الـياء الدالة عليه، فهي شبه تكرير للياء. فإذا زيدت ياء على ياء الإضافة زادت الدلالة، وصارت من قبيل الزيادة في المبنى، الدالة على زيادة في المعنى.

وأما في اللفظ فهي إثراء له، فقد أقامت الوزن في بيت أمية:

يـــا بُنَيِّـــي إنِّـــي نَـــذَرْتُكَ للـــــ ـــهِ شَحِيطاً فاصْبِرْ فِدىً لك خالي(١٤٤)

وأقامت القافية في رجز الأغلب:

قَـــالَ لَهَـــا هـــلْ لَـــكِ يـــا تَا فِيِّي قَالَـــتْ لَـــهُ مـــا أنْتَ بِالْمَرْضِيِّ(١٤٥)

والحمد لله أولا وآخرا.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

---

(١٤٤) تقدم برقم (١١٥).

(١٤٥) تقدم برقم (١١).

المصادر والمراجع

١- الأخفـــش الأوســـط، أبو الحسن سعيد بن مسعدة (ت ٢١٥ = ٨٣٠): معاني القرآن. تحقيق: د. فائز فارس، ط٢، ١٤٠١ = ١٩٨١.

٢- الألوسي، أبو الفضل شهاب الدين السيد محمود (ت ١٢٧٠ = ١٨٥٤): روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني. دار إحياء التراث العربي ببيروت.

٣- أمـــية بـــن أبي الصلت (ت ٨ أو ٩ = ٦٣٠ أو ٦٣١): الديوان. جمع وتحقيق ودراسة: د. عبد الحفيظ السطلي، ط٢، ١٩٧٧.

٤- ابن الأنباري، كمال الدين أبو البركات عبد الرحمن بن محمد (ت ٥٧٧ = ١١٨٢): البيان في غريب إعراب القرآن. تحقيق: د. طه عبد الحميد طه، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٠ = ١٤٠٠.

٥- البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل (ت ٢٥٦ = ٨٧٠): صحيح البخاري. تحقيق: د. مصطفى ديب البغا، نشر وتوزيع دار القلم بدمشق وبيروت، دار الإمام البخاري بدمشق.

٦- الـــبغدادي، عبد القادر بن عمر (ت ١٠٩٣ = ١٦٨٢): خزانة الأدب ولـــب لـــباب لـــسان العرب. تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي بالقاهرة.

٧- الـــبغوي، أبـــو محمـــد الحسين بن مسعود (ت ٥١٦-١١٢٢): تفسير الـــبغوي المعـــروف بمعالم التنزيل، بهامش تفسير الخازن، دار الفكر، ١٣٩٩ = ١٩٧٩.

٨- البـــنا، أحمد بن الحسين (ت ١١١٧ = ١٧٠٥): إتحاف فضلاء البشر بالقـــراءات الأربعة عشر. تحقيق: د. شعبان محمد إسماعيل، ط١، عالم الكتب ببيروت، مكتبة الكليات الأزهرية بالقاهرة، ١٩٨٧ = ١٤٠٧.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

٩- ثعلــب، أبو العباس أحمد بن يحيى (ت ٢٩١ = ٩٠٤): مجالس ثعلب. شــرح وتحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار المعارف بمصر، القسم الأول ط٣، القسم الثاني ط٢.

١٠- ابن الجزري، شمس الدين محمد بن محمد (ت ٨٣٣ = ١٤٣٠):

أ- تحبيــر التيسير في القراءات العشر. تحقيق: د. أحمد محمد مفلح القــضاة، ط١، دار الفــرقان للنشر والتوزيع بالأردن، ١٤٢١ = ٢٠٠٠.

ب- النــشر فــي القراءات العشر. تحقيق: علي محمد الضباع، دار الكتب العلمية ببيروت.

١١- ابن جني، أبو الفتح عثمان بن جني (ت ٣٩٢ = ١٠٠٢):

أ- الخــصائص. تحقــيق: محمد علي النجار، دار الهدى للطباعة والنشر ببيروت.

ب- سر صناعة الإعراب. دراسة وتحقيــق: د. حسن هنــداوي، ط١، دار القلم بدمشق، ١٤٠٥ = ١٩٨٥.

ج- المحتــسب فــي تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها. تحقــيق: علــي النجدي ناصف، د. عبد الحليم النجار، د. عبد الفتاح إسماعيل شلبي، القاهرة، ١٤١٥ = ١٩٩٤.

١٢- أبو حيان الأندلسي، محمد بن يوسف (ت ٧٤٥ = ١٣٤٤):

أ- البحــر المحيط. تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، علي محمد معوض، دار الكتب العلمية ببيروت.

ب- ارتشاف الضرب من لسان العرب. تحقيق: د. مصطفى أحمد الــنماس، ط١، ج١، مطبعة النسر الذهبي. ج٢ مطبعة المدني ١٤٠٨ = ١٩٨٧. ج٣ مطبعة المدني ١٤٠٩ = ١٩٨٩.

١٣- ابن خالويه، أبو عبد الله الحسين بن أحمد (ت ٣٧٠ = ٩٨١):
أ- إعـــراب القـــراءات السبع وعللها. تحقيق: د. عبد الرحمن بن سـليمان العثيمـين، ط١، مطبعة المدني بالقاهرة، نشر مكتبة الخانجي بالقاهرة ١٤١٣ = ١٩٩٢.
ب- الحجة في القراءات السبع. تحقيق: عبد العال سالم مكرم، دار الشروق ببيروت ١٩٧١.
١٤- ابـــن الخباز، أحمد بن الحسين (ت ٦٣٧ أو ٦٣٩ = ١٢٤٠ أو ١٢٤٢): توجـــيه اللمـــع. دراسة وتحقيق: أ.د. فايز زكي محمد دياب، ط١، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة بالقاهرة، ١٤٢٣ = ٢٠٠٢.
١٥- الخزرجـــي، صفي الدين أحمد بن عبد الله (ت بعد ٩٢٣ = بعد ١٥٧): خلاصة تذهيب تهذيب الكمال في أسماء الرجال. تحقيق: مجدي منصور الشورى – دار الكتب العلمية ببيروت.
١٦- الذهبـــي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد (ت ٧٤٨ = ١٣٤٧): معـــرفة القـــراء الكـــبار على الطبقات والأعصار. تحقيق: بشار عواد معـــروف، شعيب الأرناؤوط، صالح مهدي عباس، ط١، مؤسسة الرسالة ببيروت، ١٤٠٤ = ١٩٨٤.
١٧- الـــزبيدي، السيد محمد مرتضى (ت ١٢٠٥ = ١٧٩٠): تاج العروس. دار ليبيا للنشر والتوزيع ببنغازي.
١٨- الـــزجاج، أبـــو إسحاق إبراهيم بن السري (ت ٣١١ = ٩٢٤): معاني القـــرآن وإعرابه. تحقيق: د. عبد الجليل عبده شلبي، ط١، عالم الكتب ببيروت، ١٩٨٨ = ١٤٠٨.
١٩- الزمخشري، أبو القاسم جار الله محمود بن عمر (ت ٥٣٨ = ١١٤٤): الكـــشاف عـــن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل. دار

المعرفة للطباعة والنشر ببيروت.

٢٠- ابن زنجلة، أبو زرعة عبد الرحمن بن محمد (من رجال المائة الرابعة = القرن العاشر الميلادي): حجة القراءات. تحقيق: سعيد الأفغاني، ط٢، مؤسسة الرسالة ببيروت، ١٣٩٩ = ١٩٧٩.

٢١- ابن السراج، أبو بكر محمد بن سهل (ت ٣١٦ = ٩٢٨): الأصول في النحو. تحقيق: عبد "الحسين" الفتلي، ط١، مؤسسة الرسالة ببيروت، ١٤٠٥ = ١٩٨٥.

٢٢- السمين الحلبي، أحمد بن يوسف (ت ٧٥٦ = ١٣٥٥): الدر المصون في علوم الكتاب المكنون. تحقيق: د. أحمد محمد الخراط، ط١، دار القلم للطباعة والنشر والتوزيع بدمشق وبيروت، ١٤٠٦ = ١٩٨٦.

٢٣- أبو سنينة، د. كامل محمد: بناء الجملة العربية في شعر حسان بن ثابت. رسالة دكتوراه، إشراف: أ.د. محمود فهمي حجازي، د. عبد الحميد عوض السيوري، جامعة القاهرة، كلية الآداب، قسم اللغة العربية، ١٤٠٢ = ١٩٨٢.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

٢٤- سيبويه، أبو بشر عمرو بن قنبر (ت ١٨٠ = ٧٩٨): الكتاب.

أ- طبعة بولاق، ط١، ج١، ١٣١٦، ج٢، ١٣١٧.

ب- تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، نشر مكتبة الخانجي بالقاهرة. ج١ + ج٢، ط٣، ١٤٠٨ = ١٩٨٨. ج٣ لم تذكر الطبعة ولا سنتها. ج٤ ط٢، ١٤٠٢ = ١٩٨٢. ج٥ ، ط٢، ١٤٠٣ = ١٩٨٣.

٢٥- السيرافي، أبو سعيد الحسن بن عبد الله (ت ٣٦٨ = ٩٧٩): تقريرات السيرافي على هامش الكتاب طبعة بولاق الأولى، ج١، ١٣١٦، ج٢، ١٣١٧.

٢٦- السيرافي، أبو محمد يوسف بن أبي سعيد (ت ٣٨٥ = ٩٩٥): شرح

أبـــيات ســـيبويه. تحقـــيق: د. محمد علي الريح هاشم، مكتبة الكليات الأزهـــرية بالقاهـــرة، دار الفكـــر للطباعة والنشر والتوزيع بالقاهرة، ١٩٧٥ = ١٣٩٥.

٢٧- السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (ت ٩١١ = ١٥٠٥):

أ- بغـــية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة. تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية للطباعة والنشر والتوزيع ببيروت.

ب- شـــرح شـــواهد المغنـــي. تحقيق: الشيخ محمد محمود بن التلاميذ التركزي الشنقيطي، طبع ونشر لجنة التراث العربي.

٢٨- الشنتمري، يوسف بن سليمان (ت ٤٧٦ = ١٠٨٤): تحصيل عين الذهب من معدن جوهر الأدب في علم مجازات العرب. ذيل الكتاب طبعة بولاق الأولى، ج١، ١٣١٦، ج٢، ١٣١٧.

٢٩- الـــصفدي، صـــلاح الـــدين خليل بن أيبك (ت ٧٦٤ = ١٣٦٣): الوافي بالوفـــيات. تحقيق: أحمد الأرناؤوط، تركي مصطفى، دار إحياء التراث العربي ببيروت.

٣٠- عبد التواب، أ.د. رمضان: فصول في فقه العربية. ط٢، مكتبة الخانجي بالقاهرة، دار الرفاعي بالرياض، ١٤٠٤ = ١٩٨٣.

٣١- العجـــاج بـــن رؤبة (ت ٩٠ = ٧٠٩): الديوان. تحقيق: د. عزة حسن، مكتبة دار الشرق ببيروت.

٣٢- العكبري، أبو البقاء عبد الله بن الحسين (ت ٦١٦ = ١٢١٩):

أ- إعراب القراءات الشواذ. دراسة وتحقيق: محمد السيد أحمد عزوز، ط١، عالم الكتب للطباعة والنشر ببيروت، ١٤١٧ = ١٩٩٦.

ب- التبـــيان في إعراب القرآن. تحقيق: علي محمد البجاوي، ط٢، دار الجيل ببيروت، ١٤٠٧ = ١٩٨٧.

٣٣- الفارســـي، أبـــو علي الحسن بن أحمد (ت ٣٧٧ = ٩٨٨): الحجة للقراء

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الـــسبعة. تحقـــيق: كامـــل مـــصطفى الهنداوي، ط١، دار الكتب العلمية ببيروت، ١٤٢١ = ٢٠٠١.

٣٤- الفخـــر الـــرازي، فخـــر الدين أبو عبد الله محمد بن عمر (ت ٦٠٦ = ١٢١٠): التفسير الكبير. ط٣، دار إحياء التراث العربي ببيروت.

٣٥- الفراء، أبو زكريا يحيى بن زياد (ت ٢٠٧ = ٨٢٣): معاني القرآن. ج١، تحقـــيق: أحمد يوسف نجاتي، محمد علي النجار، ط٢، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٠. ج٢، تحقيق: محمد علي النجار، الدار المصرية للتأليف والترجمة، ١٩٦٦. ج٣، تحقيق: عبد الفتاح إسماعيل شلبي، علي النجدي ناصف، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٢.

٣٦- ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم (ت ٢٧٦ = ٨٩٠): تأويل مشكل القرآن. تحقيق: السيد أحمد صقر، ط٢، دار التراث بالقاهرة، ١٩٧٣ = ١٣٩٣.

٣٧- القرطبـــي، أبـــو عبد الله محمد بن أحمد (ت ٦٧١ = ١٢٧٣): الجامع لأحكام القرآن. دار إحياء التراث العربي ببيروت.

٣٨- القفطي، جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف (ت ٦٢٤ = ٦٠٥): إنباه الرواة على أنباه النحاة. تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط١، دار الفكر العربي بالقاهرة، مؤسسة الكتب الثقافية ببيروت، ١٤٠٦ = ١٩٨٦.

٣٩- ابـــن مجاهد، أبو بكر أحمد بن موسى (ت ٣٢٤ = ٩٣٦): السبعة في القراءات. تحقيق: د. شوقي ضيف، ط٢، دار المعارف بمصر.

٤٠- امرؤ القيس بن حجر (ت ٨٠ ق.هـــ. = ٥٤٤): الديوان. تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط٣، دار المعارف بمصر.

٤١- ابـــن أبي مريم، نصر بن علي (ت بعد ٥٦٥ = بعد ١١٧٠): الموضح في وجوه القراءات وعللها. تحقيق ودراسة د. عمر حمدان الكبيســـي،

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ط١، الجماعة الخيرية لتحفيظ القرآن الكريم بجدة، ١٤١٤ = ١٩٩٣.

٤٢- مسلم بن الحجاج، أبو الحسين (ت ٢٦١ = ٨٧٥): صحيح مسلم. تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي.

٤٣- مكي بن أبي طالب، أبو محمد (ت ٤٣٧ = ١٠٤٦):

أ- الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها. تحقيق: د. محيي الدين رمضان، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، ١٣٩٤ = ١٩٧٤.

ب- مشكل إعراب القرآن. تحقيق: ياسين محمد السواس، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، ١٩٧٤ = ١٣٩٤.

٤٤- المُنْتَجب حسين بن أبي العز (ت ٦٤٣ = ١٢٤٦): الفريد في إعراب القرآن المجيد. تحقيق: د. فهمي حسن النمر، د. فؤاد علي مخيمر، ط١، دار الثقافة بالدوحة بقطر، ١٩٩١ = ١٤١١.

٤٥- ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم (ت ٧١١ = ١٣١١): لسان العرب. دار صادر ببيروت.

٤٦- الميداني، أبو الفضل أحمد بن محمد (ت ٥١٨ = ١١٢٤): مجمع الأمثال. تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، مكتبة السنة المحمدية، ١٣٧٤ = ١٩٥٥.

٤٧- النابغة الذبياني، زياد بن معاوية (ت نحو ١٨ = نحو ٦٠٥): الديوان. تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ذخائر العرب ٥٢، دار المعارف بمصر.

٤٨- النحاس، أبو جعفر محمد بن إسماعيل (ت ٣٣٨ = ٩٥٠): إعراب القرآن. تحقيق: زهير غازي زاهد، ط٢، عالم الكتب، مكتبة النهضة العربية، ١٩٨٥ = ١٤٠٥.

٤٩- ابن هشام، أبو محمد عبد الله جمال الدين بن يوسف (ت ٧٦١ = ١٣٦٠):

مغني اللبيب عن كتب الأعاريب. تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، مطـــبعة المدني بالقاهرة، نشر مكتبة ومطبعة محمد علي صبيح وأولاده بميدان الأزهر بالقاهرة.

٥٠- الـــواحدي النيسابوري، أبو الحسن علي بن أحمد (ت ٤٦٨ = ١٠٧٦): الوســـيط فـــي تفسير القرآن المجيد. تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، الـــشيخ علي محمد معوض، د. أحمد محمد صيرة، د. أحمد عبد الغني الجمـــل، د. عـــبد الـــرحمن عويس، ط١، دار الكتب العلمية ببيروت، ١٩٩٤ = ١٤١٥.

٥١- ابـــن يعـــيش، يعـــيش بن علي بن يعيش (ت ٦٤٣ = ١٢٤٦): شرح المفصل. عالم الكتب ببيروت، مكتبة المثنى بالقاهرة.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

العدد بين الحساب واللغة

د. محمد سمير نجيب اللبدي
جامعة الإسراء الخاصة

المقدمة:

العدد في مفهومه الظاهري والحقيقي هو ما دل على الكميات والمقادير، سواء أكان جوابا عن سؤال صريح أو مقدر أو كان إخبارا عن استكثار، وليس له في اللغات في ما نعلم أية دراسات لغوية خاصة تغطي صياغته وبيان إعرابه وأصول استخدامه وطبيعة علاقته بالمعدود من حيث التذكير والتأنيث أو الإفراد والتثنـــية والجمع كما هو شأنه في لغتنا العربية التي خصت كل مفرداته بقواعد ثابتة تبين كل جوانب الاستعمال المتعلقة به.

فالعـــدد في اللغة العربية فئات مختلفة، تتباين في علاقاتها مع معدوداتها تقـــديما أو تأخيـــرا وتذكيرا أو تأنيثا أو مطابقة أو مخالفة، بالإضافة إلى مواقع إعرابه رفعا أو نصبا أو جرا، ومواقع المعدود فيه من حيث الوصف أو التأكيد أو النصب على التمييز أو الجر بالإضافة.

لـــذلك نراه قد خص بنصيب وافر من الحديث عنه في ألفية ابن مالك، كمـــا أن مـــراجع النحو ومصنفاته قد خصته بمساحة جيدة من البحث والشرح والتفصيل وصياغة المتون حوله وتحشيتها.

فللأعداد في لغتنا أصولها الاشتقاقية، ولها مدلولاتها الكثيرة، كما أن لها أصـــولا صـــياغية يجب أن تراعى في التعبير عنها، وأصولا صوتية يجب أن تلاحـــظ كـــذلك، فلا يجوز رفعها أو رفع معدوداتها في موضع النصب، كما لا

يجـــوز جـــرها في موضع الجر، ولا إعرابها في موضع البناء، ولا بناؤها في موضع الإعراب، ولا تذكيرها في موضع التأنيث أو تأنيثها في موضع التذكير.

لكـــل ذلك فلسفته التي انطلق منها أو بنى عليها؛ إذ لم ينشأ سمت معين فـــي صياغة الأعداد من فراغ، وإنما قام على أصول وتعليلات تستحق التبجيل لمن جهدوا في تحليلها واجتهدوا في وضعها كما سنذكر في متن البحث.

من هنا، رأينا أن نبحث في العدد ليس فقط كرمز حسابي مقداري وإنما كـــصياغة لغـــوية لهـــا أصـــولها وقواعدها مغايرين في ذلك ما أمكن الطريقة المعهـــودة التـــي عرضته بها كتب النحو ومؤلفاته متوخين في بحثنا التعرض لعلاقة العدد بشكل عام باللغة من كل جوانبها، بالإضافة إلى دلالته المقدارية في أصل وضعه ومفهومه، وهو ما نأمل أن نكون قد وفقنا في عرضه وكشفه.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

العدد بين الحساب واللغة

يشغل العدد في حياتنا مساحة كبيرة، حتى إذا ما بحثنا عنه في كل المرافق والجوانب وجدناه حاضرا في الأموال والأزمنة والأمكنة، ولا يكاد حديث من أحاديثنا يخلو من ذكرٍ للأعداد بكل مستوياتها. فإذا تناولنا الزمن وجدناه في الأيام والأسابيع والشهور والسنوات والأعمار والأجيال والقرون والتاريخ والمعارك والغزوات والحروب والأحداث.

وإذا تناولنا المكان وجدناه في جغرافية الحدود وأطوالها ومساحاتها، وما زاد فيها وما نقص، ناهيك عن الأموال والأرزاق ومقاديرها وأرباحها ودخولها وخساراتها ومدفوعاتها وعجوزاتها.

نجد العدد في كل هذه الجوانب وغيرها حاضرا قائما لا يخلو منه حديث أو مقال أو محاضرة أو بحث أو تقرير.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وقد تتخذ الأعداد في كلامنا أشكالا مختلفة، فهي حينا أعلام على الكميات والمقادير، وهي في أحيان أخرى دلالات على التقسيم والترتيب والتبويب والقياس، وهي كذلك كنايات عن المبالغة في الكثرة أو القلة.

وفي كتابتها تكون حينا بشكل الرموز الاصطلاحية المعروفة في اللغات، وحينا بشكل الحروف الهجائية، كما أنها تصنف إلى خانات ومنازل تحفظ لها كمياتها المقدارية نزولا أو صعودا.

وما من شك في أن الأعداد بكل مقاديرها تنتمي إلى كل العلوم الإنسانية، وبخاصة علم الرياضيات بعامة والحساب بخاصة، فهو الأساس بالنسبة لها، وبقية العلوم كما أشرنا آنفا لا تخلو منها ولا غناء لها عنها، فهي وسيلة التقسيم والجدولة، وهي دائما محتوى النتائج الإحصائية لكل المتعددات،

ولهــذا يقــرر النقاد والأدباء أن خلو الكلام الأدبي من الأعداد هو خاصية من خصائص هذا الأسلوب.

وإذا كــان العــدد في حقيقته العلمية الرياضية مجرد عَلَمٍ على كمية أو تــرتيب، فإنــه أيــضا بحث عقلي تجريدي تنبثق منه رياضيات ذهنية مختلفة، تكتسب أحيانا أبعادا فرعية إضافية فضلا عن أبعاده العلمية البحتة.

والعدد بمفهومه الكمي جانب عالمي إنساني، يعد كما قلنا عنصرا رئيسا فــي كــل جــوانب العلم وفروعه، وهو بهذا المفهوم لا يفيدنا في بحثنا هذا إلا بمقدار ما يتصل منه بالجانب اللغوي الذي سنتطرق إليه.

وفــي تأكيدنا أن بحث العدد من الناحية اللغوية لم يطرق كأسلوب، ولم يُتــناول كتــركيب لغوي يخضع لقواعد ثابتة، وأسس صوتية لغوية محددة كما طــرق فــي اللغة العربية التي اتخذت منه عنوانا لبحثٍ نحوي أسلوبي واسع، خــضع لاســتقراءٍ منطقــي ولفلسفةٍ تعليلية دقيقةٍ طريفة. فالعدد في لغتنا بحث تكوينــي، وليس بحثا حسابيا كميا فقط، فهو في نحونا أسلوب استخدامي مستقرأ من كلام العرب والقرآن الكريم وشواهد العصور المعتمدة.

حديثنا إذن في هذا البحث: سيدور حول العدد من الجانب اللغوي وليس الجانــب الحــسابي، أي: أنــنا سنتناول هذا الموضوع من حيث العدد اللغوي كأسلوب تركيبي له قواعده وأصوله التي يجب أن تتبع عند بنائه حتى تتوافر له سلامة الاستخدام وصحة التعبير.

وابتداء وقبل أن نتعرف إلى العدد من الناحية اللغوية، وما إذا كان هناك علاقــة بــين هذا الجانب والجانب الكمي الحسابي أم أنهما متداخلان يجب أن نتعرف إلى لَفْظي العدد والرقم، وهل هما مترادفان أم مختلفان ؟

بين العدد والرقم:

يـــستخدم الناس لفظ الرقم مرادفا للعدد، بمعنى أن الرقم هو العدد والعدد هـــو الرقم، في حين أن نصوص المعجمات لا تحتمل ذلك ولا تفيده، فكلمة رقم تدور حول معان متعددة ليس منها العدد، فمن ذلك: الكتابة، يقال: رقمت الكتاب أي كتبته، والتوشية، يقال: رقم الثوب وشّاه.

كما يقال: التاجر يرقُم الثياب أي: يعلمها، ويقال رَقَمَ الكتاب، بيّن حروفه ونقّطه، ورَقْمُ الكتاب وترقيمه وتبيينه(١)، والرقْم الكتابة والختم(٢) وهو ضرب من البرود، وضرب مخطط من الوشي.(٣)

ومن المجاز قولهم: هو يرقم في الماء: وهذا مَثَلٌ يضرب للذي يعمل ما لا يعملـــه أحـــد لحذقه(١)، أو لمن يعمل عملا لا طائل تحته(٥) والرقيم في قوله تعالـــى: "**أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم**"(٦) اسم الكلب الذي كان مع أهل الكهـــف، أو اسم الوادي الذي كانوا فيه، وقيل أيضا إنه لوح رُقم أي: كتب فيه حديثهم، وجُعل على باب الكهف.(٧)

وهكـــذا وبتتبع هذه المادة في معجمات اللغة التراثية لم أقع فيها على ما يفـــيد أن الـــرقم هو العدد، ويبدو أنه استخدام حديث قد شاع على ألسنة الكتاب والمتكلمـــين، حتى أصبح في الاستعمال مرادفا للعدد، ويعزز هذا القول ما ورد في المعجمات الحديثة، حيث جاء في أقرب الموارد في فصيح العربية والشوارد(٨). أن هـــذا الاســـتخدام خـــاص بالحاسبيين الذين يطلقونه على الأعداد من ١-١٠ ويتناول الصفر أيضا، ويقال لها الأرقام الهندية.

---

(١) أساس البلاغة الزمخشري مادة (رقم) ص١٧٤ ط١ دار المعرفة، بيروت، لبنان.

(٢) اللسان ابن منظور مجلد ١٢ ص٢٤٩ مادة رقم

(٣) اللسان ابن منظور باب الميم فصل الراء مجلد ١٢ ص٢٤٩.

(٤) أساس البلاغة الزمخشري مادة رقم ص١٧٤.

(٥) المعجم الأساسي جماعة من اللغويين مادة رقم ص٥٤٣.

(٦) سورة الكهف الآية ٨.

(٧) تفسير القرآن الكريم، مختصر تفسير القاسمي – اختصار الشيخ صلاح أرقه دان – دار النفائس.

(٨) الشرتوني، سعيد الشرتوني، أقرب الموارد في فصيح العربية والشوارد، ج٣، ص٤٢٥.

وقـــيل في جملة ما قيل إن الرقم رمز يستعمل للتعبير عن العدد[١]، وإن الرقم لفظ مَجْمعي، وأنه في علم الحساب رمز مستعمل للتعبير عن أحد الأعداد البـــسيطة، وهـــي الأعداد التسعة الأولى والصفر[٢]. وهو كلام يشعر بأن الرقم مجـــرد رمـــز للعـــدد وليس العدد نفسه، بدليل قَصْره على الأعداد الأولية دون تغطية الأعداد كلها.

وفـــي رأينا إذا ما أردنا التوفيق بين اللفظين أن نقول إن العدد لا يكون رقمـــا إلا إذا كان مكتوبا، حيث يقال الرقم المرقوم كما يقال العدد المرقوم، أو المـــبلغ المرقوم، ولا يقال العدد المعدود، فالأرقام هي علامات الترقيم من نقطة وفاصـــلة وتعجـــب، توضـــع أثناء الكلام أو في آخره، ولا تكون أعدادا مفيدة للكمـــيات إلا في حالة كتابتها، لتكون بذلك أعدادا مرقومة، وأما في حالة لفظها، فهي كما نرجح أعداد وليست غير، فكل رقم ليس بالضرورة أن يكون عددا كما أن كل عدد ليس بالضرورة أن يكون رقما ما لم يكتب.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ويقوي هذا في رأينا أن العرب لم يكونوا يستعملون الرموز العددية في التعبيـــر عن الكميات، سواء أكانت رموزا هندية نحو ١، ٢، ٣ أو عربية نحو 1, 2, 3، بـــل كانوا يلفظون العدد أو يكتبونه ويَرقـــمونه بالحروف، سواء في رســـائلهم أو تاريخ أحداثهم ورصد وقائعهم وتسجيل مقاديرهم وكمياتهم، ولعل هـــذا مـــا أدى إلـــى الخلط بين لفظي العدد والرقم، واستعمال كل منهما مرادفا للآخـــر. ومع ذلك فإن هذا الاستنتاج لا يعني في رأينا بالضرورة مصادرة لفظ الرقم في معنى العدد، فاللغة تنمو وتتطور، ولا يضيرها أن يرادف لفظ آخر ذاع وشـــاع كمـــا هو الشأن في الرقم والعدد، فنحن في كل الأحوال مع نمو اللغة،

---

(١) المعجم الأساسي جماعة من اللغويين مادة رقم ص٥٤٤.

(٢) المعجم الوسيط د. إبراهيم أنيس وآخرون ج١ ط٢ مادة (رقم) ص٣٦٦.

وليس مع تجميدها وحصرها في لغة المعجمات ومفرداتها، وما قلناه هو للتحقيق والتوثيق وليس غير.

العدد في اللغة:

العـــدد مصدر الفعل "عد"، ويجمع على أعداد، والعدد هو مقدار ما يعد، والعـــد هـــو الإحـــصاء[١]، أي: تعقـــب المعـــدود وإعطاؤه لفظا يصبح بالتالي عَـــلَـــمًـــا عليه يدل على مقداره وكميته أو ترتيبه.

ومما يجدر التنويه به في هذا المقام أن العدد الحسابي لم يكن ببعيد عن الحديث عنه في مراجع اللغة ومعجماتها ومصنفات نحوها، فقد ورد في تعريف العـــدد بعامة أنه ما ساوى نصف حاشيتيه الصغرى والكبرى[٢] بمعنى أن لكل عدد حاشية كبرى وهي العدد الذي يسبقه، وصغرى وهي العدد الذي يلحقه فإذا جمعت الحاشيتان كان العدد نصف هذا المجموع، فالعدد – ٦ – مثلا هو نصف مجموع السبعة والخمسة.

وجـــاء في بعض مراجع اللغة المعجمية النوعية، كمعجم الكليات لأبي البقاء الكفوي أن العدد هو الكمية المتألفة من الوحدات[٣]، وقد يطلق على كل ما يقع في مراتب العد[٤].

---

(١) المعجم العربي الأساسي جماعة من اللغويين (لاروس) مادة عدد ص٨٢٤.

(٢) الـــصبان، محمـــد بن علي الصبان، الحاشية على الأشموني،ج٤، ص٦١ الحلبي + الكفوي/ أبو الـــبقاء، أيوب بن موسى الحسيني ١٠٩٤هـــ، ١٦٨٣م، منشورات وزارة الثقافة دمشق، ج٣، ص ٢٥٤.

(٣) المصباح المنير الفيومي – دار الكتب العلمية مادة العين والدال وما يثلثهما ص٤٦٩ + الكفوي، الكليات، ج٣، ص٢٥٤.

(٤) الكفوي، الكليات ج٣، ص٢٥٤.

كما ورد فيه كذلك تقسيم العدد إلى **تام**[1]، وهو الذي إذا ما اجتمعت أجزاؤه كانت مثله، نحو الستة فإن أجزاءها البسيطة الصحيحة هي النصف والثلث والسدس، فالنصف – ٣ –، والثلث اثنان، والسدس واحد ومجموع ذلك ستة.

وعدد ناقص وهو الذي إذا اجتمعت أجزاؤه البسيطة الصحيحة كانت جملتها أقل منه، وهو الثمانية، فإن أجزاءها: النصف وهو ٤، والربع وهو ٢، والثمن وهو ١. فالمجموع سبعة، **والعدد الزائد** وهو العدد الذي إذا اجتمعت أجزاؤه زادت عليه وهو اثنا عشر، فإن أجزاءها النصف وهو –٦–والثلث وهو –٤– والربع وهو –٣– والسدس وهو –٢– فالمجموع خمسة عشر وهو زائد على الأصل.

فمرجع كهذا يتعرض لتصنيف العدد إلى هذه الأصناف الدقيقة بالشكل الذي قدمناه، يدل على أن اللغويين لم يكونوا بعيدين عن العدد الحسابي الإحصائي الذي لا يمكن أن ينفصل عن البيان اللغوي بأي حال.

فاللفظ بكل مشتقاته وصيغه يدور حول العدد والتعداد، واللغة كما رأينا وسنرى هي الراصد الدقيق لكل الصيغ التي دارت حول هذا المعنى.

العدد في الدراسة النحوية:

إذا كان العدد في مفهومه الاصطلاحي الحسابي كما عرفنا هو الكم الذي يترتب عليه في ما بعد وضع لفظ يكون نتيجة لعمليات الإحصاء والعد والتجميع، فإن العدد في البحث اللغوي يتضمن هذا المعنى ولكنه يأخذ منحى آخر.

فالعدد الحسابي بكل أشكاله كمية ومقدار في حين أن العدد اللغوي بالإضافة إلى ذلك هو أسلوب وتركيب وسمت كلام.

---

(١) المرجع السابق.

والحـــديث عن العدد اللغوي صياغة يختلف عن العدد الحسابي ترميزا وجدولـــة، ونحن في بحثنا هذا سنتطرق إلى العدد من حيث الاستخدام التركيبي اللغـــوي، لأنـــه في هذا الإطار نوع من المركبات اللفظية التي يؤلفها العدد مع المعدود. إذ إن العدد مفردا لا مفهوم له إلا بمعدوده[1]، مذكورا أو مقدرا، وهذا المعـــدود فـــي الاصطلاح هو المسمى بتمييز العدد، لأنه موظف لتمييزه وإزالة إبهامه.

والعلاقة بين العدد والمعدود لا تخرج عن العلاقة بين التمييز والمميز، فكمـــا أن التمييـــز ويـــسمى التفسير والتبيين[2] يفسر ويميز المميز المبهم، فإن المعـــدود كذلك يفسر العدد ويبينه، ولهذا يصنفه النحاة من أنواع التمييز الخاص بالمقادير وهو من أنواع التمييز المفرد.

والمعـــدود ســـواء أكان مفردا منصوبا نحو "طالبا" في ثلاثون طالبا أم مفردا مجرورا في نحو: "طلاب" من ثلاثة طلاب، فهو اللفظ الذي يزيل الإبهام الموجود في العدد.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

فالعدد ثلاثون لا مفهوم له مفردا، وهو مجهول المعنى والغرض، وكذلك لفـــظ ثلاث، ولا يزول إبهامهما إلا بذكر المعدود، فلهذا يسمى بالتمييز في حالة النصب وهو كذلك في حالة الجر بالإضافة.

لكـــل ما ذكرنا نرى العدد والمعدود يشكلان مركبا متعدد الأنواع، لأن الجزء الأول من هذا المركب لا يستغني كما أسلفنا عن الجزء الثاني ولأن الثاني يكوِّن مع الأول مفهوما مقداريا لا يتضح إلا بهما.

---

(١) عباس حسن، النحو الوافي ج٤، ص٤٨٢ ، دار المعارف.

(٢) عباس حسن، النحو الوافي ج٤، ص٤٨٩.

والعـــدد بعامة خاضع إعرابيا لموقعه في الجملة، فقد يكون مرفوعا أو منـــصوبا أو مجرورا، وقد يكون مبنيا على الفتح كالأعداد المركبة التي لا تريم عـــن البناء، باستثناء العدد ١٢ الذي يعرب جزؤه الأول إعراب المثنى، ويبنى جزؤه الثاني على الفتح دون أن يكون له إعراب، لأنه بمثابة النون من المثنى، وهـــو الـــسبب في عدم إضافته كأخواته المركبة إلى صاحبها، فلا يقال هذه اثنا عشرك كما يقال هذه إحدى عشرك.(١)

والعـــدد إذا لم يكن جزءا من مفهوم الجملة فيخضع للإعراب وأريد به العـــد فقط، سمي بالعدد المسرود، ويكون في هذه الحالة موضوعا على الوقف، حـــيث يقـــال: واحـــدْ، اثنانْ، ثلاثهْ، أربعهْ، خمسهْ، ستهْ، إلى الألفْ، وذلك لأن المعاني الموجبة للإعراب مفقودة، شأنه في ذلك شأن حروف التهجي، حيث يقال في سردها: ألفْ، جيمْ، تاءْ، هاءْ، نونْ.(٢)

دلالة العدد اللغوي:

إن الحـــديث عـــن العدد اللغوي لا ينفصل كما ذكرنا عن الحديث عنه حـــسابيا ومقـــداريا، فنحن عندما نفرد عنوانا لدلالة العدد اللغوي، لا يعني أننا ســـلخناه عـــن مفهومه الدلالي الأصلي، وإنما أردنا الحديث عنه في صياغاته اللفظية اللغوية.

فالعدد بعامة إما أن يدل على الكمية، ويسمى العدد الأصلي، نحو خمسة وســـتة وأحد عشر، أو يدل على ترتيب الأشياء فيسمى العدد الترتيبي(٣)، وهو

---

(١) الزمخشري/ أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري، المتوفى سنة ٥٣٨ هـــ، المفصل في علم العربية ص١٥ دار الجيل، بيروت.

(٢) الزمخشري، المفصل ص٢١٦.

(٣) الشرتوني، رشيد، مبادئ العربية في العرض والنحو، ص١٤٠، منشورات الآداب الشرقية.

الـــذي يدل على رتبة الأشياء فيما بينها نحو: الخامس والسادس والحادي عشر والسبعون والمائة والألف.

ولهـــذين النوعـــين: الأصلي والترتيبي أحكام لغوية تتعلق بكل منهما، وتبين طريقة استعماله ولفظه وتركيبه.

فالعـــدد الأصلي، وهو الدال على الكميات يبدأ من ١-١٠٠٠، وما قبل الـــواحد هو الصفر الذي لا يدل على شيء. والصفر كما ورد في المعجم لفظة تدل على خلو منزلتها من العدد، ويرمز إليه بالعربية هكذا (٥) وبالهندية (.)[١].

وليس بعد الألف إلا مضاعفاته، وما يتبعها من زيادات العقود والنيفات، وأما المليون فهو تعبير غير عربي، وإذا ما أريد في العربية أن يعبر عن كميته قيل ألف ألف أي: مليون وليس غير.

العدد الأصلي من حيث الاشتقاق:

العدد الأصلي المفرد هو مجموعة الأعداد من ١-١٠ وألفاظ العقود من ٢٠-٩٠ ولفظي المائة والألف، يضاف إلى هذه المجموعات الأعداد المركبة من ١١-١٩، والأعـــداد المعطوفة من ٢١-٩٩، وهذه الأعداد هي تشعيب للأصول وتفريع عنها.[٢]

وقـــد صـــنف اللغويـــون هذه الأعداد بحسب دلالاتها العددية وإعرابها وطريقة ضبطها، وبحسب علاقتها بالمعدود من حيث التذكير والتأنيث، وطبيعة المعدود من حيث الإفراد والجمع والنصب والجر.

---

(١) المعجم الأساسي جماعة من اللغويين (لاروس) مادة صفر ص ٧٣٨.

(٢) الزمخشري، المفصل ص٢١٢.

ولـــسنا في هذا البحث متوخين هذا التصنيف كما ورد في مراجع النحو ومظانـــه، فهو معروض فيها بشكل تفصيلي لا غناء في تكراره. وإنما نحن في بحثـــنا هذا نحاول أن نتلمس الجوانب المتعلقة بالعدد، والتي لم يركز عليها في الغالب ضمن جهود بحثية خاصة، وهوما نحاول القيام به في هذا البحث.

ولعـــل مـــن مـــداخل الحـــديث في هذا الجانب أن نتعرض للأعداد في اشتقاقها وأصولها وتفريعاتها بالشكل التالي:

العـــدد (واحـــد)، ويرمز إليه بـــ (1) أو (١) ، وهو أول العدد وكذلك الـــواحد والأحـــد، وهـــو مشتق من الوحدة، وله صيغ عديدة حيث يقال "واحد" للمذكر وواحدة وإحدى للمؤنث، ويستعمل صفة لمعدوده أو توكيدا له كما قيل في قوله تعالى: "**ونفخ في الصور نفخة واحدة**"[١]، إذ تعرب كلمة واحدة صفة لنفخة أو توكـــيدا[٢]، ولا يتقدم هذا العدد على معدوده، فلا يقال واحد رجل وإنما يقال رجل واحد.

وقيل إن الواحد ليس بعدد[٣]، لأن العدد هو الكمية المتألفة من الوحدات، فلا يكون الواحد عددا[٤] ولأن العدد كذلك كم منفصل، وهو قسم مطلق الكم، ولا يقـــبل القسمة لذاته كما أنه ليس له حاشية صغرى كبقية الأعداد[٥]، والهمزة في إحـــدى وأحـــد منقلبة عن الواو، ولا يستعملان في الأعداد إلا في المنيفة، فيقال واحد وعشرون وإحدى وعشرون[٦].

---

(١) سورة الحاقة الآية ١٣.

(٢) محيي الدين درويش، إعراب القرآن.

(٣) حاشية الجمل مجلد ٤، ص٣٩٧.

(٤) الجرجاني، التعريفات + المصباح المنير.

(٥) الكفوي، أبو البقاء ج٣، ص٢٥٤ + الأشموني ج٤.

(٦) الزمخشري، المفصل ص٢١٦.

وفي التركيب يقال: أحد عشر، وفي منهج الترتيب يقال الواحد والحادي عشر والحادي والعشرون، ولا يستعمل حادٍ وحادية إلا مع (عشر) ومع (عشرين وأخواته) فيقال حاد وعشرون بدون أل أو حادية وعشرون[1]، ومن هذا العدد تشتق الأحادية والأحادي والموحَّد والموحِّد.

العدد (اثنان)، ويرمز إليه بـ (2) أو (٢). وهو لفظ مشتق من الثني، ويطلق على المذكر عدا أو وصفا، وقد يعرب توكيدا أو صفة لما قبله[2]، وهو من الألفاظ الملحقة بالمثنى إعرابا لعدم وجود مفرد له، ويعرب إعرابه سواء أكان مفردا أم مركبا أم معطوفا عليه.

ومعدوده كمعدود الواحد متقدم عليه دائما حيث يقال: رجلان اثنان، وامرأتان اثنتان، كما يقال: رجل واحد، وامرأة واحدة، ولا يقال واحد رجل، أو اثنا رجلين لأن كلمة (رجل) تفيد الجنسية والوحدة، ورجلان يفيد الجنسية وشفع الواحد، فلا حاجة إلى الجمع بينهما[3]. وجاء على غير قياس قولهم:

ظرف عجوز فيه ثنتا حنظل

إذ المفروض أن يقال: ظرف عجوز فيه حنظلتان اثنتان.[4]

وهذا العدد يلفظ بهمزة الوصل حينا، أو بدونها فيقال اثنتان أو ثنتان،[5] حيث تحذف الهمزة لكثرة الاستعمال.

---

(١) ابن الناظم، جمال الدين محمد بن مالك، شرح ألفية ابن مالك، منشورات ناصر خسرو ص٢٩٠.
ولد سنة ستمائة ومات في شعبان سنة ٦٧٢هـ.

(٢) حكمه حكم الواحد.

(٣) الدقر، عبد الغني، معجم النحو.

(٤) أي مع بقاء النون، إذ لا إضافة في هذه الحالة. المفصل الزمخشري، ص٢١٢.

(٥) الزمخشري، محمود بن عمر، الأنموذج – شرح الأردبيلي – جمال الدين محمد بن عبد الغني تحقيق د. جني عبد النبي ص١٢١.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وكمـــا يستعمل هذا العدد مفردا، يستعمل كذلك مركبا مع عشر، فيقال: اثـــنا عـــشر في حالة التذكير واثنتا عشرة في حالة التأنيث كما يستعمل تاما في حالة العطف فيقال اثنتان وعشرون، أو ثنتان وعشرون.

ويعرب إعراب المثنى رفعا بالألف ونصبا وجرا بالياء، كما يعرب في حالـــة التـــركيب دون نـــون، مستعاضا عنها بلفظ عشر، فيقال اثنا عشر واثنتا عشرة، ويعرب معطوفا عليه كالمثنى بحسب موقعه رفعا بالألف، ونصبا وجرا بالياء.

وعن هذا اللفظ مكررا يعدل لفظا (ثناء ومثنى) أي: اثنين اثنين، كما في قـــوله تعالى: "**فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع**"، ومنه تشتق الثنائية والمثنى والثنائي.

والعـــددان (١، ٢) يوافقان المعدود مفردين أو مركبين أو معطوفين في حالات الإعراب والتذكير والتأنيث والتعريف والتنكير.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

العـــدد (ثلاثة): ويرمز إليه بـــ (3) أو (٣). وهو لفظ مشتق من ثلث، وإلـــيه ترجع كل الصيغ التي تدل على الثلاثة، مثل: ثلث وثلاثي وثالوث وثلث، وعـــنه مكـــررا يعـــدل لفظا (ثُلاث ومَثْلث) أي ثلاثة ثلاثة، ومنه قوله تعالى: "**فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنَى وثلاث ورباع**"[1].

وهذا العدد هو بداية الجمع وأقله، ويشكل مع الأعداد التالية له إلى تسعة فـــئة الأعـــداد المخالفة، التي لا تتوافق مع معدوداتها التي تليها، وتكون مضافة إليها نحو: ثلاثة رجال، وثلاث نسوة، وسيأتي الحديث عن ذلك لاحقا.

---

(١) النساء الآية ٣.

ومما يقال في هذا العدد أنه إذا عطف على مجروره المعدود، لا يجوز فـــي معطوفه إلا الجر، لأنه جمع واحد وليس بجمعين فيقال: عندي ثلاثة رجالٍ ونسوةٌ بالرفع، بمعنى أن عندي ثلاثة رجال وعندي نسوة.

العدد (أربعة): ويرمز إليه بـــ (4) أو (٤)، وهو عدد زوجي مشتق من ربـــع، وتعـــود إليه كل مفهومات الرباعية وألفاظها، من رباعي ورباع وتربيع ورابـــع وربع ومربع ورباعية، وعنه مكررا يعدل لفظ (رُباع ومَرْبع)، كما تقدم في قوله تعالى: "وانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع"(١).

وهـــذا العـــدد مـــن الأعداد الزوجية المخالفة لمعدوداتها في التذكير والتأنيث، ومعدوده لاحق به مجرورا بالإضافة، وإذا عطف عليه لم يجز فيه إلا الرفع كما تقدم في لفظ ٣، إذ لا يجوز الجر لأن الأربعة تحتوي على جمع واحـــد فـــيقال: لـــدي أربعة رجالٍ وامرأةٌ أي لدي ثلاثةُ رجالٍ وعندي امرأة واحدة.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

العدد (خمسة): ويرمز إليه بـــ (5) أو (٥)، وهو عدد وتري مشتق من (خمـــس)، ومـــنه تشتق الصيغ المستعملة في الدلالة على التخميس، نحو خمس وخماسي وخميس وخامس ومخمس ومخموس، وعن الخمسة يعدل لفظا (خُماس ومَخْمس) أي: خمسة خمسة.

وهـــذا العدد كسابقيه من مجموعة الأعداد المخالفة لمعدودها في التذكير والتأنـــيث، ومعدوده مجرور بالإضافة، وإذا عطف عليه رفع ولا مساغ للجر، لأن العدد لا يتألف من جمعين، فيقال في مثله: عندي خمسة رجالٍ ونساءٌ، أي: ثلاثة رجالٍ وامرأتان إذ لا يوجد من العدد خمسة إلا جمع واحد.

---

(٢) النساء الآية ٣.

العـــدد (ستة): ويرمز إليه بـــ (6) أو (٦)، وأصل اللفظ سدس[١]، فلما كثـــرت فـــي الكلام أبدلوا السين تاء فصارت ست[٢] فالتغيير الأول للتقريب من غيـــر إدغام، والثاني مقصود به الإدغام[٣]. وذكر ابن يعيش أن إدغام ست إنما هـــو علـــى ســـبيل الشذوذ، والذي يدل على أن أصل ست سدسة بالدال أننا في التصغير نقول سديسة وفي الجمع نقول أسداس ولا نقول: أستات.[٤]

وهذا العدد يدل على ست وحدات، وكل وحدة منه تسمى سدسا، كما أن كـــل مشتقاته السداسية مأخوذة منه كالسداسي والمسدس والسديس، وعنه يعدل لفظـــا سُـــداس ومَـــسْدَس أي ستة ستة، وهو من الأعداد المخالفة لمعدودها في التذكير والتأنيث، ولا يكون معدودها إلا جمعا مجرورا، والمعطوف عليه يجوز فيه الجر كما يجوز فيه الرفع فيقال عندي ستة رجالٍ ونساءٍ أو نساءٌ.

العـــدد (سبعة): ويرمز إليه بـــ (7) أو (٧). وهو لفظ مشتق من (سبع) ويدل على سبع وحدات، وإليه تعود كل المشتقات كالسباعي والسابع، وعنه يعدل لفظا سُباع ومَسْبَع أي سبعة سبعة.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ومـــن استخداماته اللغوية والدينية قوله تعالى: "**الذي خلق سبع سموات طباقا**"[٥] وقول الرسول عليه الصلاة والسلام: "سبعة يظلهم الله بظله يوم لا ظل إلا ظلـــه" إلى آخر الحديث، وقوله كذلك: "إذا ولغ الكلب في إناء أحدكم فليغسله سبع مرات إحداهن بالتراب"، وهذا العدد مخالف لمعدوده تذكيرا وتأنيثا، ويكون مجمـــوعا مجرورا، وإذا عطف عليه جاز جر معطوفه لوجود جمعين، أو رفعه

---

(١) مختار الصحاح مادة ستت، ص٢٨٤ – الرازي.

(٢) ابن جني، عثمان، الخصائص ج٢/ ص٤٧٢. دار الهدى للطباعة/ بيروت.

(٣) الخطيب/ عبد اللطيف/ لغويات ص١٧٤.

(٤) شرح المفصل ص١٢٣ لابن يعيش نقلا عن كتاب لغويات للدكتور عبد اللطيف الخطيب.

(٥) سورة الملك الآية ٣.

فـــيقال: عندي سبعة رجالٍ ونساءٍ أي: عندي ثلاثة رجال وأربعة نساء أو أربعة رجال وثلاثة نساء.

ولهـــذا العدد فضائل كثيرة سردها صاحب المخلاة، ومنها أنه عدد مقنع لأنـــه مذكور في السموات والأرض، وفي خلق الإنسان، وفي رزقه وأعضائه التي بها يطيع الله.(١)

وعـــن ابن الخباز في شرح الإيضاح قوله: وقد استقريت ما وقفت عليه مـــن كـــتب العلم والتفسير والحديث والتواريخ وغير ذلك، فلم أر عددًا مذكورًا دائرًا على الألسنة أكثر من هذا العدد.(٢)

العـــدد (ثمانـــية): ويرمـــز إليه بـــ (8) أو (٨)، وهو لفظ مشتق من (ثمن)، ويدل على ثماني وحدات تسمى كل وحدة (ثمنا)، وإليه تعود اشتقاقاته المعـــروفة، نحو: ثمين ومثمن وثماني، وعنه يعدل لفظا ثـــُمان ومَثـــْمَن أي ثمانـــية ثمانية، والياء فيه للنسب مثل الياء في اليماني وهو بذلك منسوب إلى الثمن.(٣)

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

والثمانية من الأعداد المخالفة لمعدودها، وتثبت ياؤه مع المذكر والمؤنث في حالة الإضافة، فيقال ثمانية رجال وثماني نساء وتسقط هذه الياء مع التنوين عـــند الـــرفع والجر كما تثبت عند النصب، فيقال: هؤلاء رجالٌ ثمانٍ ومررت برجالٍ ثمانٍ حيث يعامل معاملة (جواري)، ومعدود هذا العدد مجرور بالإضافة، وإذا عطف عليه جُرَّ المعطوف تبعا له.

---

(١) العاملي، بهاء الدين محمد بن حسين، المخلاة ص٣٥٥ دار المعرفة ، بيروت.
(٢) المرجع السابق.
(٣) الكفوي، الكليات، ج٢، ص١٢٨.

العـــدد (تسعة): ويرمز إليه بـــ (9) أو (٩)، وهو ثلاث ثلاثات[١] ويدل على تسع وحدات، والوحدة منه تسمى تسعا أو تسيعا، ويجمع على أتساع، ومنه يـــشتق التاسع والتساعي، وعنه يعدل لفظا (تـــُساع ومَـــتـــْسع) الممنوعين من الصرف، ويعنيان تسعة تسعة، وهذا العدد مخالف لمعدوده في التذكير والتأنيث، كمـــا أن معـــدوده مجرور بالإضافة، والمعطوف عليه يجر فيقال عندي تسعة رجال ونسوة، لأن العدد مكون من ثلاثة جموع.

العـــدد (عـــشرة): ويرمز إليه بـــ (10) أو (١٠). وهو لفظ مشتق من عشر ويدل على عشر وحدات، وكل وحدة يطلق عليها عشر، وهو من الأعداد المخالفـــة لمعـــدودها تذكيـــرا وتأنيثا إذا كان مفردا، ويخالف إذا كان مركبا مع الـــواحد إلى التسعة، ولا يشكل في هذه الحالة بنفسه عددا مفردا، وإنما يعد مع غيره عددا واحدا مبنيا معه على الفتح، إلا مع العدد (اثنان) الذي يعرب إعراب المثنـــى رفعـــا بالألف ونصبا وجرا بالياء، ويبقى لفظ عشر مبنيا على الفتح لا محل له من الإعراب، لأنه بمثابة النون كما أشرنا إلى ذلك آنفا.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ومن لفظ عشرة تشتق وحداته الجزئية، نحو: العُشـــْر الذي يجمع على عشور وأعشار ويقال للجزء عشير ويجمع عليها عشراء، وفي الحديث الشريف (تـــسعة أعشار الرزق في التجارة)، ويقال كذلك للجزء الواحد معشار، وقيل إن المعشار هو عشر العشر، أي: الواحد من العشر كما يقال إنه عشر العشير أي: أنه واحد من ألف، لأنه عشر عشر العشر.

والعشرة بأجزائها تشكل العقد الذي هو عشرة أجزاء، ومنها تتكون ألفاظ العقود وهي عشرون إلى (تسعون) والعشرة أولها.[٢]

---

(١) محيط المحيط للبستاني مادة عشر في باب العين ثم الشين ثم الراء.
(٢) محيط المحيط للبستاني.

والعــشرة قــد سميت عقدا لأنها تشكل جماعة الأجزاء التي تتم بسقف المجموعة العددية، كما يتم عقد البيت بضم حجارة سقفه بعضها إلى بعض.(١)

والعقــد هــو العــدد يكون على رأس تسعة أعداد قبله من نوع واحد، والعقود لدى النحاة هي التي تبدأ بعشرة وتنتهي بتسعين.(٢)

ولفظ عشرة مفتوح الشين دائما، وقد تكسر أو تسكن عندما تكون مركبة مــثل خمــس عــشْرة، وربما تكسر كما ورد في لغة تميم لطول الاسم وكثرة حركاته، إلا في اثني عشر فإن الشين لا تسكن إلا لسكون الألف والياء قبلها.

وهــذه المجمــوعة مــن الأعداد إذا لم يكن لها معدود وقصد بها العدد المطلق كانت كلها بالتاء، نحو: ثلاثةُ نصف ستةَ وثمانيةُ ضعفا أربعةَ وتكون في هذه الحالة ممنوعة من الصرف لأنها أعلام.(٣)

الأعداد المركبة: ومن ألفاظ العقد الأول تتكون الأعداد المركبة مع لفظ عــشرة، لــتكون بذلك المجموعة الثانية من مجموعات الأعداد، مثل أحد عشر وثلاثــة عــشر إلــى تسعة عشر، وتتميز هذه المجموعة بأنها مبنية على فتح الجــزأين فــي كل الحالات الإعرابية، ما عدا لفظ ١٢ الذي يعرب أوله إعراب المثنى كما ذكر آنفا.

ألفــاظ العقــود: ومــن مفــردات العقد الأول كذلك تتكون ألفاظ العقود المــضاعفة، وهي عشرون إلى تسعون، وهي في الأصل مبنية من (عشرة) بعد

---

(١) المرجع السابق
(٢) عباس حسن، النحو الوافي ج٤، ص٤٨٦.
(٣) الأشموني، علي بن محمد، شرح الأشموني، لألفية ابن مالك، ج٤، ص٦١.
ابن هشام الأنصاري – جمال الدين بن عبد الله، الجامع الصغير في النحو ت ٧٦١هــ، ١٣٦٠م، ص ٢٠٢.
الجامع الصغير في النحو لابن هشام، ص ٢٠٢.

تــضعيفها، وألفاظ العقود في حقيقتها ليست جموعا، وإنما هي أسماء جموع[1] لأنهــا تــدل علــى الجمع ولا مفرد لها مثل قوم ورهط ونساء، إذ إنها أسماء موضوعة لهذه الألفاظ، وليست جمعا لعشرة أو ثلاثة.

فالعــشرة هــي أول العقود كما ذكرنا، فإذا ثنيت أو كررت لمرة واحدة فهــي العــشرون، ولثلاث فهي الثلاثون، ولأربع فهي الأربعون، ولخمس فهي الخمــسون، ولــستٍ فهي الستون، ولسبع فهي السبعون، ولثمانٍ فهي الثمانون، ولتسع فهي التسعون.

فالعــشرون تعني عشرتين، ويلحق في إعرابه بجمع المذكر السالم، ولا يعــد جمع مذكر سالما لعدم وجود مفرد له، ويرفع بالواو وينصب ويجر بالياء، وقد يتساءل أحد عن السبب في اعتباره ملحقا بجمع المذكر السالم دون أن يثنى، فيقال: عشرتان موافقة للمعنى، وفي اعتقادنا أن لفظ العشرين يعني العشرتين من حيث دلالته على العقد أي أنه عقدان أو مجموعتان، لكنه باعتبار دلالته العددية فهو عشرون فردا أو جزءا، ولا نصيب له في التثنية في مثل هذا المعنى.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ولفــظ العــشرين من الألفاظ المحايدة التي لا تتأثر بمعدودها من حيث التذكيــر والتأنيث، كما أن معدوده دائما مفرد منصوب، ولا يأتي جمعا حتى لا يلتقي جمعان من غير فاصل بينهما.

ويعلــل الفــراء لــذلك بقوله: العدد وضع على نفسه لا على أنه صفة لــصاحبه، فقالوا: نلزم العشرين النون لأننا لم نقصد به قصد الرجال، ولا قصد النــساء، ولا مــا بين ذلك لما بعد: وكأن الاسم ليس له واحد منه يعرف فلما لم يكــن على بناء ذُهب به إلى مجهول العدد، تقول العرب: لقيت منه الأمرَّين فلم يحط بعدد، كما لم يعرف للعشرين ولا للتسعين واحد منه.[2]

---

(١) عباس حسن، النحو الوافي، ج٤، ص٤٧٢.

(٢) الأنباري، أبو بكر محمد بن القاسم، المذكر والمؤنث، تحقيق د. طارق الجنابي ج٢، ص٢٥٥.

الـــثلاثون هـــي العقـــد الثاني من ألفاظ العقود، ويعني ثلاث عشرات، ويتحقق فيه معنى الجمع من ناحيتين:

الأولى دلالته على الثلاث – وهي أول الجمع

والأخرى دلالة العشرات الثلاثة على مفهوم المعدود ذي الأفراد المتعددين.

وهـــذا العقـــد كسابقه ملحق بجمع المذكر السالم من حيث إعرابه بالواو رفعا وبالياء جرا ونصبا، واعتبر ملحقا لخلوه من مفرد له من لفظه.

وبالنسق نفسه يجري الكلام في أربعين وخمسين وستين وسبعين وثمانين وتـــسعين، إذ يـــصدق عليها كلها أنها مضاعفات العشرة، وأن إعرابها كإعراب المذكر السالم، وإذا عرفت بأل قيل فيها: العشرون والثلاثون والتسعون وأن لها تمييزا مفردا منصوبا كما ذكر آنفا في لفظ عشرين وما صحبه من تعليل للفراء.

وربمـــا تميّز هذه العقود على قلة بجمع يصدق على الواحد منها، وهذا خـــلاف المعهـــود المذكور، فيقال: عندي عشرون دراهم على معنى: عشرون شـــيئا، كـــل واحد منها دراهم[1] وحمل عليه قوله تعالى في العدد المركب ذي المتميـــز المفرد المنصوب: "**وقطعناهم اثنتي عشرة أسباطا**" على معنى (فرقة) أي: كل فرقة منهم أسباط.[2]

وهـــذه العقـــود لا تضاف إلى مميزها، ولكنها قد تضاف إلى أصحابها فيقال: هذه عشرو محمد بحذف النون من أجل الإضافة وهذه عشروك وستوك، على معنى هذه حصتك مما لك من العشرين أو الستين درهما.

وورد في قول الكميت ما يؤيد ذلك إذ قال:

---

(١) ابن الناظم بدر الدين محمد بن مالك – شرح الألفية منشورات ناصر خسرو بيروت ص٢٨٧.

(٢) ابن الناظم، بدر الدين محمد بن مالك، شرح الألفية: منشورات ناصر خسرو، بيروت، ص ٢٨٧

(وستوك قد كربت تكتمل)

أي: الستون السنة الخاصة بك من عمرك.(١)

المائـــة والألـــف وهمـــا الفئة الرابعة من العدد الأصلي، وتمثل عددين يجمعان بين شيء من خصائص المجموعات كلها، من جر للمعدود إلى إفراد له أو جمعـــه حينا آخر، إلى حيادية في التذكير والتأنيث كألفاظ العقود، ولهما بعد ذلك سمات خاصة يتميزان بها.

فالعـــدد (مائة) ويرمز إليه بـــ (100) أ و (١٠٠)، وهو عدد مؤنث(٢)، ويحـــتوي علـــى عـــشر عـــشرات، ويقال في لفظه (مِئيه)، وهو من الأسماء الموصـــوف بها، يقول سيبويه: مررت برجل مائةٍ إبـــلُه(٣)، ويجمع على مئات ومـــئون بكـــسر المـــيم وضمها، وأصل لفظ مائة مئي، والهاء عوض عن الياء المحذوفة.

وقد يشتق منه فعل، فيقال: أمأيت القوم أي كانوا تسعة وتسعين فجعلتهم مائة، ولهذا العدد تمييز مفرد مجرور بالإضافة حيث يقال: لدي مائة كتاب، وقد شـــذ تمييـــزه بمفرد منصوب كما جاء في قول الشاعر: إذا عاش الفتى مائتين عاما، وهذا أمر لا يقاس عليه.(٤)

وقد يضاف إلى الجمع كما جاء في قراءة حمزة لقوله تعالى: "**ثلاث مائة سنين**"، والتي تنسب كذلك إلى الكسائي، وقد خطأها المبرد، ولم يجوزها إلا في الـــشعر حـــيث قال: وهذا خطأ في الكلام غير جائز وإنما يجوز مثله في الشعر

---

(١) البغدادي، عبد القادر بن عمر، خزانة الأدب، ج٣، ص ٢٦٧.

(٢) الأنباري، المذكر والمؤنث ص ٢٤٠.

(٣) اللسان ابن منظور، باب الياء فصل الميم ص٢٦٨ ط ١٩٦٨ دار صادر بيروت.

(٤) ابن الناظم، بدر الدين محمد بن مالك، ص ٢٨٦.

للـــضرورة[١]، ومن النحاة من يقرها، فأبو حيان ينقل تجويز أبي علي لإضافة مائة إلى الجمع حيث قال: وقال أبو علي: هذه تضاف في المشهور إلى المفرد، وقد تضاف إلى الجمع.[٢]

والعدد (مائة) عدد حيادي مع معدوده بالنسبة للتذكير والتأنيث، إذ يذكر لفظه دون أن يتأثر بمعدوده فيقال: مائة رجل ومائة امرأة بلفظ واحد.

والأصل في لفظ مائة أن يكتب هكذا (مئة) بدون ألف – ولكن الألف قد اجـــتمعت فـــيها حتى لا تختلط اللفظة بكلمتي (منه) وفئة. وتسمى المائة هنيدة والمائتان هند إذ التصغير للصغير والتكبير للكبير.[٣]

الألـــف ويرمز إليه بـــ (1000) أو (١٠٠٠)، وهو عدد مذكر في لفظه[٤] وقد يؤنث على أنه جمع، ويجمع على ألف وآلاف، ويقال ألوف في جمع آلاف أي أنه: جمع الجمع، قال تعالى: "**وهم ألوف حذر الموت**"[٥].

وهـــذا العـــدد يحتوي على عشر مئات، ويعد في العربية مبلغ الأعداد ونهايتها. وعندما تراد مضاعفاته، يقال: ألف ألف، وهو ما يعرف عند المحدثين بالمليون.

ولهذا العدد تمييزه المفرد المجرور بالإضافة، حيث يقال: في القاعة ألف رجل، ويكون جمعا مجرورا إذا كان مجموعا نحو: في القرية ألوف الرجال.

---

(١) تعليق الأستاذ عبد الخالق عضيمة على المقتضب ج٢، ص ١٧١.

(٢) تحقيق عبد الخالق عضيمة للمقتضب ج٢، ص ١٧١، نقلا عن البحر ج٦، ص ١١٧.

(٣) ابن مكي الصقلي، تثقيف اللسان، ج٢، ص١٧١، القاهرة تحقيق د. عبد العزيز مطر، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة.

(٤) الأنباري، المذكر والمؤنث، ج٢، ص ٢٤٠.

(٥) سورة البقرة الآية ٢٤٣.

والألـــف عدد حيادي من حيث التذكير والتأنيث، فلا يتأثر بمعدوده من هذا الجانب، ويبقى على لفظه كالمائة.

وقد يوصف بالمؤلفة فيقال: ألف مؤلفة أو ألوف مؤلفة، أي: مكملة.(١)

المخالفة بين العدد والمعدود

قـــد لا يكـــون تكرارا أن نتحدث عن العدد المخالف للمعدود في التذكير والتأنـــيث، وبخاصة أننا قد ذكرنا ذلك عرضا في أثناء الحديث عن الأعداد من (٣-١٠)، فمـــثل هـــذه المخالفـــة ظاهرة بارزة في بناء العدد والحديث عنه، إذ يقتـــضي الـــسياق والمنطق أن يذكر العدد للمعدود المذكر، وأن يؤنث للمعدود المـــؤنث، وأمـــا أن يخـــتلفا فهذا أمر يستدعي الوقوف عنده لجلاء سره وبيان حكمته.

فللعـــدد كما ذكرنا أحكام كثيرة، لا تنحصر كما قلنا في الدلالة المقدارية الحسابية، وإنما تتعداها إلى التركيب والصياغة والإعراب، ومما لا شك فيه أن ظاهرة المخالفة كما أشرنا تبدو غريبة، ولولا أن الاستقراء اللغوي قد أثبت ذلك لكانت المطابقة هي الأولى.

ولهذا نرى التركيز عليها قليلا، لعلنا نجلو شيئا من الحقيقة المتعلقة بها، وقـــد يكون من المفيد قبل أن نخوض في فلسفة التعليل واستعراض ما ذكر في هـــذا الـــصدد أن نبرز هذه المخالفة من باب التذكير بها، ليسهل علينا بعد ذلك الربط بينها وبين ما قيل من أسبابها.

فـــإذا كـــان العددان واحد واثنان، وهما يشكلان الفئة المسالمة يطابقان المعدود السابق لهما، ومجموعة العقود وكذلك المئة والألف، وهي الفئة المحايدة

---

(١) انظر مختار الصحاح، الرازي، ط دار الكتب مادة ألف ص٢٢.

لا تتأثــر بالمعــدود تذكيرا وتأنيثا، فإن المجموعة العددية التي تبدأ من (٣-٩) وتنتظم بها العشرة مفردة وهي الفئة المعائدة تخالف معدودها فتذكر معه إن كان مؤنثا، وتؤنث معه إن كان مذكرا وذلك بالنظر إلى مفرد هذا المعدود كما يرى الجمهور أو إلى لفظ الجمع كما يرى البغداديون(١).

ولــسنا بحاجة إلى جدولة هذه الأعداد، فهي مشروحة بالتفصيل في كل مؤلفات النحو المرجعية والمنهجية.

ولكن ما سر هذه المخالفة ولماذا كانت ؟

تعليل المخالفة: لم تقع مخالفة العدد للمعدود كما ذكرنا آنفا إلا في نطاق هــذه المجموعة، وهي مخالفة واجبة في مختلف استعمالاته، سواء أكانت مفردة أم مــركبة أم معطوفا عليها، وقد عللت هذه المخالفة بأقوال عديدة منها: أن هذه الأعــداد مؤنثة الأصل، مثل: زمرة وفرقة وطائفة، فرئي أن يستصحب الأصل المذكــر لــسبقه، وأن يكــون التذكير مع المؤنث لكونه لاحقا للمذكر ومتأخرا عنه(٢)، وذكر الأردبيلي في شرحه للأنموذج، معللا لذلك أن هذه الأعداد بمعنى (جماعــة)، فهــي فــي المعنى مؤنث، فينبغي أن تزاد علامة التأنيث في لفظها لــتطابق المعنــى، والمذكــر لكونه أصلا وهوأولى برعاية هذه المطابقة، وإذا روعيت فيه ففي المؤنث لا يمكن وإلا لم يبق فرق بينهما.(٣)

وقــيل إن مــن حــق هذه الأعداد أن تستعمل بالتاء مطلقا لأن مسماها جموع، والجموع غالبٌ عليها التأنيث، ولكن أرادوا التفريق بين المذكر والمؤنث

---

(١) الأشموني ج٤، ص٦١ ط الحلبي.

(٢) الصبان، حاشية الصبان على شرح الأشموني، ج٤، ص٦١ الحلبي.

(٣) شــرح الأردبيلــي للأنموذج في النحو للمزمخشري تحقيق د. حسني عبد الجليل يوسف، مكتبة الآداب، القاهرة.

فجـــاءوا بعدد المذكر بالتاء على القياس لكونه أصلا، وبعدد المؤنث بغير التاء للتفريق.(١)

وقـــال الفراء: تثبت الهاء في عدد المذكر، ولا تدخل في عدد المؤنث، لأن العدد مبني على الجمع، فلما كانوا يثبتون الهاء في جمع المذكر فيقولون في جمع صبي صبية وفي جمع غلام غلمة وفي جمع رغيف أرغفة، وفي قرد قردة وحجر حجارة أثبتوها في عدده، لأن العدد مبني على الجمع.

ولمـــا كانـــوا لا يدخلـــونها في جمع المؤنث، فيقولون في جمع رُكـــبْة رُكَـــب، وقِرْدة قِرَد وغرفة غُرف لم يدخلوها كذلك في عدد المؤنث، لأن العدد أيضا مبني على الجمع.(٢)

ويقـــول أبـــو حـــاتم السجستاني: إنما أدخلوا الهاء في عدد المذكر، ولم يدخلـــوها في عدد المؤنث، لأن المؤنث أثقل من المذكر، وأكثر المؤنث فيه هاء التأنيث، فجعلوا جمع المؤنث بلا هاء، ليكون أخف له، لأن الهاء لزمت الواحدة ولذلك ثقل فكرهوا أن يمكنوا ذلك الثقل حتى لا ينتقل من الواحدة إلى الجماعة، ففـــروا من ذلك فحذفوا الهاء في الجمع ليعتدل الجمع، فيكون ثـــقيلٌ مع خفيف، وأما المذكر فخفف فأدخلوا الهاء في جمعه، فقالوا ثلاثة ليكون ثـــقيلٌ مع خفيف فيعـــتدل، وكـــرهوا أن يجمـــع بين الثقيلين، فجعلوا ثقيلا مع خفيف وخفيفا مع ثقيل.(٣)

وقـــيل فـــي هـــذا الصدد أكثر مما ذكرنا مما دار في معظمه حول خفة التذكير وثقل التأنيث وجريان كل من المؤنث والمذكر على أصله.

---

(١) ابن الناظم، بدر الدين بن محمد، شرح ألفية ابن مالك، ص ٢٨٤.

(٢) الأنباري، محمد بن القاسم، المذكر والمؤنث، ج٢، ص ٢٣٢.

(٣) المصدر السابق ص ٢٣٤.

وفـــي اعتقادنا أن الآراء التي ذكرت هي ضرب من التعسف والتحليل الفلسفي الذي لا فائدة منه دائما، وإنما هو ضرب من الترف الفكري، لا نملك إلا تقديـــره وليس قبوله بالضرورة – وما نرجحه في هذا الصدد هو أن الاستقراء وتتبع الجزئيات لإدراك الكليات وإحقاق حقائقها هو الذي أفضى بنا إلى استخدام العـــدد كمـــا ورد، وحسبنا أن نجد ذلك في النصوص المعتمدة وبخاصة القرآن الكـــريم كما في قوله تعالى: "**ســـخرها عليهم سبع ليال وثمانية أيام حسوما**"(١) وليس بيقين أن يكون ثقل المركب الإضافي المكون من جمعين سببا في تخفيفه باختلاف المتضايفين تذكيرا وتأنيثا درءا له من ثقل ثالث.

ومـــع هذا نعود ونقول إن الاستقراء وواقع اللغة هما اللذان يقران هذه الظاهرة، دون الوغول في تعليلها وتفسيرها، ولولاهما لما وجد في نظرنا مانع من جريان الأمر على طبيعته فيتوافق المذكر مع المذكر والمؤنث مع المؤنث.

يقـــوي ذلك إمكان الأمرين (المطابقة وعدمها) في حالة تقديم المعدود علـــى العـــدد فـــي مـــثل: قرأت الكتب الثلاث أو الثلاثة، علما بأن المركب الوصـــفي لا يقـــل ثقلا عن المركب الإضافي. ويعززه كذلك قوله تعالى في كـــتابه العزيـــز "**من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها**"(٢)، حيث ذكر العدد مع كـــون المعـــدود جمعا مذكرا، ولم يكن في ذلك أي ثقل في اللفظ، ولا نذهب بعـــيدا بالاغترار في ما ذهب إليه النحاة من التأكيد على أن الآية جارية على أصـــلها، وأن العدد مع معدوده المؤنث حيث قالوا: الأمثال جمع مثل والمثل مذكـــر، أي أنـــه جمع لمذكر وصف لمحذوف مؤنث، يكون معه تقدير الآية هكذا "من جاء بالحسنة فله عشر حسنات أمثالها".(٣)

---

(١) الحاقة الآية ٧.

(٢) الأنعام الآية ١٦٠.

(٣) الأنباري محمد بن القاسم، المذكر والمؤنث، ج٢، ص ٢٣٨.

ولا ندري لم هذا التخريج، والاستخدام واضح ولا يحتاج إلى تحميله ما لا ضرورة لتحميله إياه، وحسبنا أن نقول إن المخالفة استقرائية يقتضيها النسق التعبيري الذي تهدف إليه لغتنا في مختلف أحكامها، كالحذف والتعويض والقلب والتخفيف، وإن ما ورد مما يخالف ذلك يحمل على الجواز والقلة وحسب.

العدد الترتيبي:

ســـبق أن ذكرنا أن العدد ينقسم إلى، أصلي وقد ذكرناه وترتيبي وهو ما سنتحدث عنه:

فإذا كان العدد الأصلي هو العدد الدال على الكميات، فالترتيبي هو العدد الذي يدل على ترتيب الأشياء والمفردات وبيان مواقعها وأوصافها.

وهـــذا يعنـــي أن العدد الدال على الترتيب هو عدد وصفي أي أنه نعت لغيـــره موجـــودا هـــذا الموصوف أم مقدرا، لذلك كان حكمه الإعرابي المتابعة لموصوفه طالما أنه في موقع النعت، فنقول: أكرمت الطالب الأول أو الثاني أو الثالث في صفه، ونقول كذلك هذا السؤال الثاني عشر والتاسع عشر، وهذه هي المرة العشرون أو التسعون أو المائة أو الألف.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ويطابـــق العدد الترتيبي معدوده في التذكير والتأنيث والتعريف والتنكير والإفراد والتثنية والجمع وفي وجوه الإعراب، شأنه في ذلك شأن الوصف الذي يطابـــق موصوفه في أربعة من الوجوه العشرة التي ذكرها النحاة في مصنفاتهم وشروحهم.

ومعظم مفردات العدد الترتيبي مصوغ على وزن فاعل ويتعين ذلك في مجمـــوعة الواحد إلى العشرة و في الجزء الأول من العدد المركب والمعطوف عليه في العقود، وأما العقود ذاتها ولفظا المائة والألف فيصاغ منها الترتيب على ألفاظها بقرينة المقام.

فالعـــدد المفرد وهو من (١-١٠) يعبر عن الترتيب منه بلفظ الأول عن الواحد. ولا يقال واحد وواحدة وحادي وحادية إلا في حالتي العطف والتركيب، فيقال الواحد والعشرون، والواحدة والعشرون أو الحادية عشرة أو الحادي عشر وفـــي غيرها يقال: الثاني والثالث والرابع والخامس والسادس والسابع والثامن والتاسع والعاشر.

وفـــي المركب بعامة: يقال حادي عشر وثاني عشر وثالث عشر ورابع عـــشر وخامس عشر وسادس عشر وسابع عشر وثامن عشر وتاسع عشر مع المذكـــر وبالتاء في الجزأين مع المؤنث بحسب الموصوف وتكون هذه الأعداد الوصفية مبنية على فتح الجزأين كما في العدد الكمي.

وفـــي المعطـــوف، يقـــال: الحادي والعشرون إلى (التاسع والتسعون) فالمعطوف عليه يطابق معدوده في كل ما للصفة، في حين أن العقد المعطوف لا يتأثـــر بالتذكير ولا بالتأنيث كشأنه وهو عدد أصلي وأما العقود من لفظ عشرين إلـــى تسعين، وكذلك المائة والألف، فهي ألفاظ عددية تدل على الترتيب بقرينة التعـــريف اللفظـــية أو الحالـــية فـــيقال: وصلت في قراءة الكتاب إلى الصفحة الأربعين أو الصفحة المائة أو الصفحة الألف.(١)

وللعدد الترتيبي ثلاث دلالات:

الأولـــى: دلالـــة الوصـــف المطلـــق، نحو رابع وعاشر وتاسع عشر والعشرون والألف.

والثانـــية: الدلالة على أن الموصوف واحد من مجموعة لا تتعدى العدد المشتق منه كأن يقال: هذا ثالث ثلاثة أو خامس خمسة أي أنه أحد الخمسة دون الإشـــارة إلـــى مـــوقعه بينهم ويلاحظ أن صياغته تجمع بين النوعين الترتيبي والأصلي. ومثاله قوله تعالى: "**ثاني اثنين إذ هما في الغار**"(٢)

---

(١) الشرتوني، رشيد، ص ١٤٥.

(٢) التوبة الآية ٤٠.

الثالثة: الدلالة على التأثير في العدد الأصلي بجعله زائدا عليه بأن يكون مضافا إليه أو عاملا فيه النصب على معنى "جاعل" كأن يقال: هذا رابع ثلاثة، أي جاعــل الثلاثة أربعة أو عاشر تسعة أي أنه جاعل التسعة عشرة، ويتم ذلك كمــا قلــنا بإضــافة الأول للثانـــي بتنوين الأول ثم نصب الثاني. وإلى هذين الاستعمالين يشير ابن مالك في ألفيته بقوله:

وإن ترد بعض الذي منه بنى تضف إليه مثل بعضٍ بيِّن
وإن ترد جعل الأقل مثل ما فوق فحكم جاعل أحكما

وبالعــددين الأصلي والترتيبي ورد قوله تعالى: "**سيقولون ثلاثة رابعهم كلــبهم ويقولــون خمسة سادسهم كلبهم رجما بالغيب ويقولون سبعة وثامنهم كلبهم قل ربي أعلم بعدتهم ما يعلمهم إلا قليل فلا تمار فيهم إلا مراء ظاهرا ولا تستفت فيهم منهم أحدا**".(١)

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

العدد الصريح والكنائي

وينقسم العدد من حيث الدلالة المباشرة وغير المباشرة إلى عدد صريح وعدد كنائي.

فأما الصريح، فهو العدد الذي يدل على المعدود مباشرة برمزه نحو (٣) أو بلفظه نحو ثلاثة.

وأمــا العدد الكنائي، فهو اللفظ الذي يدل على العدد دلالة غير صريحة ولا محدودة.

ولــه ألفــاظ خاصــة يؤدى بها وتختلف في ما بينها من حيث الدلالة، وينحصر هذا العدد الكنائي في المعنوية والمقدارية في بعض الأحيان، وينحصر

---

(١) الكهف الآية ٢٢.

هــذا العــدد في كم الاستفهامية والخبرية وكأين وكذا كذا وألفاظ البضع والنيف والــضعف وفي رأينا أن الجموع أيضا بكل أنواعها كنايات عددية وفي حسبنا تعدادها لا تفصيلها.

العــدد ولغة التاريخ: التاريخ هو تقييد الحوادث والأمور الجارية بزمن معين مشهور بحيث ترتبط به وتنسب إليه، سواء أكانت قد وقعت وتحققت فيه أم وقعت في زمن آخر.(١)

وقــد جرت عادة المؤرخين المحدثين أن يؤرخوا للوقائع بالعدد الأصلي أو الترتيبــي، كــأن يقــال مــثلا: جــلا الإنجليز عن أرض فلسطين في يوم ١٩٤٨/٥/١٥ أو يقــال: فــي اليوم الخامس عشر من أيار عام ألف وتسعمائة وثمانية وأربعين.

في حين أن المؤرخين القدامى قد جرت عادتهم على التأريخ بالليالي من الشهر القمري لسبقها على النهار(٢) وذلك من خلال تعبيرات سليمة اللغة مراعى فــيها قــواعد التذكير والتأنيث وقواعد إلحاق الضمائر بالفعلين (خلا) أو مضى للتعبير به عما انقضى و (بقي) للتعبير به عن الأيام التي بقيت من الشهر.

فالشهر الهجري تسعة وعشرون يوما أو ثلاثون، توزع الأحداث المراد تأريخهــا علــى أيامه، فعلى افتراض أن الشهر الذي يراد التأريخ فيه هو شهر رمضان، فإن الأحداث الواقعة فيه تصاغ تواريخها بالأشكال الآتية:

---

(١) عباس حسن، النحو الوافي، ج٤، ص ٥٢٤-٥٢٥.

(٢) الأشموني، شرح ألفية ابن مالك، ج٤، ص ٦٣٢.

الحدث	الليلة	التأريخ	(١٥) رمضان	الحدث	الليلة	التأريخ
* * *	الأولى	لمهل شهر رمضان أو مستهله أو لأول ليلة منه – أو لغرته – وقع كذا وكذا	النصف من رمضان أو لمنتصف رمضان، وقد يقال لخمس عشرة ليلة خلت أو لخمس عشرة ليلة بقيت أو بقين من رمضان	* * *	السادسة عشرة	لأربع عشرة ليلة بقيت أو بقين من رمضان
* * *	الثانية	ليلتين خلتا من رمضان		* * *	السابعة عشرة	لثلاث عشرة ليلة بقيت أو بقين من رمضان
* * *	الثالثة	لثلاث ليال خلون أو خلت من رمضان		* * *	الثامنة عشرة	لاثنتي عشرة ليلة بقيت أو بقين من رمضان

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

* * *	الرابعة	لأربع ليال خلون أو خلت من رمضان		* * *	التاسعة عشرة	لأحد عشرة ليلة بقيت أو بقين من رمضان
* * *	الخامسة	لخمس ليال خلون أو خلت من رمضان		* * *	العشرون	لعشر ليال بقين أو بقيت من رمضان
* * *	السادسة	لست ليال خلون أو خلت من رمضان		* * *	الحادية والعشرون	لتسع ليال بقين أو بقيت من رمضان
* * *	السابعة	لسبع ليال خلون أو خلت من رمضان		* * *	الثانية والعشرون	لثماني ليال بقين أو بقيت من رمضان
* * *	الثامنة	لثماني ليال خلون أو خلت من رمضان		* * *	الثالثة والعشرون	لسبع ليال بقين أو بقيت من رمضان

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

* * *	التاسعة	لتسع ليال خلون أو خلت من رمضان		* * *	الرابعة والعشرون	لست ليال بقين أو بقيت من رمضان
* * *	العاشرة	لعشر ليال خلون أو خلت من رمضان		* * *	الخامسة والعشرون	لخمس ليال بقين أو بقيت من رمضان
* * *	الحادية عشرة	لإحدى عشرة ليلة خلت من رمضان		* * *	السادسة والعشرون	لأربع ليال بقين أو بقيت من رمضان
* * *	الثانية عشرة	لاثنتي عشرة ليلة خلت من رمضان		* * *	السابعة والعشرون	لثلاث ليال بقين أو بقيت من رمضان
* * *	الثالثة عشرة	لثلاث عشرة ليلة خلت من رمضان		* * *	الثامنة والعشرون	لليلتين بقيتا من رمضان

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

* * *	الرابعة عشرة	لأربع عشرة ليلة خلت أو خلون من رمضان		* * *	التاسعة والعشرون	لليلة بقيت من رمضان
				* * *	الثلاثون	لسرر رمضان أو لسرارة أو لآخر ليلة منه أو لسلخه أو لانسلاخه

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ومن أمثلة هذا الاستخدام الميدانية، ما جاء في البداية والنهاية عن غزوة هــوازن حــيث قال ابن كثير: وقد ذكر محمد بن إسحاق بن يسار في كتابه أن خروج الرسول – صلى الله عليه وسلم – إلى هوازن بعد الفتح في خامس شوال ســنة ثمان، وزعم أن الفتح كان لعشر بقين من شهر رمضان قبل خروجه إليهم بخمس عشرة ليلة.

ويواصــل فيقول: وقال الواقدي: خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى هوازن لست خلون من شوال فانتهى إلى حنين في عاشره.(١)

وفي الطبري(٢) ذِكْرٌ لبعض الأحداث التي وقعت في عام سبعة وثمانين بعــد المائتين حيث قال: ولأربع ليالٍ بقين من صفر دخل المعتضد من متنزهه إلــى بغــداد، وفي يوم الأربعاء لثلاثَ عشرةَ خلت منه ولى جعفر بن محمد بن حنفي هذا، ولليلةٍ بقيت من جمادى الأولى من هذه السنة ورد الخبرعن السلطان أن كــذا وكذا، وفي يوم الأحد لعشرٍ خلون من شهر ربيع الآخر قعد بدر مولى المعتــضد في داره، وفي يوم الاثنين لإحدى عشرة خلت من شهر ربيع الآخر مات محمد بن عبد الحميد الكاتب.(٣)

والسيوطي في مقدمة المزهر يقول عن نفسه: وكان مولدي بعد المغرب مستهل رجب سنة تسع وأربعين.

وهكذا ومن خلال الجدول السابق والأمثلة التي أوردناها نلاحظ الصياغة اللغوية الصحيحة في التعبير عن التواريخ من خلال ما يلي:

---

(١) ابن كثير، أبو الفداء الحافظ، البداية والنهاية، ج٤.

(٢) الطبري، ج١٠، ص ٥٧٥، تحقيق محمد أبو الفضل، دار المعارف بمصر.

(٣) تاريخ الطبري، ج١، ص ٧٥-٧٦.

أولا : اســـتخدام الفعل خلا للأيام الماضية من الشهر حتى منتصفه، وقد يـــستعمل الفعل مضى بدلا منه كما استخدم الفعل بقي للأيام التالية لليوم الخامس عشر حتى آخره.

ثانيا : غلـــبة اســـتخدام تاء التأنيث مع الأعداد التي تميز بمفرد وهي من (١١-١٩) لمراعاة الأصل واستخدام نون النسوة مع الأعداد التي تميز بجمع وهي من (٣-١٠) ولمراعاة الأصل كذلك مع جواز أن تخلف النون التاء وبالعكس.(١)

ثالثا: : تمييز الليلة الخامسة عشرة وكذلك الأخيرة بأوصاف تميزهما عن بقية الليالي.

رابعا : من الممكن إضافة العدد إلى تمييزه ليلة أو ليال أو تقديره كما في العـــدد ذاته الذي يجوز فيه أن يذكر معدوده أو يقدر كما في قول الرســـول عليه الصلاة والسلام: من صام رمضان إيمانا واحتسابا وأتبعهن ستا من شوال فقد دخل الجنة (بحذف معدود الستة).

خامسا : الـــلام الجارة لكلمة ليلة بمعنى عند أو في بتقدير مضاف أي عند استقبال أو في استقبال(٢).

ومما يجدر التأكيد على ملاحظته هنا أن التأريخ بالليالي لسبقها كما قلنا، ولكن هل يجوز اتباع النهج نفسه في تأريخ الأحداث بالأيام كما التأريخ بالليالي

---

(١) الأشموني، شرح الأشموني للألفية، ج٤، ص ٧٩ + عباس حسن، النحو الوافي، ج٤، ص ٥٢٥

(٢) الصبان، الحاشية، ج٤، ص ٨٧.

بالليالي ؟ إجابة عن ذلك، نقول: إن ذلك لم يرد في الحقيقة ولم ينتهج هذا النهج أحـــد فـــي مـــا نعلم. ومع هذا فإننا نعتقد جوازه من باب القياس والمحاكاة مع مراعاة التعبيرات نفسها واستخدامها في إطار ما تقتضيه قواعد التذكير والتأنيث وإلحاق الضمير.

فـــلا مانـــع فـــي ما نرى أن يقال مثلا: لأربعة أيام خلون أو خلت من أكتوبـــر حـــدث كذا وكذا أو لثلاثة عشر يوما بقين أو بقيت من أكتوبر وقع كذا وكذا.

العدد وحساب الجُمل

ويقـــتحم العـــدد الحـــسابي فنون اللغة وأساليبها فنجده يترجم الحروف الأبجديـــة إلـــى مقادير أسموها حساب الجُمَّل، وأحرف الجمّل هي مجموعة من الحـــروف تـــشكل بألفاظهـــا هـــذا الحساب.[1] وعنه يقول ابن دريد ولا أحسبه عـــربيا[2] وحـــساب الجمـــل هو حساب الأحرف الهجائية الذي يقال له حساب الأبجدية المجموعة في إبجد، هوز حطي، كلمن، سعفص، قرشت، ثخذ، ضظغ، وعليه تبنى التواريخ الشعرية.[3] إذ إن لكل حرف حسابه الذي يغطى به بالشكل التالي:

---

(١) السيوطي، المزهر، ج٢، ص ٣٤٨.

(٢) الوافي (معجم وسيط اللغة العربية الشيخ عبد الله البستاني)

(٣) المنجد في اللغة والأعلام ط٢٢ مادة جمل ص١٠٢.

الألف	تعادل	١	الياء	تعادل	١٠	القاف	تعادل ١٠٠
الباء	تعادل	٢	الكاف	تعادل	٢٠	الراء	تعادل ٢٠٠
الجيم	تعادل	٣	اللام	تعادل	٣٠	الشين	تعادل ٣٠٠
الدال	تعادل	٤	الميم	تعادل	٤٠	التاء	تعادل ٤٠٠
الهاء	تعادل	٥	النون	تعادل	٥٠	الثاء	تعادل ٥٠٠
الواو	تعادل	٦	السين	تعادل	٦٠	الخاء	تعادل ٦٠٠
الزاي	تعادل	٧	العين	تعادل	٧٠	الذال	تعادل ٧٠٠
الحاء	تعادل	٨	الفاء	تعادل	٨٠	الضاد	تعادل ٨٠٠
الطاء	تعادل	٩	الصاد	تعادل	٩٠	الظاء	تعادل ٩٠٠
						الغين	تعادل ١٠٠٠

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ومـــن هذه الحروف ومقاديرها نشأ التاريخ الشعري، وهو لون بديعي نشأ في أواخر العصر المملوكي.[١] وهو أن يضع الشاعر في آخر أبياته وبعد كلمة أرخ أو مشتقاتها كلمات إذا حسبت حروفها بحساب الجمل اجتمع فيها تاريخ المناسبة التي يغطيها، سواء أكانت مناسبة وفاة أو ولادة أو حج أو إنجاز أو زواج.

ومنه قول شاعر يؤرخ لطبع المخصص لابن سيده في عام ١٣٢١ هـــ: إذ قال:

---

(١) المعجم المفصل في اللغة والأدب، د. إميل يعقوب وميشيل العاصي، المجلد الأول.

أقول لما انتهى طبعا أؤرخه	جاء	المخصص	يروي	أحسن	الكلم
٤	٨٥١	٢٢٦	١١٩		١٢١

ومجموع هذه الأرقام هو سنة الطباعة وهي: ١٣٢١ هـ.

وفي نموذج لشاعر آخر في تهنئة ولده بمولود له رزقه الله به في شهر ذي الحجة من عام ١٣٤٠ هـ حيث قال:

صُهَيبٌ جاء في شهر عظيم				به	حج	إلى	البيت	الحرام	
فقلت إلى أبيه اليوم اهنأ				وأبشر	بالغلام	على	الدوام		
صحابيٌ جليلٌ كان يدعى			بهذا	الاسم	ما	بين	الأنام		
وجاء إليه تاريخي	بصدق	صهيب	جاءنا	في	خير	عام			
	١٩٦	١٠٧	٢٦	٩٠	٨١٠	١١١			

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

العدد وطرائف اللغة

ليس العدد في كل لغات الأرض ببعيد عن مجال الألغاز والتحجية واختبارات الذكاء واكتناه ما وراء الأعداد من مدلولات ونتائج وإشارات.

وهو في اللغة العربية كذلك، مادة لاختبار الذكاء ووسيلة للتعرف إلى مستويات الإدراك ومقاديرها ودرجاتها.

ويزيد على ذلك أن العدد في لغتنا متوافر في الأحاجي العربية والموضوعات اللغوية بدرجة تدل على موقعه البارز في الدراسة اللغوية سواء من حيث صياغته أو تركيبه أو إعرابه أو أصول مفرداته.

فقـــد وجدنا العدد الحسابي في موضوع دخول (ما) على إن وأخواتها، وذلـــك فـــي صدد الحديث عن (ليت) التي تعمل أو تهمل دون أخواتها في حالة اقترانها بما. ويستشهد النحاة على ذلك بشاهد نحوي هو في الوقت نفسه أحجية رياضـــية وذلك في قول النابغة على لسان امرأة تدعى زرقاء اليمامة، يقال أنها نظـــرت إلى السماء، ورأت سربا من الحمام استطاعت بذكائها وحدة نظرها أن تعرف عدده بمجرد أن رأته وعن ذلك تقول الرواية إنها:[1]

قالت ألا ليتما هذا الحمام لنا إلى حمامتنا أو نصفه قَدِيَهْ

وفي رواية أخرى أنها قالت[2]:

ليت الحمام ليه * إلى حمامتيه * أو نصفه قَدِيَهْ * تم الحمام مِيَة

وهي بذلك تريد أن تقول: ليت العدد الذي أراه من الحمام في السماء مع الحمامة التي لدي مضافا إلى نصفه يكون المجموع مائة، أي أن العدد المقصود هو ست وستون.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

فالمـــسألة كما تبدو رياضية أشير لها في شاهد نحوي وهو جواز نصب الحمام بإعمال ليت وجواز رفعه بإهمالها.

وفـــي قول سيدنا عمر بن الخطاب في شأن قوله تعالى: "**إن مع العسر يـــسرا إن مع العسر يسرا**" لن يغلب عسر يسرين، وقد ذكر النحاة أن النكرة إذا أعـــيدت نكـــرة أي كررت مرة ثانية كانت الثانية غير الأولى وأن المعرفة إذا ذكرت مرتين كانت الثانية عين الأولى.

---

(١) الأشموني، شرح الأشموني، ج١، ص ٢٨٤.

(٢) حاشية الصبان، علي الأشموني، ج١، ص ٢٨٤.

فاليسر في الآية الكريمة قد ذكر مرتين فالأول فيهما غير الثاني في حين أن العـــسر وهو معرفة قد ذكر مرتين فالعسر الثاني هو عين الأول فهو عسر واحد – وعليه فاليسر يسران والعسر عسر واحد ومثل ذلك أن نقول:

اشتريت سيارة وبعت سيارة فالثانية غير الأولى.

وإذا قلت اشتريت السيارة وبعت السيارة فالسيارة الثانية هي عين الأولى.

ومن طرائف العدد كذلك ما ورد في قول أبي نواس متحدثا عن مجلس لهو في قصيدة له، حيث قال[1]:

ودارِ ندامـــى عطلـــوها وأدلجـــوا بهـــا أثـــرٌ مـــنهم جديـــدٌ ودارس
أقمـــنا بهـــا يـــوماً ويومـــين بعده ويـــوما لـــه يـــومَ الترحل خامس

فقـــد اختلف في عدد الأيام المقامة إن كانت خمسة أو ثمانية، فمن قائل إنها خمسة ومن قائل إنها ثمانية وهو الصحيح لأن الشطر الأول ينبئ عن ثلاثة أيام كاملة والشطر الثاني ينبئ عن خمسة أخرى تبدأ باليوم الذي ذكر في الشطر الثانـــي وكان له خامس، أي أنه يتحدث عن خمسة أيام يكون اليوم الذي تصدر فـــيه الشطر الثاني أحدها وليس رابعا ختم بالخامس، فعلى ذلك يكون المجموع ثمانية أيام.

<u>ويقـــول اللغويون</u>: دخل رمضان في الواوات، يكنون بذلك عن انقضاء الثلثين ودخول الشهر في الثلث الأخير الذي يبدأ من (٢١-٢٩) حيث يقال واحد وعشرون وخمس وعشرون وتسع وعشرون بعطف العقد على العدد بالواو، ولا يخفى ما في هذه الكناية اللغوية من لطف ظاهر في توظيف اللغة في التكنية عن العدد.

---

(١) الحصري، زهر الآداب، ج٣، ص ١٧٥.

ومـــن طرائف العدد أيضاً حديث النحاة عن واو يسمونها واو الثمانية[١] وهـــي التي تسبق العدد ثمانية عند العد حيث يقال واحد اثنان ثلاثة أربعة خمسة ستة سبعة وثمانية، بإدخال الواو على ثمانية دون غيرها لأن السبعة عندهم عدد كامل والعدد بعدها مستأنف.[٢]

ومـــن ذلـــك قوله تعالى في سورة الكهف[٣]: "**ويقولون سبعة وثامنهم كلـــبهم**"، حيث أتت الواو بعد السبعة، وفي قوله كذلك: "**وسيق الذين اتقوا ربهم إلى الجنة زمرا حتى إذا جاءوها وفتحت أبوابها**"[٤] حيث ذكرت الواو في قوله (وفـــتحت) لأن أبـــواب الجنة ثمانية، في حين أن الواو لم تذكر في الحديث عن أبواب جهنم لكونها سبعة، حيث قال تعالى: "**حتى إذا جاءوها فتحت أبوابها**"[٥].

وجـــاءت الـــواو في قوله تعالى: "**والناهون عن المنكر**" سابقة للوصف الثامن، وعن واو الثمانية هذه، يقول ابن هشام: ذكرها من النحاة الحريري، ومن النحويين الضعفاء ابن خالويه.[٦] في حين أن العاملي يقول عنها على لسان أبي علـــي المالقـــي: أنها لغة فصيحة لبعض العرب، ويعقب بقوله: واللغة الفصيحة التي أشار إليها هي لغة قريش.[٧]

من كل ما قدمناه وذكرناه عن العدد نخلص إلى أن:

---

(١) ابن هشام، المغنى، ج٢، ص ٣٥.

(٢) العاملي، بهاء الدين، المتوفى سنة ١٠٣١ هـــ، المخلاة ص ٣٥٤ + ابن هشام، المغنى، ج٢، ص ٣٥.

(٣) الكهف آية ٢٢.

(٤) الزمر الآية ٧٣.

(٥) سورة الزمر الآية ٧١.

(٦) ابن هشام، المغنى، ج٢، ص ٣٥.

(٧) العاملي، المخلافة، ص ٣٥٤.

- العدد هو اللفظ الدال على المقدار سواء أكان ملفوظاً أم مكتوبا في حين الـــرقم هـــو العدد المكتوب وليس الملفوظ، وهذا يعني أن كل رقم عدد وليس كل عدد رقماً.

- المخالفـــة فـــي التذكير والتأنيث بين الأعداد (٣-٩) ومعدوداتها ظاهرة استقرائية ونظام لغوي ينطلق من مفهوم التخفيف والتناسق وكل ما قيل عدا ذلك تعليلات جدلية لا ترقى إلى الحقيقة.

- الجمـــوع وأســـماء الجمـــوع ولفظ ضعف كنايات عددية يجب أن تذكر ضمن كنايات العدد لأنها لا تدل على المقادير صراحة.

- العـــدد اللغـــوي لا ينـــسلخ عن مفهومه الحسابي وبذلك يدخل كتركيب وتعبير في الألغاز وامتحان الذاكرات الحسابية كما يدخل في التعبير عن الأحـــداث والـــتأريخ لهـــا بسمت تعبيري خاص تعامل معه المؤرخون القدامـــى فـــي مـــراجعهم التاريخـــية التـــي تـــؤرخ للحروب والوقائع والمناسبات.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

- العدد قد حظي في اللغة العربية من البحث والتقنين والتأصيل ما لم يحظ بـــه في أي لغة أخرى ولهذا نجده دائماً من موضوعات النحو ومفرداته ودروسه.

وبعـــد: فهـــذا هـــو العدد الحسابي في وجوهه اللغوية اشتقاقاً وصياغة وتـــركيباً وإعـــراباً واستخداماً. نأمل أن نكون قد عرضناه للقراء بطريقة سلسة طريفة يتقرب بها إلى الأذهان والألسنة والأقلام.

المراجع

١- القرآن الكريم.

٢- أساس البلاغة – الزمخشري.

٣- البداية والنهاية لابن الأثير.

٤- تثقيف اللسان لابن مكي الصقلي.

٥- الجامع الصغير لابن هشام.

٦- حاشية الصبان – علي الأشموني ط الحلبي.

٧- حاشية الجمل.

٨- محيط المحيط (معجم) البستاني.

٩- مختار الصحاح (معجم) الرازي.

١٠- الخصائص – ابن جني – دار الهدى للطباعة.

١١- خزانة الأدب – البغدادي.

١٢- المذكر والمؤنث – أبو بكر الأنباري.

١٣- المزهر للسيوطي.

١٤- زهر الآداب للحصري.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

١٥- شرح الألفية لابن الناظم.

١٦- شرح الأردبيلي للأنموذج – مكتبة الآداب – القاهرة.

١٧- شرح الأشموني – ط البابي الحلبي – مصر.

١٨- شرح المفصل لابن يعيش.

١٩- شرح عمدة الحافظ لابن مالك.

٢٠- تصريف الأسماء – الطنطاوي.

٢١- صناعة الكتابة وفن التعبير د. طلال علامة.

٢٢- الطبري – تاريخ – دار المعرفة بمصر.

٢٣- المعجم الأساسي.

٢٤- المعجم الوسيط.

٢٥- تعليق الأستاذ عبد الخالق عضيمة علي المقتضب.

٢٦- معجم الأدوات النحوية / عبد الغني الدقر.

٢٧- التعريفات للجرجاني.

٢٨- المعجم المفصل.

٢٩- مغني اللبيب لابن هشام.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

٣٠- المخلاة للعاملي – دار المعرفة بيروت.

٣١- تفسير الجلالين – السيوطي والمحلي.

٣٢- تفسير القرآن الكريم – مختصر القاسمي – دار النفائس.

٣٣- المفصل في علم العربية للزمخشري.

٣٤- الفصول الخمسون لابن معطى.

٣٥- أقرب الموارد في فصيح العربية والشوارد – سعيد الشرتوني.

٣٦- الكليات – الكفوي.

٣٧- اللسان (معجم) ابن منظور.

٣٨- لغويات – عبد اللطيف الخطيب.

٣٩- مبادئ العربية – رشيد الشرتوني.

٤٠- النحو الوافي – عباس حسن.

٤١- المنجد في اللغة (معجم).

٤٢- الهمع للسيوطي.

٤٣- الوافي (معجم) عبد الله البستاني.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

قراءة دلالية في كتاب "زكريا أوزون":

"جناية سيبويه"

"الرفض التام لما في النحو من أوهام"

(القسم الثاني)

د. ياسين أبو الهيجاء

كلية الآداب/ جامعة الإسراء

ويحمل زكريا أوزون على الإعراب المقدر في المنقوص والمقصور ويقول[٨٧]:"هو وهم وخيال وكذب وتلفيق". ونقول أي إسفاف هذا، وأي مصلح هذا الذي يستجيز لنفسه أن يستخدم هذه الألفاظ؟ وأشير ههنا مرة أخرى إلى أنّ تقرير اللجنة وقرارات المؤتمر المذكورين أشارا إلى الذي يقول به أوزون، وإن اختلف السياق والتعبير.

ويعرض للمفرد والمثنى والجمع، ويلفت النظر إلى أن صيغة المثنّى آخذة في الانقراض من اللغة المحكية، سواء في الأسماء أو الأفعال، ففي الأفعال تنوب واو الجماعة عن ألف الاثنين، وفي الأسماء قلّما نستخدم المثنّى[٨٨]. كما يلفت النظر إلى أنّ ما يسمّى جمع القلة غير صحيح، ودليله أن " أَنْفُس " على وزن " أَفْعُل "، ونجده يتجاوز العشرة ليصل إلى ما هو

---

٨٧. نفسه: ٦٥.

٨٨. نفسه: ٦٦.

أكثر بكثير في قوله تعالى[٨٩]:" **وأُحضرت الأنفس الشُّحّ**"[٩٠]. وبعد أن يتناول تقـــسيم الاسم إلى مذكر ومؤنث، ويذكر أقسام المؤنث يختم حديثه بقوله[٩١]:" يتضح لنا تماماً أن من ساهم في وضع قواعد لغتنا العربية ليس عربياً، وإنما كان يحاول وصف تلك اللغة لأمثاله من غير العرب".

ولا يُردّ عليه في مسالة انقراض صيغة المثنّى، لأنه يدعو لمستوى مختلف يتحمل وزره. أمّا خلطه في قضية جمعي القلة والكثرة فمسألة باهتة ردّ عليها اللغويون والنحويون من الكلام الفصيح بما لا يدع حاجة لعرضها، وقـــد دار علـــى حواشـــي بـــيت حـــسان "لـــنا الجفـــنات الغرّ يلمعن في الضحى..."[٩٢]،كثير من النقاش في التبادل بين جمعي الكثرة والقلة جلَّى هذه القـــضية. وقد أصدر مجمع اللغة العربية في القاهرة – الذي يزري أوزون بجهـــوده – قراراً أجاز فيه التعاقب بين جمعي القلة والكثرة، وتعيين أحدهما بالقـــرينة[٩٣]. ولكن "أوزون" يضرب صفحاً عن كلّ هذا، ويوهم القارئ أنه يستحق براءة اكتشاف لهذه الظاهرة الصرفية، وكلامه عن عربية سيبويه – وقد عرضت لما فيه من السخف– لا يستحق الوقوف عنده، لأن سيبويه على أعجميـــته ينتمـــي إلى هذه اللغة أكثر من كثير ممّن يزعمون الانتماء إليها، فالعـــربية ليـــست جينات تُتَوارَث، وإنما هي اللسان، فمن تكلّم بالعربية فهو عربي".

---

٨٩. النساء: ٤.

٩٠. نفسه: ٦٧.

٩١. نفسه: ٦٧.

٩٢. ينظـــر: الكتاب:٣/٥٧٨، المقتضب: ٢/١٨٨، والخصائص: ٢/٢٠٦، وشرح المفصل: ٥/ ١٠، خزانة الأدب: ٨/١٠٦، وما بعدها.

٩٣. مجموع القرارات العلمية في خمسين عاماً: ٨٧.

ويشرع في تناول المنصوبات بادئاً بالمفعول به، وهو عنده اسمٌ يقع علـــيه الفعـــل ولا تهمه حركة آخره لتحديده، وإنما يتمّ استنتاجه من سياق الكلام، ومن فهم الجملة وتحديد الفعل والفاعل(٩٤). وهو يرفض تماماً مسألة المفعول به الثاني في نحو:" أعطيت الفقير درهماً"، فالذي وقع عليه الفعل هو الفقير وحسب(٩٥). وهو يلقي في رُوع السامع كعادته أنّ هذا الرأي من بنات أفكاره، وقد قال فريق من النحويين أن المفعول الثاني حال(٩٦)، والقضية بعد ذلك لا تمثل مسألة ذات خطر، فهذا خلاف في التنظير، لا يعني من يتحرّى المنطق السليم. أمّا دعوته الصريحة لإلغاء الإعراب فهي مسألة أخرى، وقد حبّر المحدثون عشرت المصنفات للرد عليها ودحضها.

ويلـــتفت إلـــى الأســـاليب العـــربية، فيتـــناول الإغراء والتحذير، ويقول(٩٧):"ظهر هذا الأسلوب عندما وجد أهل اللغة – النحاة– حركة الفتحة آخر الكلمة، فحاولوا إيجاد تخريجة لها... قرروا أن يعربوا " الحزمَ " مفعول به منصوب (هكذا) لفعل محذوف تقديره "الزم"!! ولم يعترفوا بأنّ قولنا الحزمَ يعطيـــنا نفس معنى الحزمُ الحزمُ، وأن حركة الحرف الأخير لا تغير معنى الكلمة وموقعها"، ويذكر أنه يقال في أسلوب الاختصاص ما قيل في الإغراء والتحذير.

لعل هذا الرأي من أكثر الآراء دلالة على فساد عربية الرجل، وبُعده عـــن تمـــثّل أســـاليب العربية وتراكيبها، وهو يحاول جاهداً أن يمضي في ركـــوب مذهبه في اطّراح علامات الإعراب، وإذا ظن "أوزون" أن المسألة

---

٩٤. نفسه: ٦٩.

٩٥. نفسه: ٣٧.

٩٦. ينظر: الهمع:٤٨١وما بعدها.

٩٧. نفسه: ٧٣.

فوضـــى لا سَـــراة لها فهو واهم. فالأسلوب لم يُظهره النحاة، كما يقول، بل نقلـــوه عن العرب، وحللوه حسب دلالته. وللنظر من يفقه هذا الأسلوب فقهه الذي يليق به، يقول سيبويه في قولهم[٩٨]: "الطريقَ الطريقَ":"ولا يجوز أن تُضمر تنحّ عن الطريق لأن الجار لا يُضمر" ويردف قائلاً[٩٩]:"واعلم أنه لا يجوز أن تقول زيدٌ وأنت تريد أن تقول ليُضرَب زيدٌ". ولننظر قول السيوطي فـــي التأويل[١٠٠]:" لا يصحّ ولا يسوغ إلاّ إذا كانت الجادة على شيء ثم جاء شيء يخالف الجادة فيُتَأول".

فالإعـــراب لا ينفصل عن الدلالة، ولئن كان ثمة تأويل لا يخلو من التعـــسّف، فإن جله يهدف إلى الاتساق بين القاعدة اللغوية وظاهر التركيب، وهـــو مظهـــر جلـــيّ من مظاهر الالتزام بدلالة النص. والقول بأن "الحزمَ" يساوي " الحزمُ" فيه من جهل الأساليب اللغوية ودلالتها ما لا يحتاج معه إلى دفع. ولو تكرّم علينا "أوزون" وأول لنا "الحزمُ" – في أسلوب الإغراء– على معنـــى مـــن معاني النحو، لعرف إلى أيّ شيء يفضي مذهبه، ولكنه يركب مركباً لا يحسنه، وإن كان يدري أين يتجه به.

ويخوض في سائر المفاعيل، فيتوقف عند المفعول فيه، ويرى[١٠١]: "أن هذه التسمية المشتركة لا تميز بين مفهوم الزمان ومفهوم المكان؛ ذلك أنّ زمـــن حدوث الفعل يختلف كثيراً عن مكان حدوثه، فلا يمكن السيطرة على الزمن من قبل الإنسان، ولا يمكننا أن نفعل فيه ما نشاء، ويرى أن مصطلح الظرف مُلْبِس وغريب ولا مدلول له في الذهن، وإلى هذا يعيد خلط الطلاب

---

٩٨. إلا في القليل النادر، ينظر: سيبويه: ٣/٤٩٦، وما بعدها، والمقتضب:٢/٣٣٦.

٩٩. الكتاب:١/٢٥٤.

١٠٠. الاقتراح: ٣٩

١٠١. نفسه: ٧٥.

بـــين المفعـــولات. أمّـــا فـــي المفعول المطلق، فهو يعلن "أنه لا يفهم معنى المطلـــق، ويـــرفض كل ما يقال في مسألة نيابة المفعول المطلق. كما يحمل علـــى باب المفعول معه؛ لأنه -كما يقول- لن يسير والشارع، لسبب بسيط وهـــو أنه كائن حيّ والشارع جماد. وفي المفعول لأجله يسأل عن الهاء فيه، نحو قولهم:"وقف الطلاب احتراماً للمعلم" علام تعود؟ ويعلّق قائلاً[١٠٢]:" من الواضـــح أنّ المعلم هو المفعول لأجله، فمن أجله تمّ الوقوف.. أمّا (احتراماً) فهي سبب وقوف الطلاب".

أمّـــا مـــسألة أن تـــسمية المفعول فيه لا تميّز بين مفهومي الزمان والمكان، بحجة عدم التمييز بين زمن حدوث الفعل ومكانه فأقول لا شك أنّ هـــذا الرجل اطلع على الخلاف بين البصريين والكوفيين في التسمية، ولكنه يوهم القارئ -كدأبه- بأنه وقع على خلل لم يتنبّه إليه غيره، وهَنَة لم تدركها أنظـــار السلف المتحجّر. فالظرف من مصطلح البصريين، وجاء في حاشية الـــصبان[١٠٣]:" واعترضهم الكوفيون بأن الظرف الوعاء المتناهي الأقطار، وليس اسم الزمان والمكان كذلك.. وأجيب بأنهم تجوزوا في ذلك واصطلحوا علـــيه، ولا مُشاحّة في الاصطلاح"، فالتسمية لا شك من باب المجاز. وهنا تجـــدر الإشارة إلى أنّ الكوفيين يطلقون على الظروف إضافة إلى المفعول فـــيه، الصفات والمحال[١٠٤]، والمواقيت[١٠٥]. على أنّ تسمية الظرف شاعت حتى باتت علماً على هذا الباب، وأي شيء يجنيه "أوزون" من ردّها؟ هذا من

---

١٠٢. نفسه: ٧٧.

١٠٣. حاشية الصبان: ١/١٨٣.

١٠٤. ينظـــر: معاني الفراء: ١/٢٨، ١١٩، ٣/٤٢. وإعراب القرآن/النحاس:١/١٦٩. وتهذيب اللغة:١٤/٣٧٣. والموفي في النحو الكوفي:٢٢٢. مسائل الخلاف:١٨/٥١.

١٠٥. معاني القرآن/الفراء:١/١١٩، ١٣٨.

وجــه، ومــن الــوجه الآخــر لم يطلعنا على المصطلح الذي يراه مناسباً لمدلولها.

وأمّــا عــدم فهمــه لمعنى "المطلق"، فلا يضيره، والنحاة أرادوا أن يميزوه من غيره، فاصطلحوا على هذه التسمية التي تمثّلوا دلالتها، فهو من جهــة لا يتقيد بحرف كسائر المفعولات، ومن جهة أخرى يكاد يكون عندهم المفعول الحقيقي الذي أحدثه الفاعل بعد إذ لم يكن. ومع هذا فثمة رأي جدير في هذا الصدد بالمناقشة، لو التفت إليه السيد أوزون. فابن هشام في المغني، يذكــر "فــي التحذيــر من أمور اشتهرت بين المعربين والصواب خلافها" قولهم:"خلقَ الله السماواتِ" على أن "السماوات" مفعول به، ويقول معلقاً[١٠٦]:" والــصواب أنه مفعول مطلق، لأن المفعول المطلق ما يقع عليه اسم المفعول بلا قيد"، ويردف موضحاً:"المفعول به ما كان موجوداً قبل الفعل الذي عمل فــيه، ثم أوقع الفاعل به فعلاً. والمفعول المطلق ما كان الفعل العامل فيه هو فعــل إيجاده، والذي غرّ أكثر النحويين في هذه المسألة أنهم يمثلون المفعول المطلــق بأفعال العباد، وهم إنما يجري على أيديهم إنشاء الأفعال لا الذوات، فــتوهموا أن المفعول المطلق لا يكون إلا حدثاً، ولو مثّلوا بأفعال الله تعالى لظهر لهم أنه لا يختصّ بذلك". وفي هذه المسألة وجوه كثيرة للنقاش لو كان يبغــي " أوزون" مناقــشة علميةٍ ذات فائدة، أمّا أن يرفض المفعول المطلق تعــسفاً، فأي إصلاح هذا الذي يزعمه؟ والكلام على رأيه في نائب المفعول المطلق لا يجدي، ما دام يردّ الباب كله.

وأمّــا رده لـــ "المفعول معه" لأنه "لن يسير والشارع، لسبب بسيط وهــو أنه كائن حيٌّ والشارع جماد"، فأقول: أَسقِمْ بهذا فهماً، لأنه فهم قِشريّ يــسقط الدلالة، فــ"واو" المعية تتميز من "واو العطف" بأنها تقتضي الاقتران

---

١٠٦. المغني: ٨٦٧.

الزمنـــي الحتمـــي، دون شرط التشريك في الحكم، بينما تقتضي واو العطف التـــشريك في الحكم، اقترن معه بالزمان أم لم يقترن، فالمعية هي المصاحبة الـــزمنية بالدرجة الأولى، والدلالة الأولى للعطف هي الاشتراك في الحكم، وما نُصِبَ المفعول معه إلا إيذانا بهذه الحقيقة.

وأمّا اعتراضه على مصطلح المفعول لأجله فلا وجه له، فالمقصود بالمفعـــول لأجلـــه ما فُعِلَ لأجله فعلٌ، وحصلَ بسببه هذا المفعول، وهو في اصـــطلاحهم أيضاً المفعول له، ومن أجله، والتفسير[١٠٧]، وهو عند الكوفيين مـــن باب المصدر[١٠٨]. ومناط الدلالة في هذا التركيب هو الفعل أو ما يقوم مقامـــه لا المصدر المنصوب، ولا الاسم المجرور. ويمكن أن نصف الحدث ههنا بـــ "قمة التركيب"، والمفعول يفسّره، وهذه هي دلالته، فعند قولنا: "وقفنا إجـــلالاً للمعلم"، فالخبر الذي يتبوّأ قمة هذا التركيب، هو الوقوف؛ لأنه يبغي تفسير حَدَث غير معلّل، قام به الفاعل؛ لذلك جاء المفعول (المصدر) يفسّره، ويجلـــيه. ولعـــل تحويل التراكيب التي يَرِد فيها المفعول لأجله إلى تراكيب استفهامية، نحو: لم وقفت، ولم سافرت...؟ والإجابة عنها، يؤكد هذه الدلالة. وتـــسطيح هذا التركيب، في جعل "المعلم" في المثال المذكور ونحوه "مفعولاً لأجله"، فضلاً عن التجاوز في مفهوم المفعول، ينبئ بالفهم السقيم لهذا الباب أيضاً.

وهـــو يحمل على مفهوم التَمييز، ويقول[١٠٩]:"إنّ التمييز يتحقق ويتمّ عندما يتوفر لدينا معطيات مختلفة نميزها عن بعضها كأن يطلب منّا أن نميز الاســـم عـــن الفعـــل في نص (معطيات مختلفة) أدبي، أمّا أن نوجد كلمات افتراضية ونسميها تمييز (هكذا)، فهذا وهم، والوهم لا يعطي قواعد سليمة".

---

١٠٧. معاني القرآن:١/١٧، ٧٣.

١٠٨. أسرار العربية:١٧٤.

١٠٩. نفسه: ٨١.

وهذا كلام كسابقه أقرب إلى الغمغمة منه إلى البيان، غير أنّ الأمثلة تقرّبنا إلى مراده، إذ يقول:"عندما أقول مثلاً: اشتريت دونماً أرضاً، فهل كلمة (أرض) ميّزت الدونم وأزالت عنه الإبهام؟ ولماذا لا تكون كلمة (دونم) هي التمييــز لأنهــا تبين مساحة الأرض المشتراة مقدرة بالدونم لا بالفدان مثلاً؟ وإذا قلت: "اشتريت دونم أرض" لماذا لا يصبح التمييز مضافاً إليه"؟

لا شــكّ في أنّ هذا الذي يقول به " أوزون" يندرج تحت "التدليس"، فلْــيوثق المثال الذي يسوقه لينقد باب التمييز إن استطاع، لنرى في أيّ نصّ هــو، وهــل يظــن أنه بلغ السخف بالنحويين أن يجعلوا من "الدونم" تمييزاً لـــ"أرض"، يناقشون فيه باباً يعدونه موضحاً لمبهم، وتفسيراً لغامض. وهلاّ قرأ هذا الرجل فقه سيبويه – الذي يسم جهوده بالجناية – لهذا الباب، حتى يعــرف من الجاني؟ يقول سيبويه في كلامه على تمييز المقادير[١١٠]:"وذلك قولك: ما في السماء موضع كفٍّ سحاباً، ولي مثله عبداً، وما في الناس مثله فارســاً، وعلــيها مثلها زبداً. وذلك أنك أردت أن تقول: لي مثله من العبيد، ولي مِلؤه من العسل...". فهل يرى السيد أوزون أنّ دلالة التمييز ههنا هذر يمكن إسقاطه؟

علــى أن ثمة مسألة ينبغي الإشارة إليها، وهي مسألة التمييز المؤكِّد على الخلاف فيه، نحو[١١١] قوله تعالى: "**إنّ عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهراً**"، وقول الشاعر[١١٢]:

والتغلبيون بئس الفحلُ فحلهمُ فحلاً وأمّهم زلاءُ منطيــقُ

---

١١٠. سيبويه: ١٧٢/٢.

١١١. التوبة: ٣٦.

١١٢. البــيت لجريــر فــي ديوانه: ٤٨٢، وهو في "شرح الكافية الشافية:٤٩٦/١، و "شرح ابن عقيل:١٦٤/٣.

فخلافاً لكثير من النحويين [١١٣] قد يأتي التمييز مؤكداً، قال المبرد[١١٤]:" واعلم أنك إذا قلت: نعم الرجل رجلاً زيدٌ، فقولك:"رجلاً" توكيد: لأنه مستغنى عنه بذكر الرجل أولاً، وإنما هذا بمنزلة قولك: عندي من الدراهم عشرون درهماً. إنما ذكرت الدرهم توكيداً، ولو لم تذكره لم تحتج إليه". وهذا يختلف اختلافاً كبيراً عمّا يزعمه " أوزون"، ويلقي به دون سياق، ويجعله مسألة بديهية في كتب النحويين.

أمّا التمييز المجرور فحديث الرجل فيه حديث من لم يطلع على كتب النحو ولا على كلام العرب. فالتمييز المجرور تمييز، غير أن اصطلاح التمييز مجرّداً يعني باباً معيناً من المنصوبات له أركانه، فإذا جيء إلى التمييز المجرور كان لا بد من الإشارة إلى مسألة الجرّ فيه، ولعلّ هذه المسألة تبدو جلية في باب العدد. أمّا نقده المصطلح، وجعله من باب الوهم، فهو من الخلط والفوضى لا من الإصلاح، فهذه مسألة لا تمثّل أيّ إشكال لدى الدارس، وهو يريد أن يجعل منها قضية أسهمت في تعمية النحو وغموضه.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ثم يتناول الاستثناء، ويعرض لقولهم:جاء الرجال إلا رجلاً"، ويعقّب قائلاً[١١٥]: وهنا نسأل ماذا أنجزنا عندما قلنا إنّ رجلاً مستثنى بـ"إلاّ"، وهل بيّن الإعراب تأثير كلمة رجل في العبارة؟ هل بين دور الكلمة؟" ثم يتناول قولهم:" ما جاء الرجال إلا رجلاً" ويعلّق عليه:"هنا يمكنك أن تعرب "رجلٌ" بدل من الرجال مرفوعاً بالضمة. ونسأل ما هذه المحاكمة الغريبة... وجدوا

---

١١٣. ينظر حاشية الصبان: ٣٠١/٢.

١١٤. المقتضب:١٥٠/٢، وينظر: الخصائص، ٨٣/١، شرح الكافية الشافية:٤٩٦/١.

١١٥. جناية سيبويه: ٨٢-٨٣.

أن آخر الكلمة مرفوع، فلم يجدوا لها سوى تخريجة البدل، وهل يحق لنا أن نقول ما جاء رجلٌ إلاّ رجلٌ".

ولا يــزال هــذا الــرجل يلبّس على القارئ، فقبل تحليل نظره في الاستثناء نجد أنه يضرب مثلاً:" جاء الرجال إلا رجلاً" وفيه استثناء نكرة لم تخــصص من معرفة، وهذا لا يجيزه أحد من النحويين، فلا يجوز الاستثناء مــن النكرة ولا أن يكون المستثنى نكرة إلاّ إن أفادتا، والإفادة على وجهين؛ إمــا بتخصيصهما بوصف أو إضافة أو غيرهما ممّا يفيد تخصيصاً، والوجه الآخر أن يكون الاستثناء في كلام تام منفي أو شبه منفي؛ لأن النفي وشبهه تــتحقق فيه الفائدة لدلالة النكرة على العموم(١١٦). و"أوزون" – كما نرى – مــصلح لا يمــتلك الأدوات الأساسية للمادة التي يدعي إصلاحها. أمّا قوله "وهــل بيّن الإعراب تأثير كلمة رجل في العبارة؟" – يعني المستثنى– فليس غــريباً على من ركب منهجه ، فإذا كانت دلالة الاستثناء لغة واصطلاحاً لا تمــثل له ما يستحق الوقوف عنده، فماذا يمكن أن نطلق على هذا التركيب، أقرب معنى وأصدق دلالة؟

أمّــا الــبدل في الاستثناء الذي تعلّق به فلينظر وليوازن أيما يتمثل الــروح الحقيقية للغة هو أم سيبويه(الجاني)، يقول سيبويه في باب" ما يكون فيه المستثنى بدلاً ممّا نفي عنه(١١٧):" وذلك قولك: ما أتاني أحدٌ إلاّ زيدٌ، وما مــررت بأحــدٍ إلاّ زيدٍ، وما رأيت أحداً إلا زيداً، جعلت المستثنى بدلاً من الأول، فكأنمــا قلــت:مــا مررت إلا بزيدٍ، وما أتاني إلاّ زيدٌ، وما لقيت إلاّ زيــداً". وإضــاءة المسألة عند ابن يعيش، إذ يقول(١١٨):" والفرق بين البدل

---

١١٦. ينظر: الهمع:٢/١٨٤، حاشية الصبان:٢/٢٠٨.

١١٧. سيبويه:٢/٣١١ وما بعدها.

١١٨. شرح المفصل: ٢/٨٧. وينظر: معاني النحو:٢/٢٢١.

والنـــصب في قولك:ما قام أحد إلاّ زيد" أنك إذا نصبت جعلت معتمد الكلام النفـــي، وصار المستثنى فضلة فتنصبه، كما تنصب المفعول به، وإذا أبدلته منه كان معتمد الكلام إيجاب القيام لـــ "زيد"، وكان ذكر الأول كالتوطئة، كما ترفع الخبر لأنه معتمد الكلام".

فقوام المسألة الدلالة التي يضرب السيد أوزون عنها صفحاً، فالقول "مـــا قام أحد إلا زيدٌ" دلالته "ما قام إلا زيدٌ" على نية إثبات القيام لزيد؛ لأنه المقـــصود بـــالحكم، والمـــبدل مـــنه ههنا توطئة لهذه الحقيقة، فهو في حكم المطـــروح، فإذا قيل:"ما قام أحدٌ إلا زيداً" كان قوام الدلالة النفي، لأنك تنفي القـــيام عـــن الجميع، ثم تستثني زيداً من هذه الحقيقة، فغاية الاتباع الإثبات، وغاية النصب النفي، ولكل دلالته.

ويخـــتم حديثه في الكلام على الجارّ والمجرور، ويحمل على مفهوم شـــبه الجملة كما يحمل على التعليق عند النحاة، ويقول[١١٩]:" والسؤال الآن هـــل "بـــه" أو "منه" أو "عليه" مثلاً أشباه جمل؟ وما المعنى الذي تعطيه تلك الأحـــرف المتـــشابكة الغـــريبة؟ ويقـــول في التعليق "وشبه الجملة (الجار والمجـــرور) بحاجـــة إلى ما تتعلّق به...فإذا قلت "نام الطفل في البيت" فإن الجـــار والمجرور "في البيت متعلقان بالفعل "نام"، ولكن إذا قلت "نام الطفل صـــباحاً فـــي البـــيت" فهـــنا يتعلّق الجار والمجرور بالظرف وننسى الفعل الأصـــلي". ويقـــول معلّقاً في الحاشية[١٢٠]: ما هو المدلول الذي تتركه كلمة "متعلّق" في الذهن؟ وهل يصل مدلولها إلى كل إنسان عربي يريد تعلم قواعد لغته؟".

---

١١٩. نفسه: ٨٥.

١٢٠. نفسه: ٨٩.

وأقــول: إن مــصطلح "شبه الجملة" هو مصطلح دالّ على أن هذا التركيب يفتقر إلى عنصر مكمّل لمعنى الجملة، وعند جمهرة النحويين يجب أن تــتعلق شبه الجملة بنوعيها الظرف والجار والمجرور بفعل أو ما يشبهه مــن المشتقات، وأقل من هذين معنى الفعل، نحو"أفٍ للكسالى"، واسم مؤول بمــا يشبه الفعل، نحو قوله تعالى:"**وهو الله في السموات والأرض**"، فحرف الجرّ متعلق بــ"لفظ الجلالة"؛ لأنه مؤول بــ"المعبود":"؛ لتكتمل بهما الدلالة.

والتعلّق من أنصع القضايا الدلالية في النحو العربي، ولنضرب مثلاً للسيد أوزون على التعلق من كثب لعله يدنيه منه، فلو قيل:رأيت القمرَ فوق الــتلة" ماذا يُفهم من شبه الجملة؟ لا شكّ أن في المعنى غموضاً تجليه مسألة الــتعلق، فلو عُلّق الظرف ههنا بالفعل، لكان القائل قد رأى وهو نفسه فوق الــتلة "القمرَ في السماء"، ولو علقه بــ "حال" محذوف، لكان القائل قد رأى القمــرَ نفــسه مــستقراً فوق التلة، وهنا تظهر قيمة التعلق التي يزري بها "أوزون". والقرآن الكريم حافلٌ بالشواهد التي تدلل على قيمة التعلق، ويكفي أن أضــرب شاهداً واحداً منها، وهو قوله تعالى[١٢١]:"**وقال الذي اشتراه من مــصر لامرأته أكرمي مثواه**"، **فتعلُّق "لامرأته"** بــ"قال" لا بــ"اشتراه"؛ لأن المعنــى يكون على هذا (اشتراه لامرأته) وفي هذا فساد للمعنى بيّن، وتغدو قال بلا مخاطَب.

بقــي ههنا أنّ التعليق لا يقتصر على شبه الجملة بقسميها، بل يشمل أبواباً غيرها، وإن اختلف مسمّاه؛ مادام المعنى العام يفتقر إليه، وللنظر قوله تعالــى"وأنفقــوا ممّا رزقناهم سراً وعلانية" فــ"سراً" و"علانية" إمّا أن تكونا حالين أو مفعولين مطلقين، وهما متعلقان بــ"أنفقوا" لا برزقناهم"، لأن مناط

---

١٢١. يوسف ٢١.

الدلالـــة الإنفـــاق، لا طبـــيعة الـــرزق. ومثل هذا في اللغة كثير، لو وعاه "أوزون"[١٢٢].

وبعـــد هـــذا، فإننا نسأل السيد أوزون أين موقع قوله في "نام الطفل صـــباحاً فـــي البـــيت": فهنا يتعلّق الجار والمجرور بالظرف وننسى الفعل الأصـــلي"، وعلى أي وجه من وجوه النحو أو الدلالة علّق الجار والمجرور بـــ"الظرف"؟

ويخوض في الفصل الرابع فيما يسمّيه الأدوات ولعله أكثر الفصول الذي ينتاب الكاتب فيه ما يشبه الهذيان، وأول ما يتناوله الهمزة، ويعرض لها فـــي حالة الاستفهام، ويذكر قوله تعالى[١٢٣]:"أيحبّ أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميـــتاً" وقـــوله تعالـــى[١٢٤]:"أأنـــتم تخلقـــونه أم نحـــن الخالقـــون"، ويعلّق قائلاً[١٢٥]:"ونحن نرى أنّ الهمزة في كلتا الآيتين السابقتين لا تفيد الاستفهام، لأن الله عـــزّ وجل لا يسأل عباده، فهو عالم بطبيعة عباده، وبكافة أحوالهم وإجابـــاتهم- وهي تفيد الإنكار". وقد رأينا أيّ جهل يركب "أوزون" في هذه المـــسألة، غيـــر أنـــه ههـــنا يضيف إليه إنكارَه خروجَ الاستفهام عن معناه الأصلي، وهو باب عريض في البلاغة، ودليل بارز على تصرّف اللغة في تراكيبها وأساليبها.

ويتـــناول " أنْ " و" إنْ " المخففتـــين، ويتكلم على تخريجات النحاة المضحكة المبكية -كما يقول- في قراءة" إن هذان لساحران"، ويتهكّم عليهم حيـــنما يذكـــرون " إنْ " المشبّهة بليس، وهو في كل ذلك لا يقدّم بديلا لهذه

---

١٢٢. ينظر: معاني النحو:٣/ ٩٧، ومابعدها.

١٢٣. الحجرات: ١٢.

١٢٤. الواقعة: ٥٩.

١٢٥. نفسه: ٩١-٩٢.

التخريجات بل ينهي كلامه بقوله[١٢٦]:"ونطلب من القارئ العزيز أن يستنتج دقـــة وعظمة تلك القواعد العتيدة". وإن كان قارئه العزيز يفقه العربية فقهه فيها، فالمشكلة تستعصي على الحلّ.

وهو لا يفرّق بين " لا " الناهية و" لا " النافية، الداخلتين على الفعل، وينـــتقد رأي الـــنحاة فـــي قولهم إنّ لا النافية لا عمل لها؛ لأنها لا تغيّر من حـــركة نهايـــة الكلمات، ويقول:"فإذا قلت: لا أحب الوطن" فإن "لا" التي لا عمـــل لها – نحوياً- خربت الديار والوطن. ويخلص إلى قوله:" إذاً فالعمل مـــرتبط بالحركة، فإذا لم تؤثر في حركة آخر الكلمة ذهب عملها وأصبحت عاجـــزة علمـــاً بأنها تهز كيان الدول. وله في ذلك نظر؛ إذ يقول[١٢٧]:"وفي حقيقة الأمر لا(النافية) أو لا(الناهية) تؤديان عملاً أساسياً واحداً وهو النفي، ولا النافـــية التـــي لا عمـــل لهـــا تنبع من إرادة واعية أو حقيقة ثابتة، أمّا لا(الناهـــية)العاملة فتستخدم عند النهي بالأمر والطلب، فعندما نقول لا تعيش الخـــراف مـــع الـــذئاب" فـــإنّ لا(النافـــية) التي لا عمل لها تنبع من حقيقة ثابتة(ظاهرة طبيعية)... أمّا عندما تقول"لاتنهَ عن خلق وتأتي مثله..."فإنّ لا الناهية العاملة تستخدم للنهي بالأمر والشدة بالطلب".

وهـــو يخلط بين مصطلح العمل النحوي وبين دلالة الحرف ومن ثمَّ دلالـــة التركيب، وينتهي إلى أن غير العامل يساوي فاقد الدلالة، وهو جهل باللغة وأساليبها، فالعامل وغير العامل ينضويان تحت مسالك الدلالة اللغوية، ولعل أوضح دلالة على هذا الفهم وجود حروف عاملة على لغة ومهملة على أخرى، وخير ما يمثل هذه الحروف "ما" التميمية، وصنوها الحجازية، فكيف

---

١٢٦. نفسه: ٩٧.

١٢٧. جناية سيبويه:٩٧-٩٨.

يفــرق " أوزون" بين قراءتين، في قوله تعالى: " ما هذا بشراً"[١٢٨]، و"ما هنّ أمهاتِهم"[١٢٩]، وقد قرئت"بشرٌ"[١٣٠]، و" أمهاتُهُن"[١٣١] بالرفع. ولو تفضل علينا وشــرح لــنا كــيف يمكن لنا أن نميز بين الإرادة الواعية وغيرها، وكيف نــصرف هــذه الإرادة عمن يستخدم " لا " الناهية، وهو بها أخلق، وعليها أقدر؟

ويعرض لأدوات الاستفهام، ويتناول " كيف "، و" مَن "، ويقول[١٣٢]:" "كــيف" تعرب خبراً مقدماً "لاحظ المغالطة في التسمية من البداية" إذا وليها اســم أو فعــل نــاقص، أمّا "مَن" فنجد أنها تعرب مبتدأ إذا وليها فعلٌ لازم، مــثال:"مــن الطــارق"، والسؤال هنا: ما الفرق بين حالتي " كيف " و"من"، ولمــاذا " كــيف" خبــر مقدم، و"من" مبتدأ؟ ما هو المعيار المنطقي والدقيق للفــصل بيــنهما؟ ولماذا لا يكون كلّ منهما مبتدأ، فيأتي الجواب المفحم: إن "كيف الادخار" تعادل "الادخار كيف"... وهكذا ندخل ثانية في حلقة الترادف المغلقــة"، ويردف قائلاً:" لنأخذ حالة أخرى للأداة "كيف" حيث نجد: "كيف" تُعــرب حالاً إذا وليها فعل تام، مثال:"كيف جاء"(فعل تام) بينما تبقى الأداة " مَن " – إذا وليها فعل تام – مبتدأ، مثال: "من جاء" و يختم كلامه قائلاً[١٣٣]:" وهــنا نــسأل: ما الفرق بين "كيف" و"أين" فيما يلي:" كيف الادّخار" و"أين الادّخار"، إذا كان الجواب لكلا السؤالين: الادّخار في التوفير، مثلاً"؟

---

١٢٨. يوسف: ٣١، وقد اجتمع على هذه القراءة الأربعة عشر.

١٢٩. المجادلة:٢، قرأها السبعة، ينظر: كتاب السبعة:٦٢٨.

١٣٠ .قرأها ابن مسعود، ينظر الكشاف٢/٣١٧، والبحر المحيط:٥/٣٠٤.

١٣١. انفرد بها عاصم، ينظر: كتاب السبعة: ٦٢٨.

١٣٢. جناية سيبويه: ١٠٦.

١٣٣. نفسه: ١٠٧.

وممّـــا يتـــناوله مـــن أدوات الاســـتفهام أيـــضاً "أي" ويعلق عليها بقـــوله[١٣٤]:"أمّا أداة الاستفهام "أي"فهي كـــ"ابن بطوطة" تراها مبتدأ أو ظرفاً أو مفعـــولاً بـــه أو مفعولاً مطلقاً...أداة استفهام تأخذ مواضع غريبة لكلمات تسميتها غريبة، فتعطي قواعد كلها غرابة".

وأقـــول: إن من أهمّ الإشكاليات التي لا تفتأ تظهر في كلّ معالجات "أوزون" للموضـــوعات التـــي يطرقها هي عدم إلمامه بالأبواب التي يزعم إصلاحها. فقوام الجملة العربية الإسناد؛ لأن الإفادة إنما تحصل بهذا الإسناد، ولا يمكـــن أن تعـــرف دلالة الكلام ما لم يُحدد طرفا الإسناد الرئيسان، وما يفـــضل عنهما، وسعياً وراء هذه الدلالة تندرج الغالبية العظمى من خلافات النحويـــين. فالوصف النحوي هو وصف للعلاقات التي تربط عناصر الجملة بعضها ببعض، ولا مكان لاسم أو فعل لا ينتظم في هذه العلاقات، وانطلاقاً مـــن هذه الحقيقة كان لأسماء الاستفهام محلٌّ من الإعراب، وهذا جواب عن المعيار المنطقي والدقيق لهذا الإعراب الذي يطرحه " أوزون".

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وإعادة صياغة التركيب الاستفهامي ، بتغيير موقع اسم الاستفهام أو الإجابـــة عـــنه إنمـــا هـــو لـــتحديد علاقة الاستفهام بالتركيب، واستنكاره معادلة"كيف الادخار" بـــ"الادخار كيف"، يجلي بصورة واضحة خلْطَ الرجل فـــي موقـــع المفـــردات كما ينتظمها القانون اللغوي المبني على الاستخدام، وتفـــسير هـــذه البنية، لغايات تعليمية أو توضيحية، وأكثر ما تلجأ إلى هذه الطريقة الكتبُ التعليمة والمدرّسون.

أمّا سؤاله عن الفرق بين "أين" و"كيف" حينما نسأل عن الادّخار، ما دام الجـــواب في التوفير، فهو سؤال من لا يعرف مسالك العربية، فإن سلمنا

---

١٣٤. نفسه: ١٠٧.

بالفــرق بــين الادّخار والتوفير في سؤاله، فلا يمكن أن تكون الإجابة عن الــسؤالين واحــدة، إلاّ إذا أراد المجيب أن يخرج إلى باب آخر، قريب ممّا يــسمّى في "علم البديع" بــ"أسلوب الحكيم"، نحو قوله تعالى(١٣٥):"يَسْــأَلُونَكَ عَــنِ الأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَج". أمّا ابن بطوطة "أيّ" فإن مرونة هذه الأداة، وشحنها بالدلالات المختلفة، واستقراء اللغويين لهذه الدلالات هو الذي أهلها لهذه "الديناميكية" التي ينتقدها "أوزون"، ومَنَحَها هذه المنزلة، وهم لم يتفضلوا عليها بهذه الدلالات من عند أنفسهم .

وفي الفصل الخامس يتناول " إعراب الجمل "، ويتناولها بنقد ساذج، وأول مــا يعــرض للجملة الخبرية، ويمثّل لها بجملة" الطفل يلعب"، ويحمل علــى إعــرابها خبراً،ويردف قائلاً(١٣٦):"والسؤال هنا ومن المدرسة النحوية الــرائدة، لمــاذا لا تكــون جملــة "يلعب" في محل نصب حال مثلاً، فيكون التأويل:"الطفل لاعباً، ويكون الخبر محذوفاً تقديره "حاله لاعباً".

وهذا يضاف إلى رصيد من الجهل بأساليب العربية ودلالاتها، بعضه فوق بعض، فالأصل في اللغة الوضوح ولا يكون الإبهام غرضاً حتى تكون ثمة غاية بلاغية وراءه، وسبك جملة " الطفل يلعب" ينبئ بأنّ غاية المتكلم أن يخبــر عــن الطفل، لا عن حالته، وتقدير حاله لاعباً عبث، ليس من مسالك اللغة، على الرغم من اتصال الخبر والحال اتصالاً وثيقاً، تحدّد الدلالة أُطُره، وقد أشار سيبويه غير مرة إلى ذلك(١٣٧).

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

---

١٣٥. البقرة: ١٨٩.

١٣٦. نفسه: ١١٢.

١٣٧. الكتاب: ٢/٤٩، ٥٠، ٨١، ٨٧ – ٩٢.

ويتناول الجملة الوصفية، ويأخذ المثالين الآتيين "رأيت طفلاً يلعب"، و "رأيت الطفل يلعب"، ويعلق على الجملة الأخيرة[١٣٨]:"فإن جملة "يلعب" في محـــل نـــصب حال، وذلك حسب القاعدة المهلهلة، خالية الدلالة "الجمل بعد المعـــارف أحـــوال، وبعـــد النكرات صفات"، ويردف قائلاً: ما هو المعيار المنطقي الواضح الذي جعل من الجملة الفعلية(يلعب) (حال)، ومن التي قبلها صـــفة" ومن الأولى (خبر)؟ إنّ مجرد الخلط بين الفعل الذي يتضمن مفهوم الـــصيرورة والسيرورة(مفهوم التبدل والزمن)، والاسم الذي يتضمن مفهوم الثـــبات والكينونة يقودنا إلى خطأ جسيم فادح وإلى طمس الحقيقة، فإذا قلت: الطفل يلعب، فإن تلك الجملة لا تعني ولا تعادل البتة، عبارة "الطفل لاعب"، الأولـــى فـــيها مفهوم الحركة والزمن والثانية فيها مفهوم الثبات، فكيف تتم المساواة"؟

وأقـــول: القاعدة التي يسمها "أوزون" بـــ"المهلهلة، خالية الدلالة" هي أيـــضاً مـــن أشهر القواعد الدلالية في العربية، والمعيار المنطقي الذي يسأل عنه في التمييز بين الجملة الصفة، والجملة الحال، لا مكان له، ولا يطلبه إلاّ السيد أوزون ومن ينهج نهجه. فقولك: رأيت طفلاً يلعب" له دلالة محددة، في ســـياق محـــدّد، ولا يمكـــن بحال أن تُلقَى هذه الجملة إلاّ إذا كان هذا الطفل يلعـــب، في سياق يقتضي وجود أطفال غيره لا يلعبون، أو لا يقدرون على اللعـــب، أو يكون هو نفسه لا يقدر على اللعب في الأصل لأمر ما، وإلاّ لم يكـــن لهـــا أيّ دلالة ذات معنى أو مغزى؛ ذلك أنها تريد أن توصل للسامع صـــفة لهذا الطفل في سياق مخصوص، حتى تغدو الصفة والموصوف شيئاً واحداً دالاً على هذا الطفل، يخصصه من غيره، فمركزية الدلالة هنا تتكون مـــن مجمـــوع الطرفين النكرة والجملة التي توصف بها. وللنظر إلى قوله

---

١٣٨. نفسه: ١١٣.

تعالـــى[١٣٩]:" **فَـــأَلْقَـــاهَـــا فَإِذا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى**"، فبؤرة الدلالة، تتكون من الموصوف وجملة الصفة، فقد تحوّلت هذه العصا إلى حية لا تحتاج إلى وقت للتكـــيّف مع كينوننتها الجديدة، بل نجدها تنتقل وتمشي بسرعة، كأنها رُكّبت في هذه الصورة، فمركزية الدلالة تتكون من مجموع الحية ونعتها.

أمّـــا "رأيت الطفل يلعب" فله سياق مختلف تماماً، فمن جهة نجد أن ثمـــة اتفاقـــاً على معرفة هذا الطفل بين القائل والسامع أو السامعين، وقمة الدلالـــة فـــي توضـــيح الحال التي عليها هذا الطفل، والسامع أو السامعون ينتظـــرون هـــذا التوضـــيح، والسياق يفترض أن الحال وحدها ههنا مركز الدلالة؛ لأن الأصل فيه أن يكون على غير هذه الحال. ولنأخذ شاهداً بيناً من الكتاب العزيز، وهو قوله تعالى[١٤٠]: "**يـــا أَيُّها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنـــتم ســـكارى**" فبؤرة الدلالة ههنا هي جملة الحال، وعليها يتوقف الحكم، الذي يتشوّف إليه السامع.

أمّا كلام " أوزون" على التأويل، وعلى الفرق بين الفعل الذي يتضمن مفهـــوم الصيرورة والسيرورة(مفهوم التبدل والزمن)، والاسم الذي يتضمن مفهـــوم الثـــبات والكيـــنونة، الذي يقودنا إلى خطأ جسيم فادح وإلى طمس الحقيقة، كما يقول، وهو يعني تأويل الجملة بـــ"اسم الفاعل". فأقول أولاً: من أيـــن أتى السيد أوزون بأن اسم الفاعل يتضمن مفهوم الثبات؟ ألم يقرأ قوله تعالى[١٤١]:"**الحمدُ لله فاطرِ السموات والأرض* جاعلِ الملائكة رسلاً**"، فأين الثبات في هذا؟ ولئن كان اسم الفاعل الذي يدل على المضي، ثابتاً، فإن قسماً كبيـــراً مـــنه لـــيس كذلك، وهو الذي يعمل عمل فعله، بل إننا نجد الكوفيين

---

١٣٩. طه:٢١

١٤٠. النساء، ٤٣.

١٤١. فاطر:١.

يطلقون عليه الفعل[١٤٢]. أمّا تأويل الجملة باسم الفاعل، فإن الأصل في الخبر والصفة والحال الإفراد، وما جاء على غير ذلك فمؤول؛ ذلك أن الجملة التي تقــع هذه المواقع نائبة عن المفرد؛ إذ هو الأصل، والمركب فرع منه[١٤٣]. علــى أننا يجب أن نعترف – بعيداً من المذهب الذي يركبه "أوزون"– أن قضية التأويل من أكثر القضايا إشكالاً في النحو العربي، ولا شك أنها تفتقر إلــى دراسات شاملة ومعمّقة، بعيدا من المعيارية، التي تفترض أن قيمة هذا التأويل تنهض من قضية سلامة النصوص.

وفــي الفــصل السادس يعرض للشواهد والتخريجات النحوية، وممّا يتناوله قوله تعالى[١٤٤]:"ليس البرَّ أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب"، وقــوله تعالــى[١٤٥]:"وليس البرُّ بأن تأتوا البيوت من ظهورها"، ويعلّق على الحــركة الإعــرابية لـــ"البرّ" في الآيتين[١٤٦]:"ونطلب من الأخ القارئ أن يلاحــظ تلــك المغالطــة العجيبة فــ"البرّ" خبر مقدم، وجدوها منصوبة بعد (ليس)، فلم يجدوا حلاً سوى اعتبارها خبر(ليس) مقدماً، والمضحك بعد ذلك أنهم خلقوا مكاناً لجملة في الإعراب لم نعرفه من قبل".

و"أوزون" بعيد من فقه العربية وأساليبها، وهو لا شك لن يصل إلى جزء يسير من فقه هذه اللغة ما دام يركب هذا المذهب الساذج. فقوام المسألة الدلالــة، والآيــة الأولى: "ليس البرَّ أن تولوا وجوهكم" قرأها حمزة وحفص

---

١٤٢. ينظــر: معانــي القــرآن، للفراء:١/٣٣، ٤٥، ٢/٤٣، ٧٩، ٨٠، ٨١، ٨٣، ٣/ ٢٠٨.
و"معاني الكسائي":١٧٣، ١٨٥، ومجالس ثعلب: ١ / ١٢٤، و"مجالس العلماء: ٢٦٥.

١٤٣. ينظر: المغني:٥٣٦، و حاشية الصبان: ١/٢٨٥.

١٤٤. البقرة: ١٧٧.

١٤٥. البقرة: ١٨٩.

١٤٦. نفسه: ١٢٠.

بنـــصب الـــراء من "البر"، وقرأ باقي السبعة برفعها. وقال أبو حيان[١٤٧]:" وقراءة الجمهور أولى، من وجه، وهو أن توسط خبر ليس بينها وبين اسمها قلـــيل، وقـــد ذهب إلى المنع من ذلك ابن دُرستويه تشبيها لها بـــ"ما"، أراد الحكـــم عليها بأنها حرف، كما لا يجوز توسيط خبر ما، وهو محجوج بهذه القراءة المتواترة، وبورود ذلك في كلام العرب.

قال الشاعر[١٤٨]:

سَلِي إن جهلتِ الناسَ عنا وعنهم وليس سَواءً عالـــمٌ وجهولُ

وقال الآخر[١٤٩]:

أليس عظيماً أن تلمَّ مُلمّـــة وليس علينا في الخطـــوب مُعَـــوَّلُ"

فهـــذا الاستخدام الذي ينكره "أوزون" قد جاء عن العرب، فلا محلّ لإنكـــاره مـــن هـــذا الـــوجه. وقال المبرد وهو المعروف بتشدده، وتطويعه الـــشواهد؛ للتتـــسق والقاعدة[١٥٠]: " "ليس"، تقديمُ الخبرِ فيها وتأخيرُه سَواءٌ". وقـــال الزجاج[١٥١]:"ولك في إعراب البر وجهان...فمن نصب جعل "أنْ" مع صـــلتها الاســـم، فيكون المعنى "ليس توليتُكم وجوهكم البرَّ كلَّه"، ومن رفع فالمعنى "ليس البرُّ كلُّه توليتَكم، فيكون البرّ اسم "ليس" وتكون توليتكم الخبر".

---

١٤٧. البحر المحيط: ٤/٢.

١٤٨. البيت للسموأل في ديوانه:٩٢، وهو أيضاً في الخزانة: وفي شرح ابن عقيل:٢٧٣/١.

١٤٩. البيت بلا نسبة في تخليص الشواهد: ٢٣٧.

١٥٠. المقتضب:١٩٤/٤، ٤٠٦. وينظر:أوضح المسالك:٢٣٨/١.

١٥١. معاني القرآن وإعرابه:٢٤٦/١.

وحجة المانعين أنها يغلب عليها جانب الحرفية، فيجريها مجرى "ما" النافية؛ فــلا يجيــز تقــديم خبرها على اسمها، ولا عليها[١٥٢]. وهذا كلام معياري، يخالفــه المسموع ومن حفظ حجة على من لم يحفظ، وقد سجّل عبد الخالق عضيمة كثيراً من الآيات التي توسط فيه الخبر بين ليس واسمها[١٥٣].

ونضيف إلى هذا بأن تقديم الخبر يحمل دلالة لا يحملها وهو مؤخّر، وأنّ قــراءة "البــرَّ" بالنصب تنجم من قصد "البرّ" بالنفي، وهي تختلف عن قــراءة الرفع؛ إذ يتحول الخبر من الجزء المكمّل للفائدة، وحكم صادر على المبتدأ، إلى قمة دلالية بارزة في هذا التركيب. أمّا "البرّ" في الآية الثانية فلم تقرأ بالنصب لأن الباء واقعة في أول المصدر المؤول الذي ينبئ بأنه الخبر، وليس ثمة مندوحة ههنا عن هذه الدلالة.

وينــتقل إلى آية أخرى من سورة البقرة، وهي قوله تعالى[١٥٤]:"ولا تقولــوا لمــن يقتل في سبيل الله أمواتٌ بل أحياء ولكن لا تشعرون". ويذكر تعليق العكبري في التبيان:"قوله تعالى (أموات) جمع على معنى (مَن)، وأفرد (يقــتل) على لفظ (من)، ولو جاء "ميّت" لكان فصيحاً، وهو مرفوع على أنه خبر مبتدأ محذوف: أي هم أموات، (بل أحياء) أي بل قولوا هم أحياء، لمن يقــتل فــي سبيل الله ... (ولكن لا تشعرون) المفعول هنا محذوف تقديره لا تشعرون بحياتها".

وهــو يعلّق على كلام العكبري[١٥٥]:" ونستنتج من المقطع السابق ما يلــي:أولاً: استنكار غير مباشر ومبطن لاستخدام صيغة الجمع (أموات) مع

---

١٥٢. ينظر: شرح المفصل:١١٤/٧، حاشية الصبان:٣٤٢/١.

١٥٣. دراسات لأسلوب القرآن الكريم: القسم الثالث، الجزء الأول:٣٨٦.

١٥٤. البقرة: ١٥٤.

١٥٥. نفسه: ١٢١.

المفـــرد (لمن يقتل)، والدليل قوله :لو جاء ميتاً كان فصيحاً، ونحن نقول لو قـــال أحدنا ذلك لما سلم من لسان وقلم العكبري وأمثاله. ثانياً:استخدام كلمة وهمية وهي الضمير "هم"، ليبرر حركة الرفع في كلمة (أموات) عوضاً عن (هم أموات). ونحن نقول أموات لا تعادل (هم أموات) أبداً، ولماذا لا يكون تقديـــر الكلام (إنهم أموات).. ثم كيف ينوب الضمير الوهمي (هم) عن (من يقتل) أليس الأجدر أن نقول (أنت أموات) لينسجم الضمير مع صيغة المفرد. "ويـــبدو أن العكبري ينسى وينسى معه نحاتنا الأفاضل أن المتحدث هو الله عـــزّ وجـــل. وأن لا ترادف في كلمات الكتاب". وهو يطلب من القارئ أن يتأمل الآية كما يقدرها العكبري:"لا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله هم أموات بل قولوا هم أحياء، ولكن لا تشعرون بحياتها".

وهو يعرّض بالعكبري لأنه يقول:" :"قوله تعالى (أموات) جمع على معنى (مَن)، وأفرد (يقتل) على لفظ (من)، ولو جاء "ميّت" لكان فصيحاً، فهو يجهـــل أن العكبـــري يذكّـــر بقاعدة مشهورة في كلام العرب، لا في تنظير النحاة، مفادها أن كلمة "مَن" سواء أكانت موصولة أم غير موصولة، مذكرة اللفـــظ، وقد يكون معناها على غير ذلك، وعلى هذا يصحّ أن يعود الضمير علـــيها مفرداً مذكراً مراعاة للفظ، أو يعود مراعياً المعنى فيكون غير ذلك، وهذا أقل من الأول، ومن الأول قوله تعالى: "**ومنهم من يؤمن به ومنهم من لا يـــؤمن بـــه**"، وقد اجتمع الأمران في قوله تعالى:"**بلى من أسلم وجهه لله وهـــو محـــسن* فلـــه أجره عند ربه* ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون**" فالـــضمائر في الشطر الأول من الآية مفردة مذكرة مراعاة للفظ "مَن"، وفي الـــشطر الثانـــي للجمـــع مـــراعاة لمعنى "من". والاسم الظاهر حاله كحال الـــضمير. وقـــد أفرد سيبويه فصلاً في ذلك[١٥٦]، هذا هو لسان العرب الذي يجهله أوزون.

---

١٥٦. الكتاب: ٤١٥/٢. وينظر: المقتضب:٢٩٥/٢، ٢٥٢/٣.

وبعد أن يستعرض عدداً من الآيات ووجوه قراءاتها على هذه الشاكلة، ينتهي إلى قوله[١٥٧]:"عندئذٍ أقول: إن حركة أواخر الكلمات لا تغير المعنى، ولم يهتم بها الرسول صلّى الله عليه وسلم، وقد قرأ الصحابة في حياته بقراءات عدة، ومختلفة".

وقوله هذا هو محض افتراء وتدليس؛ لأن القراءات لم تكن باباً للفوضى، ولم يقرأ كلٌّ على هواه، كما يريد "أوزون" أن يسيغ للقارئ. وذكر أبوحيان أن القراءات القرآنية كلها، صحيحها وشاذها إنما جاءت على لغة العرب[١٥٨]. وقال ابن جنّي[١٥٩]:"والناطق على قياس لغة من لغات العرب مصيب غير مخطئ، وإن كان غير ما جاء به خيراً منه". وقال الداني[١٦٠]:"وإئمة القراء لا تعمل في شيء من حروف القرآن على الأفشى في اللغة والأقيس في العربية، بل على الأثبت في الأثر والأصحّ في النقل. والرواية عنهم إذا ثبتت عنهم لم يردها قياس عربية ولا فُشُوّ لغة؛ لأن القراءة سنة متبعة، يلزم قبولها والمصير إليها". هذا هو المذهب الذي لا يحسنه السيد أوزون، ولا أحسب أنه يريد أن يحسنه.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ويستعرض عدداً من الشواهد الشعرية، وإعراب النحاة لها، نحو: وقد يجمع الله الشتيتين بعدما يظنان كلّ الظنّ..."، و"تمرون الديار ولم تعوجوا..."، و"بني غدانة ما إن أنتم ذهب..."، ومرة يحيل إعراب هذه الأبيات إلى القارئ، وأخرى ينهي الإعراب بالحوقلة. ثم ينهي الفصل باستعراض عدد من التراكيب والأساليب، نحو: "أجدّك، و" بله "، و"ربٍّ

---

١٥٧. نفسه: ١٤١.

١٥٨. البحر المحيط: ٤١٩/٨.

١٥٩. الخصائص: ١٢/٢.

١٦٠. النشر في القراءات العشر: ١٠/١-١١.

ارحمني"، و"لاسيّما). وكسابق عادته يعرب الأساليب، كما جاءت في بعض كتب النحو، ويفرك يديه ويحيل إلى القارئ وبلاغته، ليكتشف فساد الإعراب. إذ يقول[١٦١]:"ونترك للقارئ الخيار في قبول أو رفض تلك البلاغة القواعدية، وذلك العلم الفريد السامي، الذي لا نستطيع فهم لغتنا وفهم قرآننا الكريم بدونه". وهو في كلّ ذلك يشن هجوماً على كلّ مظاهر اللغة العربية الفصيحة، لا على النحاة كما يزعم.

ويَسِمُ فصله الأخير بـ"بين الماضي والحاضر"، ويستهله بقوله[١٦٢]:"إن عقدة القديم هي عقدة الشرق الإسلامي بأسره وخاصة العرب، فما جاء من القديم صحيح، وكلّ ما يعارضه وما خرج عنه خاطئ أو مشكك فيه". وهو يُثَرِّب أصحاب مدرسة الماضي، كما يسميهم، وهم كما يقول:"يقفون في وجه كل من يحاول أن يأتي بجديد أو ينتقد القديم، وهم ينسوَن أن اللغة كائن حيّ ؛ لذلك تجدهم يؤمنون بأن اللغة العربية الفصيحة(المقعّدة) قادرة على أن تستوعب كافة المفردات والمصطلحات الجديدة –خاصة العلمية منها– ونحن نرى غير ذلك تماماً".

ونجد أن مذهبه يتجلّى بوجه، لعله أكثر وضوحاً ومباشرة ممّا سبق، فمشكلة الشرق هو التعصب للقديم على علاته، ورفضه للجديد على نفعه، لا لشيء ولكن لحداثته، ولذلك فهو يعلم موقف هؤلاء الذي اعتادت أعينهم على العيش في الكهوف، ولا يقدرون على مجابهة الشمس، والعيش تحت الضوء. ومن البديهي أن "أوزون" هو من يحمل مشعل الحداثة، وهو الذي يرفع شعار " اللغة كائن حيّ"، ولا بدّ لهؤلاء الحالمين من أن يستيقظوا على الحقيقة التي

---

١٦١. نفسه: ١٥٥.

١٦٢. نفسه: ١٥٧.

يفجـــأهم بهـــا: إنّ لغـــتهم باختصار عاجزة، ولسانهم عَيِيّ عن أن يستوعب المصطلحات والمخترعات العلمية الجديدة.

وهـــو يـــرى أن يعـــتمد العـــرب في العصر الحديث المصطلحات الإنجليـــزية؛ إذ يقول(١٦٣):" وعليه فإنه يتوجّب علينا أن لا نضيّع الوقت في إيجـــاد ما يقابل المفردات والمصطلحات العلمية الإنجليزية في اللغة العربية، وأن نعـــيد النظـــر في ما يسمّى بمجامع اللغة العربية ومهامها، فالعرب منذ بدايـــة القرن العشرين وحتى يومنا هذا – أي على مرّ قرن من الزمان – لم يقدمـــوا مصطلحاً واحداً في مجال العلوم والتكنولوجيا، في حين أنهم قدموا آلاف الكـــتب الدينـــية والأدبية التي لا تسمن ولا تغني من جوع... كما أن تسمية المخترعات هي من حقّ الأمم التي أوجدتها وأبدعتها ولا يحقّ لغيرها أن يغيـــرها". وهـــو يدعو إلى غلق باب من أهم أبواب العربية، فيقول:"إن إغـــناء لغتنا بمفردات ومصطلحات من لغات أخرى والتوقف والامتناع عن محاولـــة الاشـــتقاق اللغوي من جذور الكلمة العربية سيؤدي إلى تطويرها، وإلى مواكبة أهلها لآفاق العلم والمعرفة، وحسبنا بالقرآن الكريم إماماً، حيث استخدمت فيه مفردات غير عربية كثيرة (سندس، استبرق، سرادق...).

وهـــا هـــو ببساطة يرى أن المجامع اللغوية لا فائدة منها، ولا خير فـــيها. كما يقرر حقيقة أشد مرارة وهي أن المجامع لم تقدم مصطلحاً واحداً في مجال العلوم والتكنولوجيا، وأنّ العرب قدموا آلاف الكتب الدينية والأدبية التي لا تسمن ولا تغني من جوع، فالأمم التي تخترع هي التي تملك حق سكّ المـــصطلحات. واحرّ قلباه على الصينية واليابانية والكورية وأمثالها كيف لم تـــرزق بـــابن بـــارّ كالأستاذ أوزون يذكرها بسخافة الجهد الذي بذله ويبذله أبناؤها في سبيل البحث عن مقابل للمصطلحات الإنجليزية.

---

١٦٣. نفسه: ١٦١.

والــرجل كمــا نــرى ينفث كلّ ما يحوك في صدره على العربية الفــصيحة ومؤســساتها، فأمة العرب منذ عشرات السنين عالمهم وجاهلهم يسمّون السيارة والطيارة والدبابة والصاروخ وراجمة الصواريخ والغوّاصة والهاتــف... فإن لم تكن هذه مصطلحات عربية صميمة وضعت لمخترعات ظهرت في بلاد الأعاجم فما تكون.

وهــو جاحــد، فهو يبخس الكثير من المؤسسات والمراكز العلمية العــربية المعنــية بالتــرجمة والتعريب حقها؛ فالمجامع قد أبلت في مجال المــصطلحات بــلاء حــسناً، ويمكنه أن يطلع على المجلدات من محاضر الجلــسات والمعــاجم والمجــلات الصادرة عن مجمع القاهرة ليرى كم من المصطلحات عرّبت ودوّنت، وللمجمعين السوري والأردني، ومكتب تنسيق التعريب في الرباط، وغيرها من المراكز جهود طيبة أيضاً في هذا المجال، علــى أننا لا ننكر أن تلك الجهود أقل بكثير من الطموح، أمّا أن نجرد هذه المجامع والمؤسسات من كلّ فضيلة، فهذا ظلم ونكران لهذه الجهود الخيرة، علــى نقصها، وتشتتها، ولا يمكن أن يكون الغرض منه الخير للغة وأهلها، وما أجدر "أوزون" بهذا النكران!

أمّــا زرايــته على آلاف الكتب الدينية والأدبية أنها من قبيل عبث، ومضيعة للوقت، فلا يقول بهذا عربيّ يغار على عربيته وتراثه، ذلك التراث الــذي ربّــى الأجــيال، وهــذب طباعهم، وحفظ لغتهم. فضلاً عن أنه مادة عقــيدتهم. والرجل بعد ذلك لا يقرأ تاريخاً ولا يأبه به، فلو كانت اللغة التي يــزعم الانتساب إليها عيية، وتضيق بالتطور، لكان كشف عوارها، وفضح أمــرها، حيــنما نهــل العرب في العصرين الأموي والعباسي من كل علم، فاهتــضمته وأساغته تعلّماً وتعليماً. ودعوة أوزون إلى نبذ الاشتقاق إنما هي

دعــوة محــارب إلـــى تـــسليم سلاحه إلى أعدائه، وكفى بها دعوة إلى هدم العربية.

أمّـــا استشهاده بـــ"سندس" و"استبرق" ونحوهما، فأقول هذا اقتراض قـــوامه ألفاظ أعجمية معدودة دخلت العربية، ولا توجد لغة في العالم يزعم أصـــحابها نقاءهـــا مـــن مثل هذه الألفاظ، والإنجليزية نفسها التي يعتز بها "أوزون" فـــيها آلاف المفـــردات العـــربية، وهذه الحقائق شيء والدعوة إلى إدخـــال مجموعات كبيرة من الألفاظ والمصطلحات دون ضابط شيء آخر، وهي دعوة إلى إفساد اللغة وليس خدمتها.

وفي نهاية البحث يرى الباحث أنّ القراء سيكونون ثلاث زُمَر[١٦٤]:

- الزمـــرة الأولـــى وتـــشمل طـــلاب التحصيل العلمي العالي وكبار المثقفين، ويظنهم سيؤيدون البحث والأفكار المطروحة
- و الثانـــية تـــشمل المتخصصين، وهم – كما يرى– سيقرون بوجود ثغرات وإشكاليات في النحو العربي، وسيكونون عوناً هاماً له.
- والثالـــثة وتشمل أصحاب الاختصاص الذين آمنوا بالوهم والخيال، أصحاب الجارّ والمجرور وتعليقه.. .

والكاتب يطرح على نفسه سؤالين:

- الأول: ما الغاية من هذا العمل؟
- الثاني: ما هو البديل بعد افتراض قبول العمل؟

---

١٦٤. نفسه: ١٦٩.

وفي إجابته عن السؤال الأول يرى أن الغاية يمكن أن تقسم إلى قسمين، الأول مباشـــر، ويهدف إلى رفض قواعد النحو في اللغة العربية اعتماداً على النقد، والتأسيس لقواعد جديدة ترتكز على:

- موقع ودور الكلمة في النظم لا اعتماداً على أواخر الكلمات.
- إعمال العقل والمنطق في التقعيد.
- تأثير الزمن وفاعلية الأدوات (الحروف) في القواعد.

والهـــدف المباشـــر الثانـــي هو التأسيس لنشوء جيل عربي يتكلم لغة عربية واحدة دون ازدواجية بين العامية والفصحى. وهو يستدرك قائلاً[١٦٥]:" وهنا لا بد من الإشارة وبشكل صريح إلى وجوب عدم الخلط بين ما ندعو إليه، وبين لغة القرآن الكريم، فالقرآن الكريم في لهجته وقراءته هو صيغة تعبدية لا مجال لنقاشها، وبالرغم من أني مسلم مؤمن بكتاب الله عزّ وجلّ إلا أنه لا يمكنني فرضه على العربي غير المسلم ليكون مرجعيته العربية المعتمدة".

والقـــسم الثانـــي يمـــثل الهدف البعيد، ويهدف إلى خلق أمة عربية متطورة لها بصماتها في العالم المعاصر، لا بصمة أجدادها الغابرين، فلكي تتغير الأمة يجب أن تكون لغة معرفتها ولغة ثقافتها واختراعها ومعيشتها... واحـــدة، فـــنحن نـــتحدث بالعامية ونفكر بالعامية ونحب بالعامية. إن رئيس مجلـــس الوزراء البريطاني يتكلم في مجلس اللوردات كما يتكلم مع إخوانه وأصدقائه المقربين.

أمّا السؤال عن البديل، فيرى أنه ذكر خطوطه العريضة، أمّا الدخول في تفاصيله فيحتاج إلى عمل موسوعي ومؤسساتي كبير.

---

١٦٥. نفسه: ١٧١.

أقــول – مع الأسف– تمخّض الجبل فولد حَصاة. إن السيد "أوزون" يعتــريه طائف ممّا يسمّى جنون العظمة، فهو يرى أن الجموع تتلقف كتابه مــتلهفة فور قذف المطبعة أول نسخة منه، وهم بعد أن يغنموا ما غنموه من هــذه النــسخ ينتحي كل منهم زاوية، أو بطن وادٍ ينكبّ فيه على هذا السفر العظــيم، فيــصدرون عنه زمراً ثلاثاً. ونقول ههنا للسيد أوزون إن ما في الكتاب لا يمكن أن يؤيده من كان له مُسكة من انتماء إلى لغته وتراثه، ليس لأنه يهاجم العربية وأهلها وحسب، بل لأنه يدعو إلى التدمير والفوضى، ولا يملك منهجاً للبناء. فلكل مصلح ثلاثة أركان لا يمكنه أن ينجح دونهن، الأول أن يــتملكه حب المبادئ التي يبغي إصلاحها، وثانيهما أن يكون على معرفة بدقائــق تلــك المبادئ، والثالث أن يمتلك منهجاً واضحاً لهذا الإصلاح. ولا أظن أن السيد "أوزون" يحتقب أياً منها.

أمّــا هدفه المباشر وتأسيسه قواعد جديدة، مبنية على دور الكلمة في النظم، وإعمال العقل، وفاعلية الأدوات، فنقول له: هدفك في اطراح الإعراب معروف، ولكن من أنبأك بأن العربية تعتمد على أواخر الكلمات وحسب؟ أمّا مــسألة إعمال العقل وفاعلية الأدوات فلا أظن أن أحداً يمكن أن يخوض هذا المــيدان غيرك، كما رأينا، لأنك تضرب فيه بما يهجس في عقلك، دون سند مــن رواية ولا دراية. وأمّا سعيكِ إلى أن يأتي جيل عربي يتكلم لغة عربية واحــدة دون ازدواجــية بين العامية والفصحى، فأقول لك إن كل دعوة مثل دعــوتك مــصيرها الإخفاق؛ لأن أيّ دعوة تتجاهل اللغة العربية الفصيحة، ســيكون مصيرها مصير عروس من الثلج، لوحتها شمس الظهيرة، وسيبقى هــذا الجيل حلماً في رؤوس أصحابه، لا يمكن أن يتحقق، فالتمسك بالعربية الفــصيحة هو تمسّك بالعقيدة، وتمسّك بالوحدة، لأنها السلك الذي ينتظم كلّ مقوّماتنا.

أمّا إشارته الصريحة إلى وجوب عدم الخلط بين ما ندعو إليه، وبين لغة القرآن الكريم، فأقول إن ما أفسدته من اللغة التي تدعو إليها، وازدراءك لغـــة القرآن، ودعوتك إلى العامية صراحة، لا يجعل هذا التباكي على لغة القـــرآن يجوز على أحد. أو تظن أنه لو تحققت دعوتك الهدامة، سيبقى من يفهـــم هـــذا الكـــتاب المقـــدس؟ أمْ تـــريد أن يتحول تراث العربية أيقونات ومخطـــوطات يعـــد عارفـــوه فـــي عـــداد العارفين بالكنعانية والفرعونية والآشورية.

أما هدفه البعيد وهو خلق أمة عربية متطورة لها بصماتها في العالم المعاصر، لا بصمة أجدادها الغابرين، فأقول"شِنْشِنَةٌ أَعْرِفُها مِن أَخْزَم"، فبعد أن ضرّجتَ لغتك بالعقوق، أنت تعيش أوهاماً قد عاشها الكثير قبلك ولم تتعظ مـــن تجـــاربهم، فأيّ عامية هذه التي تدعو إليها يا سيد أوزون؟ ومن الذي ســـيأخذ بهـــا؟ السورية أم المصرية، أم الأردنية، أم المغربية، الحضرية أم الـــبدوية الـــشمالية أم الجنوبية؟ أمّا حلمك أن نصبح كرئيس مجلس الوزراء البريطانـــي يـــتكلم فـــي مجلـــس اللوردات كما يتكلم مع إخوانه وأصدقائه المقـــربين، فلا أقول إنك لست تعرف لغتك وحسب، بل ولغة غيرك أيضاً، وإذا ظنـــنت أن لغة رئيس مجلس الوزراء البريطاني، في مجلس اللوردات هي نفسها التي يتحدث بها في الشارع فأنت واهم، على الاختلاف البيّن بين العربية والإنجليزية.

فاللغـــة الإنجليزية تتفرع إلى عدد اللهجات المختلفة المتباعدة، والتي هي في طريقها لتصبح لغات منفصلة متمايزة، وما عليك إلاّ أن تدير محرّك بحـــث "الانترنت" في الندوات والمناقشات التي تدور في الكلام على عولمة

اللغـــة الإنجليـــزية لتعرف هذه الحقيقة[١٦٦]، ويمكن استشفاف بعض الحقائق المهمـــة في هذا الشأن من مقال"باربارا ولراف"المحررة في مجلة" atlantic monthtly" "اللغـــة العالمـــية"[١٦٧]، علـــى الـــرغم من أنها تأمل أن تكون الإنجليـــزية لغة المستقبل. وقد صنف بعض المؤلفين الإنجليز معاجم في لغة الشارع، كما صنع سكوت سمبسون في معجمه " the wee book of scots slang"[١٦٨]، ويحـــشد فـــيه طائفة من ألفاظ الشوارع، لا يعرفها أهل اللغة أنفسهم.

ويقـــول تراسك – ولعلك أكثر ثقة فيما يقوله– في كتابه: "أساسيات اللغـــة"[١٦٩]:كل لغة محكية عبر امتداد كبير من الأرض تتجلى فيها تنوعات كالإســـبانية والفرنـــسية والإيطالـــية والعربية... "، فالعربية ليست بدعاً من اللغات في هذا، كما أن الإنجليزية يجري عليها ما يجري على غيرها، يقول كلوكـــسبيرغ ودانكـــس فـــي كـــتابهما[١٧٠]" مـــدخل إلى علم النفس اللغوي التجريبي":في بلد كبير مثل الولايات المتحدة هناك " إنجليزية فصيحة" وهي لهجـــة مثالية لا تدل لا على إقليم المتكلم ولا على طبقته.. وهي السائدة بين المذيعـــين ومقدمـــي البرامج التلفزيونية" وجاء في الصفحة نفسها عن اللغة الألمانية:"إنك تفهم كلام الناس ما دمت تسير من منطقة إلى منطقة مجاورة،

---

١٦٦. وينظر ما كتبه د. أحمد أبو زيد في مجلة العربي العدد "٥٤٢" يناير ٢٠٠٤: ٣٠ "هل تقوم لغة عالمية واحدة؟".

١٦٧. "global language" ٢٠٠٠ Atlantic monthly, November.

١٦٨. Scots simpson "The wee book of scots slang" .

١٦٩. R.L.Trask: language. The basics: ٧٥، وأرشدني إلى هذا نص ما جاء في كتاب" العربية تواجه التحديات" للدكتور طالب عبد الرحمن:٧٦.

١٧٠. نقلاً عن كتاب"العربية تواجه التحديات:٧٧.

ولكن إذا انتقلت إلى مسافة بعيدة ضمن الأرض الألمانية فلن تستطيع الفهم"، فهل اطلع أوزون على مثل هذه الحقائق.

وبعد فإن السؤال الذي لا يفارق الذهن عند قراءة ما كتب "أوزون "، وما كتب أمثاله قبله، وما سيكتب على نهجه من سيجيء بعده، إذا كانت اللغة العربية الفصيحة – ولنضع جانباً أنها لغة القرآن الكريم- عجزت عن مواجهة الحضارة- كما يزعمون- والقيام بواجباتها نحوها، بكل ما تحمل من خبرة ونجاح في مستوياتها كافة، وفي شتى ميادين العلوم على مدى قرون، أيمكن للهجة عامية فقيرة بين آلاف اللهجات أن تنوء بالعبء نفسه، بالكفاءة نفسها؟

وإنّ المرء ليحار حينما يسمع عربياً يزعم انتماءه إلى العربية ينادي بوأد العربية الفصيحة لعدم صلاحيتها، ويتأمّل ما يقوله المستشرقون ممن يفترض أنهم يعتزون بلغتهم التي يعرفون دقائقها، ولا يسعهم إلاّ أن يقرّوا بعظمة العربية، ومن هؤلاء "فيلا سبازا"، إذ يقول[١٧١]: واللغة العربية من أغنى لغات العالم بل هي أرقى من لغات أوربا لتضمنها كلّ أدوات التعبير في أصولها، في حين أن الفرنسية والإنجليزية والإيطالية وسواها قد تحدّرت من لغات ميتة ولا تزال حتى الآن تعالج رِمَم تلك اللغات لتأخذ من دمائها ما تحتاج إليه".

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

---

١٧١. الفصحى لغة القرآن: ٣٠٨.

خلاصة الموضوع:

- العنوان الذي وسم الكاتب عمله به ينبئ بشكل جليّ، بأنه يبحث عن الإثارة أكثر من سعيه إلى المنهجية والموضوعية في مناقشة القضايا التي طرحها(١٧٢).

- إن القـــارئ المنصف لأي فصل من فصول كتاب "أوزون"، لا يسعه أن يـــصف الكتاب إلا بأنه دعوة لإشاعة الفوضى في اللغة العربية الفصيحة، ودعوة صريحة للهدم، وازدراء التراث، بقطع النظر عن أهداف الكاتب.

- الكاتب يفور غيظاً على العربية الفصيحة وتراثها، وعلى الرغم من محاولـــته إخفاء هذا الشعور إلا أنه باد في كلّ كلمة يتفوه بها. وما نقـــده الجائـــر لشعر امرئ القيس، إلاّ مظهراً جلياً من مظاهر هذا الشعور.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

- كثيـــراً ما يخلط بين مستويين من مستويات اللغة، المستوى اللهجي والمستوى الفصيح.

- يدعي "أوزون" إصلاح لغة وهو لا يملك الأدوات ولا المنهج لتحقيق هدفه الذي يسعى إليه.

- ينتقد في كثير من آرائه اللغة ومسالكها لا اللغويين والنحاة.

- يدعـــو إلـــى نـــبذ باب من أهم أبواب العربية وأكثرها حيوية وهو الاشتقاق، وكفى بهذا هدماً.

---

١٧٢. ويـــبدو أن الكاتب اتخذ "الجناية" منهجاً في تآليفه، كما أشرت في المقدمة، وقد أضاف إلى "جناية سيبويه" جناية الشافعي، وجناية البخاري، ولعله يفكر في تأليف موسوعة للجنايات.

- حِرْصـــه على انتقاد تجاوز اللغويين -كما يرى- في إعراب بعض آيـــات كـــتاب الله الكـــريم- وعلى الأخص مسألة زيادة الحروف- ضرب من السخرية، والاستهزاء، ومحاولة للتعريض باللغة.

- إن مـــن أبـــرز الإشكاليات عند الكاتب المصطلحَ النحوي، وتحديد مفهومه.

- استخدم الكاتب مصطلحات مضطربة، وأسلوباً ركيكاً ملبساً في كثير من مناقشاته.

- أسلوبه في كثير من مناقشته لقضايا اللغة، فيه كثير من الإسفاف.

- يـــستخفّ بالقارئ، ويحسب أن حصيلة هذا القارئ اللغوية تمكنه من تمريـــر هـــذا الكم الكبير من معلوماته الخاطئة، فضلاً عن تحليلات سقيمة جلّها لا يمت إلى النصّ ولا الإصلاح بصلة.

- محاولـــته اليائـــسة فـــي السير على خطى تفكيك العلاقة بين اللغة الفصيحة والقرآن الكريم محاولة بائسة ولا تجوز على أحد، فالزراية باللغـــة الفـــصيحة والتقلـــيل من شأنها بهذه الصورة التي أنشأها لا تستثني أي نصّ عربي.

- إن الكاتب يستنكف أن يوثق رأياً محدداً من أيٍّ من المراجع النحوية أو اللغوية، على الرغم من صلتها بالموضوعات التي يطرحها، وما وثّقه منها، إنما هو إيهام بأنه عاد إلى شيء منها.

- تلبيـــسه علـــى القارئ، إذ يتناول الكثير من القضايا النحوية تناولاً جـــزئياً، ويحرفها عن قصد، ليعطي القارئ صورة مشوهة عن تلك القضايا.

- يطرح الكثير من الانتقادات والملحوظات دون أن يطرح البديل.
- إن منهجه يثير الشكوك في كل ما يتعلق باللغة العربية الفصيحة، وهذا المنهج يمثل خطراً كبيراً عندما يطالعه من لا يملك المعرفة الحقيقية للعربية، فإن أضاف القارئ إلى هذا موقفاً سلبياً منها كان خطره أشدّ.
- الكاتب يدعو - كغيره ممن نَهَج نهجه- إلى لغة يأنف هو من استخدامها.
- ثمة قضايا أثارها الكاتب، هي قضايا تمسّ اللغة، وهي بحاجة إلى نظر وبحث، غير أن منهج الكاتب وحصيلته اللغوية وأسلوبه لا تؤهله لمناقشتها.
- إنّ المطّلع على كتاب السيد "أوزون" يخلص بحقّ إلى أن ما يليق به مقعد الدرس، لا منبر المصلح.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

المصادر والمراجع

- الأستَراباذيّ، الرضيّ، شرح الكافيَـــة، دار الكُتب العلميّة.
- امرؤ القيس، ديوان، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف،ط٤.
- الأنباري، أبو البركات، الإنصاف في مسائل الخلاف، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد،١٩٨٢.
- أسرار العربية، تحقيق فخر قدارة، دار الجيل، بيروت، ط١، ١٩٩٥
- أوزون، زكريا،جناية سيبويه"الرفض التام لما في النحو من أوهام"، رياض نجيب الريس للكتب والنشر، ط١، ٢٠٠٢.
- البغدادي، عبد القادر بن عمر، خزانة الأدب ، تحقيق عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط١، ١٩٨٦.
- التوحـــيدي، أبـــو حيان، كتاب الإمتاع والمؤانسة، ضبط وتصحيح أحمد أمين، وأحمد الزين، دار مكتبة الحياة، بيروت.
- ثعلـــب، أحمـــد بن يَحيى، مَجالس ثعلب، تحقيق عبد السّلام هارون ، دار المَعارف، ط٢.
- الجرجاني، عبد القاهر، دلائل الإعجاز، تحقيق محمود شاكر، دار المدني، جدة، ط١٩٩٢،٣.
- ابـــن الجـــزري، محمـــد بن أحمد، النشر في القراءات العشر، دار الكتب العلمية، بيروت.
- جرير، ديوانه، شرح إيليا حاوي، دار الكتاب اللبناني، ط١، ١٩٨٢.
- الجندي، أنور، الفصحى لغة القرآن، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٩٨٢.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

- ابـــن جنّي، أبو الفتح، الخصائص، تحقيق محمد علي النجار، دار الكتاب العربي، بيروت .
- حسن، عباس، النحو الوافي، دار المعارف، مصر، ط٣، ١٩٦٦.
- أبـــو حـــيان، محمد بن يوسف، البحر المحيط، تحقيق عادل عبد الموجود وآخرون، دار الكتب العلمية، بيروت،ط١، ١٩٩٣.
- ابـــن خلدون،محمد،مقدمـــة ابن خلدون،تحقيق درويش الجويدي، المكتبة العصرية،بيروت٢٠٠٣.
- الـــزجاج، أبو إسحاق إبراهيم بن السري، معاني القرآن وإعرابه، تحقيق عبد الجليل شلبي، عالم الكتب، ط١، ١٩٨٨.
- الراجحي، عبده، التطبيق النحوي، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٨٥.
- الزَّجّاجيّ، أبو القاسم عبد الرحمن بن إسحاق، مَجالس العُلماء، تحقيق عبد السّلام هارون، وزارة الإرشاد، الكُويت،١٩٦٢.
- الزمخشري، أبو القاسم، محمود بن عمر، الكشّاف، دار الفكر .
- السامرائي، فاضل، معاني النحو، دار الفكر، الأردن، ط٢، ٢٠٠٢.
- ابـــن الـــسرَّاج، أبو بكر محمد بن سهل، الأصول في النحو، تحقيق عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة، ط٣، ١٩٨٨ .
- السموأل، ديوانه، مطبوع مع ديوان عروة بن الود، دار صادر، بيروت.
- ســـيبَوَيهِ، الكِـــتاب، تحقيق عبد السّلام هارون، دار الجيل، بيروت، ط١، ١٩٩١.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

- الـــسيوطي، جـــلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر، هَمْع الهَوامع، تحقيق أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٩٨.

- الاقتراح، تحقيق أحمد الحمصي ورفيقه، جروس بروس، بيروت، ط ١، ١٩٨٨.

- الـــشوباشي، شـــريف، لتحيا اللغة، يسقط سيبويه، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٤.

- الـــصبان، محمد بن علي الصبّان، حاشية الصبان على شرح الأشموني، تحقيق أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، ط١، ١٩٩٧.

- الحمـــوي، ياقـــوت، مُعجَـــم الأدبـــاء، تحقيق إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي،ط١٩٩٣،١.

- عـــبد الـــرحمن، طالـــب، العـــربية تواجه التحديات، كتاب الأمة، وزارة الأوقـــاف والـــشؤون الإســـلامية، قطـــر، العدد، ١١٦، السنة السادسة والعشرون، ط١، كانون أول، ٢٠٠٦.

- عبد العزيز، محمد حسن، محاضرات في اللغة العربية ومشكلاتها، مكتبة الشباب .

- ابـــن العجـــاج، رؤبة، تصحيح وليم بن الورد، دار الآفاق الجديدة، ط١، ١٩٧٩.

- عضيمة، محمد عبد الخالق، دراسات لأسلوب القرآن الكريم، دار الحديث، القاهرة.

- ابن عقيل، بهاء الدين عبد الله، شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، ١٩٩٠.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

- الفراء، أبو زكريا، مَعاني القرآن، دار السرور، بيروت لبنان، ج١:تحقيق أحمد نَجاتي ومحمّد النّجّار، ج٢: تحقيق محمّد النّجّار، ج٣: تحقيق د.عبد الفتاح شلبي.
- فلـــيش، هنـــري، العـــربية الفصحى"نحو بناء لغوي جديد"، ترجمة عبد الصبور شاهين، دار المشرق، بيروت، ط٢، ١٩٨٣.
- القرطبـــي،أبو عبد الله محمد بن أحمد، الجامع لإحكام القرآن الكريم، دار الكتب العلمية، ١٩٩٣.
- الكـــسائي، علـــي بن حمزة، مَعاني القرآن، تحقيق.عيسى شِحاتة،دار قُباء للطّباعة، ط١، ١٩٩٨.
- الكنغـــراوي، صـــدر الدّين، المُوفي في النّحوِ الكوفي، تحقيق محمّد بهجة البَيطار، المَجمَع العِلميّ العربيّ .
- ابن مالك، محمد، شرح الكافية الشافية، تحقيق علي معوض وزميله، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ٢٠٠٠.
- المُبَـــرَّد، محمد بن يزيد، المُقتضَب، تحقيق عبد الخالق عُضَيْمـــة ، عالَم الكُتُب.
- ابـــن مجاهد، أبو بكر أحمد بن موسى، كتاب السبعة في القراءات، تحقيق شوقي ضيف، دار المعارف.
- المخزومي، مهدي، في النحو العربي نقد وتوجيه، المكتبة العصرية، صيدا – بيروت، ١٩٦٤.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

- مدكـــور، إبـــراهيم، مجمـــع اللغة العربية في ثلاثين عاماً، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، ١٩٦٤.

- محاضر الجلسات في الدورة الحادية عشرة، القاهرة، ١٩٧١.

- ناصف، علي النجدي، سيبويه إمام النحاة، عالم الكتب، القاهرة، ١٩٧٩.

- الهـــروي، علي بن محمد، الأزهية في علم الحروف، تحقيق عبد المعين الملوحي، ١٩٨١ .

- ابن هشام، جمال الدين عبد الله، أوضح المسالك إلى ألفية بن مالك، تحقيق بركات هبّود، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٤.

- مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، تحقيق، مازن المبارك وزميله، دار الفكر، بيروت، ط٦، ١٩٨٦.

- ابـــن هشام، عبد الله بن يوسف، تخليص الشواهد، تحقيق عباس الصالحي، المكتبة العربية، بيروت، ط١، ١٩٨٦م.

- ابـــنِ يَعيشَ، موفق الدين، شرح المُفصّل، المَطبعة المُنيريّة بالقاهرة .

- The "Scots simpson, black and white publishing, ٢٠٠٤ wee book of scots slang"

- R.L. Trask: Language. The basics. ٢nd edition. Routledge ١٩٩٥.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

المنشورات:

- مجمـــوعة القـــرارات العلمية في خمسين عاماً(١٩٣٤-١٩٨٤)، أخرجها محمد شوقي أمين وإبراهيم الترزي، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، ١٩٨٤.

المجلات:

- مجلة العربي العدد "٥٤٢" يناير ٢٠٠٤.

- مجلـــة التـــراث العربـــي، مجلة فصلية تصدر عن اتحاد الكتاب العرب، دمـــشق، العدد٩٣-٩٤، السنة الرابعة والعشرون، آذار وحزيران، ٢٠٠٤، المحرم وربيع الثاني ١٤٢٤هـــ.

-Atlantic monthly, November ٢٠٠٠

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

نصوص ضائعة من كتاب "الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة"

لأبي الحسن علي بن بسّام الشنتريني (ت ٥٤٢ هـ)

هلال بن ناجي*

قــبل أكثر من ربع قرن من الزمن نشر العلاّمة د. إحسان عباس كتاب ابن بسام الموسوم "الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة" في ثمانية أجزاء. وكان الظفر بهذا الكــتاب كــاملاً في طبعة علمية –بعد إذ توقفت الطبعة المصرية عقوداً من السنين حتــى ألغــتها طــبعة إحسان عباس – يعدّ نصراً كبيراً في ميدان نشر النصوص الأندلسية المخطوطة الغميسةِ وإحسان عباس غنيٌّ عن التعريف، فقد حقق أكثر من خمــسين مصنفاً، وأكثر من ستة وعشرين كتاباً، هذا عدا المقالات العلمية المتناثرة في شتى الدوريات العلمية.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وقــد انصبّ جانب كبير من تحقيقاته على النصوص الأندلسية حتى عُد من أكثــر المحققــين المشارقة اهتماماً بالنصوص الأندلسية المخطوطة. وكان أبرزها كــتاب "نفح الطيب" للمقري وقد طبع في ثمانية أجزاء، و"الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة" لابن بسام، وصدرت في ثمانيَة أجزاء أيضاً.

ولقد بذل الدكتور إحسان عباس جهوداً ضخمة للظفر بأصولها وتنقيتها من الاخــتلاط، ثــم إخراجها إخراجاً سليماً. وقد تنبّه أثناء عمله إلى وجود أسقاط في النصوص بضياع بعض التراجم أو أجزاء منها فأشار إلى ذلك.

---

*عضو مراسل بمجمع اللغة العربية بدمشق ورئيس اتحاد المؤلفين والكتاب العراقيين الأسبق والحائز على جائزة المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم في تحقيق المعجمات.

وخلال وُقُوفي على مخطوطة "مسالك الأبصار في ممالك الأَمصار" للعمري أحمد بن يحيى بن فضل الله (قسم شعراء المغرب والأندلس) شدّت نظري نصوص أندلسية نُقلت من كتاب ذخيرة ابن بسّام لكنّها غير موجودة فيما نُشر منها. أي أنها من النصوص الضائعة المكمِّلة والمتممة للذخيرة المنشورة.

ورأيــت في جمعها ونشرها خدمة للكتاب بعد رحيل محققه عسى أن تظهر فــي طبعة ثانية. وأنا أهديها إليه وهو في عالم الخلود في ذكرى رحيله –رحمه الله رحمة واسعة–.

النصوص الضائعة

(١)

نص ضائع يخص ترجمة الشاعر عن الجليل بن وهيون المرسي [قال ابن بسّام، وقد ذكر واقعة اذفونش مع المعتمد ويوسف بن تاشفين فقال: وكان اذفونش قد اضــطره الخَــوَرُ يومئذٍ للفرار فتسنّم الجبال الشاهقة والأوعار العالية إلى أن جُنَّ الظلام، فنحا نحو الحارث بن هشام، برأس طمرّةٍ ولجام، فدخل طليطلة مع شرذمة من اتباعه قليلة، ونفوس طائفته مخذولة. فقال ابن وهيون، وذكر له شعراً من قوله:

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

نَمَـــى فـــي حميـــرٍ ونَمَـــتكَ لخـــم وتلـــك وشـــائجٌ فـــيها الـــتحامُ
فيوســـف يوســـفٌ إذْ أنـــت مـــنه (....) يعمّكمـــــا التـــــئامُ
نَهَجْـــتَ لـــسيله نهجـــاً فوافـــي وفـــي آذيِّـــهِ الطامـــي عُـــرامُ
فَهِـــيل بـــه كثـــيبُ الكفـــرِ هـــيلاً وكـــلُّ رقـــيقةٍ مـــنه ركـــامُ
وصـــاروا فـــوق ظهرِ الأرض أرضاً كـــأن وهادهـــا مـــنهم أكـــام
عديـــدٌ لا يـــشارفه حـــسابٌ ولا يحـــوي جماعـــته زمـــامُ
تآلفـــتِ الوحـــوشُ علـــيه شـــتّى فمـــا نَقَـــص الـــشرابُ ولا الطعـــامُ
فـــإنْ يَـــنْجُ اللّعـــين فـــلا كَحُـــرٍّ ولكـــن مـــثلما يـــنجو اللـــئامُ]

(٢)

نص ضائع يخصّ ترجمة أبي الوَليد البجلي[1] .

...[قـــال ابـــن بسام فيه: كان باقعة دهره، ونادرة عصره، ولم يَصِدْ دراهمَ ملـــوك أُفقنا إلاّ بحرِّ النادرة، وكان يُضحك من حَضَرَ، ولا يكاد يتبسّم إذا نَدَّر، وهو القائل يصف طلوعَ الشمس ومقابلة القمَر لها:

أمـــا تـــرى الـــشمس وهـــي تمـــنعُ عـــــنها إدامـــــة النَّظَـــــرِ
حمـــراء صـــفراء فـــي تلَـــوُّنها كأنّهـــا تـــشتكي مـــن الـــسَّهَرِ
مـــثلَ عـــروسٍ غـــداة ليلـــتها تُمْـــسِكُ مـــرآتها مـــن القَمَـــرِ

---

(1) الصواب: النحلي.

قـــال ابـــن بسّام : ومن نوادر الآفاق، الحلوة المساق، الغريبة الاتفاق، خَبَرُ البجلـــي هـــذا مع المعتمد بن عباد، وذلك أنه مشت يوماً بين يديه بعضُ نسائه، في غلالـــة لا تكـــاد تفرق بينها وبين جسمها، وذوائب تخفي إياة الشمس في مُدْلَهمّها، فسكب عليها إناء ماء ورد كان بين يديه، فامتزج الكلُّ ليناً واسترسالاً، وتشابه طيباً وجمالاً، وأدركت المعتمد أريحية الطَّرَب، ومالت بعطفيه راحُ الأدب فقال:

وهويتُ سالبةَ النفوس غريرةً تختال بينَ أسِنَّةٍ وبواترِ

ثـــم تعذر عليه المقال، وشغلته تلك الحال، فقال لبعض الخَدَم القائمين على رأسه : سِرْ إلى البجلي، وخُذْه بإجازة هذا البيت ولا تفارقه حتى يفرغ منه، فأضاف البجلي الأول إليه، وألحق هذه الأبيات عليه وهي:

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

راقـــتْ محاسُـــنها ورقَّ أديمُهـــا فـتكاد تُبـصرُ باطـناً مـن ظاهـرِ
وتمايلـت كالغـصن أورقَ فـي النقا والـتفَّ فـي ورقِ الـشبابِ الناضرِ
يـندى بمـاءِ الـورد مُـسْبَلُ شعرها كالطـلِّ يَـسْقُطُ مـن جـناحِ الطائرِ
تزهـى بـرونقها وحُـسْن جمالهـا زهـدَ "المـؤيد" بالثـناءِ العاطـرِ
ملـكٌ تـضاءلت الملـوك لقـدره وَعَـنا لـه صـرفُ الـزمان الجائر
وإذا لمحـتَ جبينَـه ويمينَـهُ أَبْـصَرْتَ بـدراً فـوق بحـرٍ زاخر

فلما قرأها المعتمد استحضره وقال له: أحسنت، أو معنا كنتَ؟

فأجابه البجلي بكلام معناه: يا قاتل المحل، أو ما تَلَـوتَ (وأوحـى ربُّـك إلى النحل) وله:

وأجـــدلٍ أقلقـــهُ طـــولُ القـــرَمْ
قحمـــتُهُ بـــين الكراكي فاقتحم
وعـــاد للكـــفِّ ومـــا شـــكا ألَمْ
يمـــسحُ مـــنقاراً عـــلاهُ منه دَمْ
ككاتـــبٍ يمـــسحُ حِبْراً من قَلَمْ]

تعلـــيق: وجدتُ الخبر كاملاً في نفخ الطيب ٣/٢٣٣- ٢٣٤، وفيه تصحيف في اسم قائل الأشعار فهو في النفح أبو الوليد النحلي، وأرجح ما ذهب إليه صاحب النفح، والنحلي من أهل بطليموس. وأورد الحكاية أيضاً ابن ظافر الأزدي في البدائع ص ١١٣- ١١٤. ونسب الشعر للنحلي أيضاً.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

(٣)

تـــرجمة الـــشاعر أبـــي الحسن بن هارون الشنتمرّي ساقطة من الذخيرة المطبوعة، وفيها نص نقله العمري عن ابن بسام هو:

[وقـــال ابـــن بسّام فيه : وأبو الحسن هذا سهل الكلام، بارع النظام، ممّن اغترف من بحر الكلام بكلتا يديه، وجذب بثوب البيان من كلا طَرَفَيْه، فأمّا سَلَفُهُ من قبل فقد انخذع لهم الزمان بُرَيهةً، وهَيْتَم بأسمائهم السلطان هنيهةً، إلى أن نبَّه الدهرُ الغافلُ على أمرهم، وأسكتَ عن ذكرهم. وممّا أنشد له قولُه في أسدٍ من ذهَبٍ يَصُبُّ ماءً:

وحديقـــةٍ شَـــرِقت بِغَمْـــرِ نميـــرها يحكـــي صـــفاءَ الجـــوِّ صَفْوَ غديرها
تُجـــري المـــياهَ بهـــا أســـودٌ أُحكمَتْ مـــن خـــالص العقـــيان في تصويرها
وكأنَّهـــا أُسْـــدُ الـــشَّرى فـــي شـــكلها وكـــأنَّ صـــوتَ الماءِ صوتُ زئيرها

وقوله:

انظـــرُ إلـــى ثابـــتٍ علـــى طِـــرْفِهْ قـــد سَـــلَّ ســـيفَ المـــنون من طَرْفِهْ
وهـــزَّ مـــن قَـــدِّه لـــواء ردىً يُـــردي الـــصحيح الـــسليم مـــن حَتْفِهْ
يطـــوفُ بـــالحجِّ مـــنه بـــدرُ دجـــىً علـــى جـــوادٍ كالبـــرق فـــي خَطْفِـــهْ
يكـــادُ مـــن ليـــنهِ ونِعْمَـــتِهَ يعقـــدُ عقـــدَ العِـــنان فـــي نـــصْفِهْ]

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

(٤)

القطعة التالية من نثر أبي عبيد البكري ساقطة من الذخيرة المطبوعة. وقد تصدّر ترجمته قول ابن بسّام فيه "[وأورد من نثره قوله : وأنّى لي في هذا بإصابة عـــرضٍ أرْمـــيه، أو إِضاءةِ سقطٍ أُريه، مع زمانة الزمان، وبلادة البلدة من قريحة قـــريحه، وطـــبعٍ طُـــبع، وخَيْمٍ وخيم، ونحوٍ قد نُبذ، ولُغةٍ جُعلت لغواً، وطالبُ العلم مُطالب، والمتحلّي بن مُخَلّى، وقضايا العقل معكوسة، وحظوظ الفعل منحوسة].

(٥)

تـــرجمة أحمد بن محمد بن حجاج سقطت من كتاب الذخيرة المطبوع، وقد نبَّه محققها إلى ذلك في ص ٢٣٥، ٢٣٨ ق ٢ م١ منها.

قـــال د. إحـــسان عباس في هامش ص ٢٣٨ ما نصه (هنا تقع ترجمة أبي عمر أحمد بن محمد بن حجاج ... وأرجو أن أوفق إلى العثور على الترجمة كاملة وإلحاقها بهذا القسم من الذخيرة). ولم يتح له العثور عليها.

[قـــال ابـــن بـــسّام : من أسرةٍ طلعوا مع الكواكب كواكب، وملأوا عيون العجائـــب عجائب، أهلُ بيتٍ عُمْدُة القنا والقنابل، وأطنابُهُ اللُّهى والفواضل، فصالَتْ دونَهُ القبائل، وتقاصر عنه الدهر المتطاول، ونَحَم هذا الرجل فكان بحبوحة شرفهم، وسابق سَلَفِهم وخَلَفهم، وقد خَرَّجتُ له ما يشهد أنه سريُّ أسرِبَة، وقريع أهل تجربَةْ. ومما أنشد له قوله:

المـــوت مـــوردنا إلـــيه توضـــعُ ونفوسُـــنا طيـــر إلـــيه وُقـــعُ
دُنـــيا كعهـــد المومـــسات بقاؤهـــا والـــوغد يـــضمنه اللئـــيم الأكـــوعُ
تجـــري الـــنفوسُ بهـــا إلـــى آجالها فـــي مُـــدَّةٍ هـــي للمنـــية مِهْـــيَع
أيـــن القـــرون الـــسابقات إلى النهى هـــل مُقْلَـــةٌ تـــرنو وأذنٌ تـــسمعُ

ومما أورد له من نثره:

أنا بين أمواج عَرْفك الغَدِق، كالمغمور الغَرِق، كُلّما رُمْتُ الوصول إلى فُلك الشكر لم أصل إليه، أو طلبتُهُ لم أقع عليه، فصرتُ كما قال القائل:

أقـــبلتُ أرجـــو فـــضولَ نائلـــهِ فَـــصِرْتُ أشـــكو مـــن ســـيبِه الغَرَقا

وإننـــي لمّا ترادفَتْ عليَّ تلك الأمواج، وغمرني ذلك البحر العجاج أظفرني

الله بسفينة الدُّعاءِ، فوصلتُ إليها ونجوتُ عليها.

(٦)

فـــي ترجمة أبي أيوب سليمان بن أبي أمية سقط النص التالي المنقول عن الذخيـــرة. وهـــو هـــو [قال ابن بسّام وقد ذكره : فصل في ذكر الفقيه أبي أيوب، وإثـــبات جملة من نظمه ونثره اللذين عَطَّلا الدُّرَّ في النحور لا في البحور، وأخجلا الزهْـــرَ في الكمام، والمدام في أيدي الندام، وهو في وقتنا هذا بحر الأدب وساحِلُه، وسَـــنامُ العَـــرَب وكاهِلُه، وسنانُ المجد وعاملُه، ورافعُ لواءِ الحمد وحامِلُه. ودارت دولـــة المعـــتمد على أَبيه مدارَ مذهب المدينة على مالك، وكانت ترجع إليه رجوعَ الحـــساب إلـــى فدلك (كذا)!. ونشأ ابنه الوزير أبو أيوب والخطابة تجنُّ به جنونُها، والكتابة تمدُّ إليه شمالُها ويمينُها، فنظر إليها بمؤخرعين لا يروى، إلاّ بشحظ كتاب، أو خطّة محراب، وأرعاها جانبَ سَمْعٍ لا يأنس إلاّ بدعوة مستقيل أو نعمة مستنيل، حتى انجابت لم يحلّ لها حُباه، ولا صَرَفَ فيها رأيَهُ ولا هواه، وقد أثبتّ مما وجدت له ما يملأ الأسماع، ويرُهف الطباع، وتجاوز حدّ الإجادة والإبداع. ثم ذكر شيئاً من شعره وقال: وهذه نبذة تظهر للقريب الغريب، اختلستُها خُلسة الذيب، واحتملتُ فيها مـــنه مـــضض اللوم والتثريب، لانتقائه جملةً عن الإقرار بالأشعار، واعتلائه عن الخطو في ذلك المضمار، اللهمّ إلاّ ما يجيءُ به عفواً واسترسالا، ويدبّ على لسانه نمالا (كذا) أو سحراً حلالا. وأنشد له قوله:

هفـــوت وأيّـــنا يعـــصي هـــواهُ اذا نَـــصَّتْ ســـوالِفَها الـــضِباءُ
فَـــدَعْ لومـــي فـــبعضُ الغـــيِّ رُشْـــدٌ حياتـــي أن يفارقنـــي الحـــياءُ

وقوله:

أَمِـــسْكَ دارِيـــنَ حـــيّاك النـــسيمُ بـــه أم عنبـــرُ الـــشحر أم هـــذي البـــساتينُ
بـــشاطئ النهـــر حـــيثُ الـــنور مؤتلفٌ والـــراح تعـــبقُ أم تلـــك الـــرياحين

وقـــال ابن بسّام بأعقاب ما أنشد له من النظام : انتهى ما اختطفتُه من هذه الـــبدائع الروائع. وإذ قدْ أعوز إفساحها، واستمرّ مع الأيام والتياحها، فلنعقبها بما قد أشـــبهها كثـــرة طائـــل، وشرف قائل، ممّا قد استفدته فأجدته من كلام الوزير أبي الحسين القرشي العامري، الذي هو عقله المستوفز، وفرصة المنتهز، وتحفة الغلام المبرّز، وذلك قطعة شعر بل نفثة سحر، تتعلق ببعض ما أنشدت، وبه أشرتُ، قال يصف ما يوضحه فيستملحُه:

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

لله بالـــــربوة العلـــــياء ليلتُـــــنا والـــــراح يأخـــذ مـــنّا والـــرياحينُ
أيـــام جـــادت لـــنا الدنـــيا بما ذخرتْ مـــن النعـــيم ولـــم يـــبخل بـــنا الدينُ
والعـــين مـــن أُمّـــة الرحمن قد مُلِئَتْ حُـــسْناً وأَبْهَجَهـــا قُـــربٌ وتمكـــينُ
غـــرّاء يزهـــى بها خولان إن فخرت وإن تهـــادت فَـــنعمانٌ ويبـــرين
لا مـــثل مـــنطقها المعـــسول منـــشدهُ وإن يُحَـــيّا تناســـتنا أفانـــينُ
(أمِـــسْكَ داريـــن حـــيّاك النـــسيمُ به أم عنبـــرُ الـــشحر أم هذي البساتينُ)
يـــا روضـــةً بأنـــيق الحـــسن حاليةً وحـــسبُ روض الربى وردٌ ونسرين
هـــل تذكـــرين – فَدَتْكِ النفسُ من عِدَةٍ جَـــرَت بهـــا للهـــوى الكيرُ الميامينُ
وحـــاش للمجـــد أن لا يقتـــضى وطرٌ يغنـــي بـــه مـــنكِ ذاك اللطفُ واللينُ

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ثـــم قال: أردتُ حُسْنَ التضمين لقول الوزير أبي أيوب، فانظر ما أبدع هذا الامتزاج والالتفات، وأبرع هذه الازدواج والائتلاف كما التقى الثريات، واتّسق سحر البيان، بل كماءِ الغمام، وصفو المدام. ولا غرو إن تعارفت تلك الأرواح وتشاكلت الطباع، فاطرد هذا الإغراب والإبداع].

(٧)

وســـقطت من الذخيرة المطبوعة ترجمة أبي الحسين القرشي العامري وها هي ذي:

وهو سالم بن محمد بن سالم بن محمد بن إسماعيل بن عبد الرحمن بن علي بن محمـــد بن أحمد بن مسلم بن طلحة بن مسلم بن عبد العزيز بن زمعة بن قيس بن عبد شـــمس بن عبد ودّ بن نضر بن مالك بن حسل بن عامر بن لؤي بن غالب بن فهر بن

مالــك بن النضر. هكذا ساق نَسَبَهُ ابن بسّام. قال ابن بسّام : والنضر هو نبعة قريش الذي يضمهم دوحُها، ويعلّمهم روحها.

ثــم قــال ابــن بــسّام: ولله أبــو الحسن فإنّه جِلدةٌ بين الأنف والعين، فــإن يكــن قــد نمــاهُ الأبطح، وجلاّه الحَسَبُ الأوضح، فلقد باء بمزيّة الصهر الكــريم، وشــرف الحــديث والقــديم لأنّ عــبد زمعــة المعــدود مــن نفره، الموجــود فــيه كــريم جوهــره، هــو أخــو سودة – أم المؤمنين– زوج النبي صــلّى الله علــيه وســلّم– وجــدّ جدّه إسماعيل هو الطالع على شرق الأندلس فــي ســلطان الحكــم المستنــصر بالله، رحل من مصر مع السنتين والثلاثمائة مــن دخــول بنــي عُبــيد إلــيها، واستيلائهم عليها، هاجرا للوطن، فارا بدينه، وســرّ يقيــنه المــستبطن، وآثــر بــوفادته، وســائر قادته، بني أمية على بني العــباس، لانــتظام بنــي عامــر فــي الحــروب العلوية معهم، ونزوعهم فيما شَــجَر بــين الــسلف منــزعهم، فحــلَّ يومئذٍ لدى الحَكَم على السَعة والرحب، والــصاغية الكــريمة والقُــرب. وجعــل يُحَدِّث عن ابن سفيان وعن فُلٍ وفُلان مــن علمــاء مــصر فــي ذلك الزمان. فلمّا ثارت الدولة العامرية حين تقلّصت ظــلال قــريش، وتنكّــر لهــم مــا عهدوا بقرطبة من خفض العيش، أوى إلى أشــبيلية فأوطــنها داراً، واتخــذها قــرارا، وبهــا لَقــيَهُ ابــن عبد البر علاّمة الأندلس، ومُحيي آثارها الدُرُس، فَدَرَس عليه، واقتبس ممّا لديه.

ثــم نقــل ابــن بــسّام مــا قيل في خبر هذا الرجل ثم قال: ولم يزلْ عَقِبهُ علــى تخــرّم المــنون، وتنكّــر الدهــر الخووْن، ذوي العرض المصون، إلى أن

نَجَــم فــيهم هــذا النيّــر الثاقب، ونشأ هذا الصيِّب الناكب، فرجح بالجميع، وذهب بمــا هــنالك مــن عتــيد وبديع، مع أدبٍ كروض الحَزْن، ولؤلؤ الخَزْن، وبلاغة أربَــتْ علــى كــلِّ ظــنّ، وبــراعةٍ أخذت من العلوم في غير ما فنّ، إلى شيمةٍ كالزلال، وهمّةٍ على قمة الهلال.

ومما أنشد ابن بسّام لهذا الرجل قوله:

لانَــتْ لــكَ الأيّــامُ بعــد شــماسِ وحللــتَ مــنها فــي ظــلام كــناسِ
وضَــفَتْ عليك بــرودُ عــزٍّ أقعسٍ يبقــى ولا يبلــى بطــول لــباسِ
وجَــرَتْ ســعودُك غير وانية المدى جَــرْيَ الخلافــة فــي بنــي العــبّاسِ
أنــتَ الــذي بــك للمكــارم هِــزَّةٌ ليــست لفــرع الــبانَةِ المــيّاس
مــا مالــكُ ابــن الــذئب أو ما حاتم كُــلاً ســبقتَ إلــى الــندى والــباسِ
لهفــي علــى تلــك النُّهــى مُنــثالةً بغــــرائب الآداب والإيــــناس
أغــــدو إذا عاطيــــتُها وكأنَّمــــا لَعِــبَتْ بأعطافَــي حُمَــيّا الكــاسِ
إنْ فــرّقَ الدهــرُ المُــذَمَّمُ بينــنا فالدهــر للأحــرار غيــرُ مواســي
واهــاً علــى عَهْــدٍ بمنعــرج اللِّوي لَــدْنٍ كمــا اهتــزّ القــضيبُ الكاسي
وإلــيكَ مــن ســرِّ الــضلوع تحــيةً تــندى علــى مُتَــضَرِّمِ الأنفــاس

وقوله:

سـقى الروضَ مُختالاً به العَلَمُ الفَرْدُ مُلِـثٌّ لجـيد الزهـر مـن نظمه عقدُ
وحَـيّا الأراكُ الـدوحَ تهفو به الصبَّا كمـا رُنِّـح النـشوانُ سـاوَرَهُ الوَجْدُ
ولا بَـرَحَتْنا نفحـةٌ يمنـيَّةٌ تجافـى لهـا عـن سرِّها البانُ والرندُ
وبالخـيمة القـصوى عقـيلةُ رَبْرَبٍ لِبَـرْدِ ثـناياها علـى كـبدي بَـرْدُ
لتـصغي إلـى الجِرْسِ الخفيِّ لعلّني خلـصتُ ودونـي للعـدى حَدَقٌ رُمْدُ
وليلتـنا بالجـزع والطـلُّ سـاقطُ ودونـيَ فيـنانٌ مـن الآيـات ممـتدُّ
يحـوم ولا إلمـام إلا بسلـسلٍ على الرشف ما الصهباءُ منه ولا الشَّهْدُ
ومـن دون نجـوانا استماعةُ صاحبٍ تواصَـتْ لـدى كـتم السِرار به الهندُ
تُقاوضُـهُ النكـباءُ سـرَّ حديـثها فـتطويهِ إلاّ مـا جنـى المـسكُ والندُّ
خليلـيَّ هـل ليلـى ونجـدٌ كعهدنا فـيا حـبّذا ليلـى ويـا حـبَّذا نجْـدُ

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وهذه هي النصوص الأندلسية التي سقطت من ذخيرة ابن بسّام، وظفرنا بها في مخطوطة باريس من كتاب مسالك الأبصار للعمري.

وبعد : فقد كانت الشام الكبرى بأقسامها الأربعة: فلسطين والأردن وسورية ولبـنان منـبعاً ثرّاً للكفاءات في مختلف العصور، فحين جنحت شمس العلاّمة د. إحـسان عباس إلى المغيب، لأسباب صحية، كانت شمس العلامة د. محمد رضوان الدايـة – وهو شامي من سورية– قد استقرت في كبد سماء الدراسات والتحقيقات الأندلسية في المشرق العربي. وكان من آثاره في هذا الميدان ما يمكن تصنيفه في جذمين رئيسيين : الأول نصوص أندلسية محققة، والثاني : دراسات أدبية صنّفها.

فأما الجذم الأول فقد ضمّ النصوص المحققة الآتية:

١- المعيار في أوزان الأشعار لمحمد بن عبد الملك الشنتريني – بيروت ١٩٦٨.

٢- إحكام صنعة الكلام لابن عبد الغفور الكلايمي – بيروت ١٩٦٦.

٣- نثير فرائد الجمان لابن الأحمر – بيروت ١٩٦٧.

٤- شرح الحماسة المغربية- جزءان.

٥- شرح مشكل شعر المتنبي – ابن سيده الأندلسي – دمشق ١٩٧٥.

٦- آيات المبرزين وغايات المميزين: ابن سعيد – دمشق ١٩٨٧.

٧- ديوان ابن عبد ربه – بيروت ١٩٧٩.

٨- رسائل ابن أبي الخصال – دمشق ١٩٨٨.

٩- سعيد بن جودي السعدي الألبيري الأندلسي – سيرته ومجموع شعره- ١٩٧٧.

١٠- نثير الجمان في شعر من نظمني وإيّاه الزمان :ابن الأحمر – ١٩٧٦.

١١- ديوان ابن خاتمة الأنصاري- دمشق ١٩٧٢.

١٢- ديوان ابن إسحاق الألبيري الأندلسي – بيروت ١٩٧٦.

١٣- الحدائق والجنان – ديوان بني فرح شعراء جيان- أبو ظبي ٢٠٠٣.

وأمّا الجذم الثاني فيضم الدراسات الآتية:

١- تاريخ النقد الأدبي في الأندلس – بيروت ١٩٦٨.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

٢- في الأدب الأندلسي – دمشق ٢٠٠٠.

٣- أندلسيات شامية – دمشق ٢٠٠٠.

٤- الأدب العربي في الأندلس والمغرب.

٥- أبو البقاء الرندي- شاعر رثاء الأندلس- بيروت ١٩٧٦.

٦- ابن خفاجة- دراسة – دمشق ١٩٧٢. وغيرها.

وبعـــد فهـــذه بعض جهود محمد رضوان الداية في حقل الأندلسيات تحقيقاً وتأليفاً. حتى جاز لي أن أقول:

"رَحَل إحسان وآلت الراية إلى رضوان"

رحم الله الأول وأمدّ في عمر الثاني

والحمد لله أولاً وآخراً.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com